كتاب مدرسي

سلسلة الأنبياء

٢

عثمان نوري طوباش

عليهم السلام

دار الأرقم



إسطنبول: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

إسطنبول: ١٤٣٦/ ٢٠١٥

اسم الكتاب باللغة التركية: Nebiler Silsilesi Ders Kitabı -2

الترجمة للعربية: سلسلة الأنبياء - كتاب مدرسي -٢

تأليف: عثمان نوري طوبّاش

إعداد:

د. فاروق كانجر

أ. لقمان حلوجي

مراجعةو تصحيح وتدقيق: الدكتور.آدم أقيـــن

تصميم وتنضيد: حسام يوسف

ISBN: ٩٧٨٩٩٤٤٨٣٤٠١٨

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

Language: Arabic

العنوان:



- Address : Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
  Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
  Başakşehir - İstanbul / TURKEY

Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)
Fax : +90 212 671 07 48
E-mail : info@islamicpublishing.net
Web site : www.islamicpublishing.net

كتاب مدرسي

سلسلة الأنبياء

-٢-

تأليف

عثمان نوري طوباش

إعداد
د. فاروق كانجر
أ. لقمان حلوجي

ترجمة
د. وليد القط

مراجعة وتصحيح وتدقيق

الدكتور. آدم آقيـــن

يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء، ١٠٥)

﴿...وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف، ١٠٩)

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم، ٩٨)

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ (الدخان، ٢٩)

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأعراف، ١٥٣)

* * *

ويقول رسول الله ﷺ:

"الدِّينُ النَّصِيحَةُ..." (البخاري، الإيمان، ٤٢)

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ" (الترمذي، الفتن، ٩/ ٢١٦٩)

* * *

من المثنوي:

(إن القرآن الكريم هو وصف وحال الأنبياء. فإن قرأت القرآن متدبراً بخشوع وطبقت ما فيه، فاعتقد أنك التقيت بالأنبياء! ومع قراءة قصص الأنبياء، يصبح الجسد حبساً أو سجناً ضيقاً أمام طائر الروح!) حضرة مولانا جلال الدين الرومي

حضرة شعيب

علیه السلام

و

حضرة موسى

علیه السلام

و

حضرة هارون

علیه السلام

من أعاد القلوب إلى وجدانها بخطابته الملقب بخطيب الأنبياء

حضرة سيدنا شعيب

عليه السلام

و

الذي أغرق بمعجزته فرعون الأحمق في أعماق البحر الأحمر، صاحب العصى

حضرة سيدنا موسى

عليه السلام

و

مساعده الصالح أخوه

حضرة سيدنا هارون

عليه السلام

شُعيب عليه السلام:

رُوي أنه جاء من نسل إبراهيم أو صالحٍ عليهما السلام.

وتروي أم شعيب عليه السلام أن نسله يصل إلى بنت لوط عليه السلام وبسيدنا أيوب عليه السلام من ناحية أبناء عمته. وهو في نفس الوقت عم موسى عليه السلام لزوجته (أي والد زوجة موسى عليه السلام).

عاش شعيب عليه السلام فوق الجبل في مكان تكثر فيه الغابات. ولد شعيب عليه السلام وتربى في مَدْيَن، وينسب إلى عائلة كريمة. قضى سيدنا شعيب سنوات شبابه بين قوم مدين. وكان يعيش حياة طاهرة نزيهةً بعيدًا عن شرور قومه. وصار بحياته النزيهة هذه نموذجًا يُقتدى بالنسبة إلى الناس، فكان يدعوهم للخير بنصائحه.

كان شعيب عليه السلام كثير الصلاة، وكان يراعي بشدة حق العباد. فكان يجتهد إذا كال أو وزن ألا يتعدى الحق. وكان يحض الآخرين على مراعاة الحق، وإذا ما حدث جور أو ظلم، كان يسرع بتعويض صاحب الحق.

استقر شعيب عليه السلام في مكة هو ومن آمن معه عقب هلاك هذين القومين وهما قوم ثمود ومدين. وقضى بقية حياته هناك. فتوفي في مكة ودُفن في الكعبة المعظمة تحت الميزاب الذهبي أي "الخاتم".

أهل مَدْيَن:

مدين هي المنطقة الواقعة بين خليج العقبة في الأردن ووادي حِمْص في سوريا. وأُخذ اسم "مدين" عن اسم قبيلة كانت تعيش في هذا المكان. ترك أهل مدين عبادة الله وطاعته، وانغمسوا في طريق الضلال والعصيان. وبدؤا يعبدون الأصنام والتماثيل. وبسبب موقع مدين على طرق القوافل اشتغلوا بالتجارة.

غير أنهم اشتهروا بحيلة، صارت عندهم فنًا ومعرفة. فقد كانوا ينقصون الميزان عندما يشترون لأنفسهم بضاعة فتظهر كأنها قليلة فيسددون مالاً قليلاً.

وعندما يبيعون شيئا يزيدون الميزان، فيعطون بذلك بضاعة أقل ويأخذون مالاً كثيرًا.

وكانوا يفعلون ذلك خاصة مع الأجانب والغرباء، فيتآمرون عليهم ويأخذون بضائعهم بشتى الحيل. فكانوا يدبرون الحيل كي يؤذوا ويظلموا مخاطبيهم في أي مناسبة.

ولم يعرفوا قيمة النعم الكثيرة التي منحهم الله إياها ولم يؤدُّوا شكرها. وكانوا يعصون الله وينكرونه بعبادة الأصنام.

خلاصة القول أنه لم يكن لقوم مدين عقيدة سوى عبادة الأصنام؛ وكانوا لا يراعون أسس البيع والشراء وكانوا قوما ذوي حيلة وخداع وكانوا يستغلون حِرفتهم بشكل سيء.

معنى هذا أن مدين التي انهارت فيها كل الأسس العلوية، كانت تعانى من انهيار اقتصادي وسياسي وأخلاقي.

وفي الوقت الذي يعيش فيه أهل مدين حياة سفه مثل تلك، أرسل الله عز وجل لهم سيدنا شُعيبا رسولا. وكان سيدنا شعيب يسدي إليهم النصيحة الحسنة. وكان يبين لهم ما أمر الله به وما نهى عنه.

كما نهاهم عن الانسياق خلف الشرك بالله عز وجل وأمرهم أن يعبدوه وحده؛ ونهاهم كذلك عن التطفيف في الكيل والميزان عند البيع أو الشراء، وحضهم على الإيمان باليوم الآخر وألا يفسدوا في



الأرض. وأخبرهم أن عذاب الله العلي شديد، أما نعمه فهي كثيرة لا تُحصى. وتتحدث الآية الكريمة عن ذلك كما يأتي:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ (هود، ٨٤)

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ. وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف، ٨٥ - ٨٦)

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (العنكبوت، ٣٦)

بهذا الشكل، أبلغ شعيب عليه السلام أهل مدين بالحقائق. وبدأ يدعوهم إلى التصديق بيوم القيامة والحساب الإلهي، ويحثهم على العمل لما سيؤمن لهم الفائدة والربح هناك.

وكان شعيب عليه السلام يسعى بشكل خاص لتحذير قومه بالابتعاد عن الغش في القياس والبيع. وكان يؤكد لهم محذراً بأن عدم امتناعهم عن هذه الأعمال سيؤدي إلى زوال ما هم عليه من النعم كافة. فالله تعالى أنعم على أهل مدين بالعديد من الأملاك والنعم الوافرة.

ولكنهم عوضاً عن التوبة والشكر، استمروا في تخطي الحدود والحيل والغش. ويكمل شعيب نصائحه إلى قومه فيقول:

﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

(هود، ٨٥)

ثم بين شعيب عليه السلام لهم أسس التجارة. وهو أن يصلح التاجر قياسه وميزانه وأن يرضى بالربح العادي. فالربح العادي أمن في التجارة والعمل، ورعاية من الله تعالى للعبد وبياض لوجهه. ولهذا، نجد شعيباً عليه السلام يكمل في نصائحه لهم فيقول:

﴿بَقِيَّتُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (هود، ٨٦)

"أي أنني لا أستطيع أن أعاقبكم على ما تفعلون من أعمال سيئة، كما أنني لا أملك لكم أن أمنع زوال هذه النعم التي تعيشون فيها! وإنما أنا أبلغكم بما أوحِي إلي!"

عبر ما ذكرنا من الآيات القرآنية الكريمة، نفهم أن شعيباً عليه السلام دعا قومه إلى هذه الأمور الخمسة:

١. التوحيد وعبادة الله وحده.
٢. التصديق به نبياً.
٣. إيفاء الكيل والميزان، وترك الحيلة والغش.
٤. رعاية حقوق الناس جميعاً. وترك سائر أعمال الغصب، والسرقة والرشوة وقطع الطريق وغيرها من الأعمال المشينة سراً وعلانية.
٥. الإبتعاد عن الفساد في الدين والدنيا.

ويمكن تلخيص هذه الأسس الخمسة التي دعا إليها شعيب قومه بأنها: "تعظيم الخالق، والرحمة والشفقة بالمخلوقات». علماً أن هذا التعريف يجمع في طياته كافة الأمور المتعلقة بالتوحيد وتصديق النبوة وحقوق العبد وترك الفساد في الأرض.

وكانت دعوة شعيب ذات تأثير كبير. فأثرت في الأوساط من حوله بشكل كبير. وبدأ الناس يزورونه جماعات جماعات فيؤمنون به ويمتثلون بما أمر به.

فكانوا يعبدون الله ولا يحيدون عن الحق في تجارتهم. ولكن، كان هناك أعداد كبيرة من الناس أيضاً ممن لم يؤمنوا.

وعضب من كفر من قومه لهذا الأمر، فكانوا يجدون الربح الحلال قليلاً. وكانوا يتناجون فيما بينهم فيقولون: «لا يمكن لأحد أن يغنى من الربح الحلال!»، فيدعون الناس للباطل والظلم.

ويقول كفرة القوم لنبيهم:

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود، ٨٧)

والقصد من الصلاة هنا هي الدين. لأن الصلاة هي أكبر العبادات وأشملها وبالتالي فهي وكأنها تمثل الدين بكامله. وبهذا، فإن الصلاة هي عبادة مهمة جداً.

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود، ٨٨)

إن قول شعيب عليه السلام في هذه الآية الكريمة:

”وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه» هي بمعنى: «أنني لا آمركم إلا بما أقوم به. وإن كنت أمنعكم عن شيء فسأكون بينكم أول من يمتنع عنه“.

أن يكون المرء في دعوته على هذا النحو من الشفافية هو فضيلة مهمة امتدحها الله تعالى. وأي تصرف بأسلوب آخر هو أمر مذموم وممنوع عنه بشدة. ولهذا، وعندما اتجه علماء بني إسرائيل في آخر عهدهم إلى هذه الخصال السيئة قال الله تعالى في حقهم مخاطباً:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة، ٤٤)

ويقول رسول الله ﷺ في هذا الشأن أيضاً:

" يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ:

- يَا فُلَانُ مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟

فَيَقُولُ:

- **بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيه** " (مسلم، الزهد، ٥١/ ٢٩٨٩)

استمر شعيب عليه السلام بدعوة قومه ضمن هذه الأطر دون أن يكل أو يتعب. واستمر قومه بصدهم وإعراضهم عن السماع إلى نصائحه ووصاياه. وكان شبقهم يتزايد يوماً بعد يوم.

وعلى الرغم من عدم قدرتهم على أصابة شعيب عليه السلام بأي أذى لما كان ينتسب إليه من قبيلة قوية، إلا أنهم كانوا يقومون بتهديد من آمن معه من الناس. فينبههم شعيب عليه السلام بهذا الشأن فيقول:

﴿وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف، ٨٦)

وعلى الرغم من كل ما كان يواجهه من صعوبات، تابع شعيب عليه السلام دعوته لقومه. وكان يتبع في عمله ودعوته أحكام الدين الحنيف الذي أنزل إلى إبراهيم عليه السلام.

وانتشرت نبوته إلى الشام. فكانت القلوب المؤمنة المتعطشة لرؤيته تسافر باتجاه مدين للقاء به. فكان أهل مدين يقفون على الطرقات يحاولون صد المؤمنين ممن يسعى للتشرف بزيارة شعيب عليه السلام. وهو ما يدل على تبعيتهم الظاهرة للشيطان. ذلك أن الشيطان عندما طرد من الرحمة الإلهية خاطب الله تعالى فقال:

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ. ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف، ١٦ – ١٧)

ولهذا، كان شعيب عليه السلام يعمل لمنع قومه من؛

١. الوقوف على الطرقات تهديداً للناس وأذى لهم،

٢. صد الناس عن الإيمان بالله ،

٣. صرف المؤمنين وحديثي العهد بالإيمان إلى طريق الضلال بإيقاعهم في الشبهات المختلفة والتردد.

التحذيرات الأخيرة:

حزن سيدنا شعيب للغاية من سلوك قومه المشين وعصيانهم؛ لهذا السبب لم ييأس وهو يحاول أن يوقظهم من غفلة الجهل:

﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ (هود، ٨٩)

أي أنهم هلكوا في وقت ليس بعيدا بالنسبة للزمن الذي تعيشون فيه.

لهذا السبب فإن أقرب الهالكين إليكم من الناحية الزمانية هم هؤلاء القوم.

وهؤلاء القوم لا يختلفون عن سلفهم في الكفر والشر وفي الضلال الآخر الذي استدعى هلاكهم. من أجل هذا هلكوا. لذلك يجب أن تأخذوا منهم العبرة!..

﴿وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ (هود، ٩٠)

لم يرض المشركون الذين تمادوا في ضلالهم، باقتراحات سيدنا شعيب تلك:

﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود، ٩١)

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (هود، ٩٢)

ولما يأس شعيب عليه السلام من هؤلاء العصاة أحال أمرهم إلى الله عز وجل. ولم يعد هناك شيء يمكنه فعله لأجلهم. ولكنه ذكرهم من جديد بعذاب الله علهم يتعظون:

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (الأعراف، ٨٧)

إلا أنَّ أهل مدين اتهموا شعيبًا عليه السلام بالكذب. وهددوه بطرده هو ومن آمن معه من مدين. لذا وجد شعيب عليه السلام أن وجود الذين آمنوا بين هؤلاء أمر خطير:

﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ (الأعراف، ٨٨)

﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾

(الأعراف، ٨٩)

يُفهم من الآية الكريمة أن سيدنا شعيباً رفض عرض قومه بالعودة إلى دينهم مرة أخرى؛ ولكنه قال إن عودته لن تتم إلا بأمر استثنائي من الله عز وجل وفي تصرفه هذا دلالة على تسليمه غير المشروط لإرادة الله عز وجل. ولأن الأنبياء هم ورثة النبوة،فهم يخافون عذاب الله وتغير حالهم عند الله عز وجل.

لهذا السبب قال شعيب عليه السلام:

لم يكن من المقبول أن نترك دين الله وأن نتحول إلى دينكم. ولكن إن أراد الله هلاكنا فليس أمامنا شيء نفعله. لأن أمورنا كلها في يده تعالى. فالإنسان الذي يقبل بإرادة الله، يصبح محظوظا بطاعته لإرادة الله ويتعرض للعذاب بسبب آثامه.

وعلى الرغم من كل هذا فقد كان سيدنا شعيب عليه السلام يتأدب في حديثه مع القوم. أما قومه فكانوا يعيبون عليه ويهددونه باستمرار.

وكانوا يقطعون طريق من يتوجه إلى شعيب عليه السلام ليعلن إيمانه، ويسخرون من سيدنا شعيب، ويجتهدون معهم لإثنائهم عن الإيمان.

﴿وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف، ٩٠)

الصيحة المرعبة التي جاءت من أعلى:

لم يكن أمام شعيب عليه السلام شيءٌ يفعله من أجل أولئك الذين حادوا عن الطريق، فقال لهم:

﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُواْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ (هود، ٩٣)

﴿وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (هود، ٩٤)

﴿الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف، ٩٢)

وبذلك وجد قوم مدين جزاء أعمالهم السيئة من ضلال وخداع وظلم وعصيان لله وللأنبياء. وكان هذا العقاب هو النهاية الحتمية للظالمين، فلا ترفق بالظالمين:

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ (الأعراف، ٩٣)

﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ (هود، ٩٥)

هلك قوم مدين بالصيحة المروعة مثل قوم ثمود لأنهم فعلوا مثلهم ولم يستمعوا للنصيحة. وكون الجزاء واحدا عند كليهما، هو إشارة للتشابه بين القومين من ناحية سوء الأخلاق. وقد دُعي الدعاء نفسه على كليهما لأنهما ابتعدا عن رحمة الله، من هنا كان وجه التشابه بين القومين.

جاءت الصيحة التي أهلكت قوم ثمود من تحتهم، أما أهل مدين فأهلكتهم صيحة أتت من فوقهم. وبذلك حرموا رحمة الله، واستحقوا خسران الآخرة وعذابها.



أصحاب الأيكة:

يطلق اسم الأيكة على المكان الذي تكثر فيه الغابات وتحيط به أشجار كثيفة. وهي المنطقة الممتدة من ساحل البحر الأحمر حتى مدين. أما أصحاب الأيكة فهم القوم الذين سكنوا هذه المنطقة.

كلف الله ﷻ شعيبًا ؑ بإرشاد أصحاب الأيكة إلى طريق الرشاد، و كانوا يعيشون مثل أهل مدين في رغد من العيش ونعم وثراء كبير؛ إلا أنهم ابتعدوا عن التوحيد والهداية.

كذّب أصحاب الأيكة شعيب ؑ وقد قال الله ﷻ عنهم:

﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الشعراء، ١٧٦)

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ﴾ (الحجر، ٧٨)

﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ (الشعراء، ١٧٧)

﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء، ١٧٨)

﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (الشعراء، ١٧٩)

﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء، ١٨٠)

خرج رسل الله على الناس وقد تحلوا بصفتين:

١ - أنهم لم ينتظروا أي أجر أو منفعة من الناس لقاء قيامهم بمهمة التبليغ وأعلنوا للناس أنهم ينتظرون الأجر والثواب من الله.

٢ - كان الرسل أسوة حسنة أي مثالاً للفضيلة. وكان هناك توافق بين ما يقولونه وبين نمط حياتهم.

وقد لفت القرآن الكريم في سورة يس الاهتمام إلى هاتين الصفتين. وكان حبيب النجار يدعو إلى العقل السليم متحدثًا إلى قومه عمّن جاؤا ليبلغوا رسالة الله:

"يا أهل القرية! هل يطلب الذين جاءوا إليكم أجرًا منكم؟

ألم يأتوا لأجل الهداية؟

ما داموا لم يطلبوا منكم أجرًا، ويعيشون من أجل الاستقامة ومن أجل حياة فاضلة ، إذن أطيعوهم!.".

واستمر شعيب عليه السلام في إسداء النصيحة لأصحاب الأيكة:

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ﴾ (الشعراء، ١٨١)

﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ (الشعراء، ١٨٢)

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الشعراء، ١٨٣)

﴿وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِبِلَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء، ١٨٤)

﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ (الشعراء، ١٨٥)

﴿وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (الشعراء، ١٨٦)

﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء، ١٨٧)

العذاب القادم من السماء: اللهيب المستعر:

خاطب شعيب عليه السلام قومه ردًّا على جرأتهم في طلب العذاب من الله:

﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (الشعراء، ١٨٨)

ودعا شعيب عليه السلام الله تعالى، وتضرع إليه حتى يأتيهم العذاب الذي طلبوه.

وبناءً على ذلك بدأت ريح ساخنة تهب. وظهر ذباب أزرق اللون سُلط عليهم. ووقف الكفار عاجزين أمام هذه المصيبة. وكان عدد الذباب يتزايد كلما اشتدت درجة الحرارة. فلجأ الناس إلى سواحل المياه الجارية وإلى ظلال الأماكن التي تكثر فيها الأشجار.

وعندما وصلت درجة الحرارة إلى درجة لا يمكن تحملها، جاء جبريل عليه السلام بسحابة وقف بها خارج المدينة، فلما رأى الكافرون ذلك ظنوا أن تحتها هواءً باردًا وبدءوا يتسابقون للوصول إليها. ولما تجمعوا جميعًا تحتها جاء نداء يقول:"يا أصحاب الأيكة! لقد كذبتم نبيكم، فذوقوا العذاب الأليم الذي ظننتم أنه لن يأتيكم! قولوا لأصنامكم التي تسجدون إليها، إن كان عندها المقدرة فلتخلصكم مما أنتم فيه!.".

وعقب ذلك بدأت النيران باللهب من توها تهطل من السحابة التي تجمعوا تحتها على رءوس الكافرين. فاحترق كل شيء يخص الكافرين. حتى الأشجار والحجارة أيضًا!

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (الشعراء، ١٨٩)

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء، ١٩٠)

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الشعراء، ١٩١)

وبذلك يكون قوم مدين قد هلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وبالزلزلة، أما أصحاب الأيكة فهلكوا بالنيران التي هطلت عليهم من السحابة التي ظنوا أنها ظل، وللقومين كليهما بعث شعيب عليه السلام نبيًّا.

بعد الهلاك:

بعد هلاك من عصى من الشعبين، سكن شعيب عليه السلام في مدين. وتزوج وأصبح والداً لابنتين.

ويلقب شعيب عليه السلام بين الأنبياء بلقب: «خطيب الأنبياء». لأنه كان يحدث قومه بأجمل الكلام، ويجيب على أسئلتهم بشكل كامل ومقنع.

وكان شعيب عليه السلام كثير الصلاة، ويولي الكثير من اهتمامه لحقوق العباد. وكان يفعل كل ما في وسعه ليعدل باستخدامه أدوات الكيل والميزان، ويظهر دقة كبيرة في تتبع الحق وتعليمه للناس.

ومن خصائصه أيضاً أنه كان نبياً كثير البكاء. فضعفت عيناه عند هرمه بشكل كبير، وخارت قوى جسده.

ويروى أنه بكى مرات عديدة لدرجة كاد يفقد بها بصره كما يقال. فكان الله تعالى يشفي بصره ويقول له من خلال الوحي:

«- يا شعيب! ما سبب بكائك؟ هل هو شوق للجنة، أم مخافة من النار؟»

فيجيبه شعيب عليه السلام:

«- يا ربي! إنك لتعلم أن بكائي هذا ليس شوقاً إلى الجنة ولا خوفاً من النار. محبتك عمرت في قلبي. ويشتد قلقي لفكرة: «أن أتمكن من رؤية جمالك!..» فإن تمكنت من رؤيتك فلا شيء بعد ذلك عندي...»

فيوحي إليه الله بقوله:

«- ما دمت صادقاً في قولك فرؤية جمالي مباركة لك يا شعيب! ولهذا السبب أقدم إليك كليمي موسى بن عمران ليعمل على خدمتك!»

هذه هي حال القريب من الله. فهم بعكس أهل الغفلة يفكرون قبل كل شيء في رضى الله سبحانه وتعالى فيجعلونها في مقدمة اهتماماتهم ويؤخرون مرضاة الناس لتكون من آخر اهتماماتهم. وتعمر قلوبهم محبة الله تعالى فلا يهتمون بما في الدنيا ولا يبالون بما فيها.

يرسل الله سبحانه وتعالى أنبياءه لتوعية قلوب الناس بعيداً عن الغفلة، وتعليمهم الأخلاق الحميدة، وحثهم على العبادة بإخلاص وصولاً إلى محبة الله تعالى، ودعوة لهم إلى «دار السلام».

ومن كان قلبه مهيأً للصحوة، فإنه يتجه بكل تصميم نحو التربية والإرشاد، ويعمل كل ما في وسعه للتقدم في سبيل الحق. أما من كان بعيداً عن هذه الرغبة، فإنه يتكبر ويعاند، ولا يستمع إلى إرشادات الأنبياء والرسل، فيكونون ممن لا يصل إلى مرتبة اليقين، فيفسقون ويظلمون وتقسى قلوبهم. ويكونون كمن لا يهتدي طريقه في حالة محزنة من العجز والضياع.

ولهذا، عمل شعيب عليه السلام طيلة حياته، بما أعطاه الله من قوة ورحمة، بكل غيرة وإرادة وتصميم على إنقاذ الناس مما هم عليه من حال تألم له القلوب. وضحى في سبيل ذلك بكل ما أوتي من قوة.

ويرغب أولئك الذين لديهم القدرة والاستعداد لأن تُفتح قلوبهم، فيُربوا ويُرشَدوا، وهم يبذلون الجهد للتقدم في طريق الله. ولكن الذين لا يرغبون في هذا، يعاندون ويتكبرون، ولا يلقون سمعًا لما يقوله أنبياؤهم ولا يرغبون في أن يصلوا إلى مرتبة أكثر قربًا، فيزدادون فسوقًا ويظلون على قسوتهم وظلمهم. ويصلوا إلى حالة مزرية لا يستطيعون معها لا فرق بينهم والعميان الذين لا يعرفون إلى أين سيذهبون. ويبين شعيب عليه السلام حالتهم كما ورد في الآية ٩٣ من سورة الأعراف:

﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾



موسى وهارون عليهما السلام

موسى: هو أكثر الأنبياء ذكرًا في القرآن الكريم، وهو أحد "أولو العزم" من الرسل، وقد جاء بعد يوسف ﷺ وأرسله الله ﷻ إلى بني إسرائيل. ويمتد نسب سيدنا موسى بن عمران إلى يعقوب وإسحاق عليهما السلام وصولاً لسيدنا إبراهيم. أما سيدنا هارون فهو أخو موسى عليه السلام.

كان ريان بن مالك - وهو ملك مصر الذي جعل يوسف ﷺ ناظرًا للمالية "وزيرًا للمالية" - شخصًا مؤمنًا بالله. وجاء من بعده شخص يدعى قابوس Kâbus. ولم يؤمن هذا الشخص ليوسف عليه السلام؛ وعلى الرغم من هذا فلم يعزل يوسف ﷺ عن الوزارة. أما الفراعنة الذين جاءوا بعد ذلك فلم يعطوا أية قيمة لبني إسرائيل.

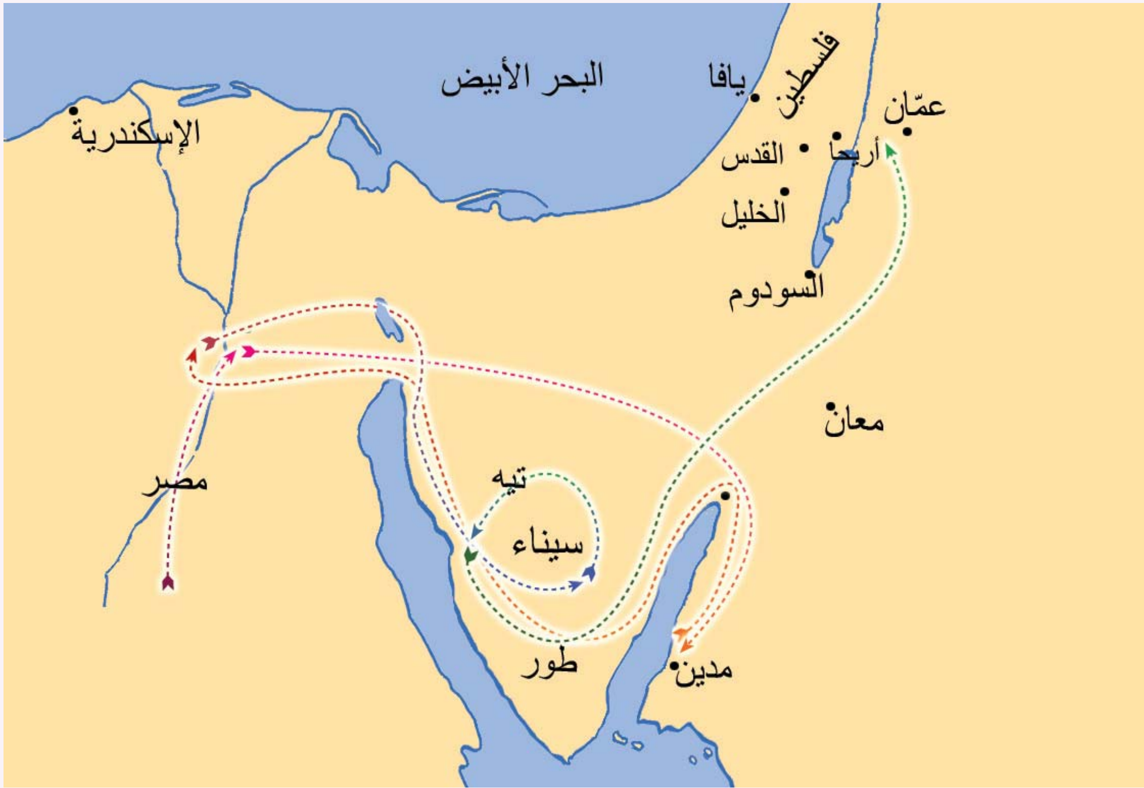
بعد يوسف ﷺ، بقي بنو إسرائيل في مصر.

وكانوا مرتبطين ديانة بكل من يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام. أما الأقباط سكان مصر الأقدمين فكانوا من الوثنيين. وكانوا يعبدون الأصنام والنجوم. وكانوا ينظرون إلى بني إسرائيل باحتقار ودونية.

وكان فراعنتهم غدارين ظلمة. كما كانوا يقلقون من تكاثر بني إسرائيل. ذلك أن تكاثر بني إسرائيل الذين كان يقال عنهم الأسباط، سيكون سبباً في انتقال الحكم إليهم.

وعندما لم يطق الأقباط تحمل هذا الأمر أكثر من ذلك، قاموا وعلى رأسهم فراعنتهم بتعذيب الأسباط وظلمهم وأذيتهم. فبدأ الصبطيون يتململون من هذا الظلم الواقع بهم، وتعبوا من هذا الحال. فهم خسروا هنا كل ما كان لديهم من حقوق إجتماعية وسياسية. فقرروا العودة إلى ديار كنعان موطن يعقوب. ولكنهم لم يوفقوا إلى ذلك أبداً. ذلك أن فرعون كان يجبرهم على العمل في أمور شاقة كبناء الأهرامات، ولهذا كان يرفض ذهابهم.

وكانت قبائل بني إسرائيل الإحدى عشرة كل منها تنتسب إلى أحد أبناء يعقوب ﷺ. وكان فرعون يشغلهم في ظروف صعبة جداً ويبقيهم تحت وطأة الضغط المستمر. وكان يفرض على غير القادرين على العمل منهم ضرائب كبيرة، بحيث يربط أيدي من لا يحضر ضريبته قبل غياب الشمس، ويبقيه على هذه الحالة شهراً كاملاً. تتحدث الآيات الكريمة عن ظلم فرعون بهذا الشكل فتقول:



﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص، ٤)

﴿...إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ (القصص، ٨)

أمام هذا الظلم وعصر الإنحطاط، أرسل الله ﷻ موسى عليه السلام:

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ. وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ (القصص، ٥-٦)

الرؤيا التي افزعت فرعون

يرى فرعون في إحدى الليالي في منامه ناراً تخرج من بيت المقدس تحرق بيوت الأقباط، ولا تضر أحداً من بني إسرائيل. ففسرت له رؤيته بقولهم:

«- سيخرج طفل من بني إسرائيل ويهدم لك سلطنتك!».

ولهذا، يأمر فرعون بقتل كل طفل ذكر يولد لبني إسرائيل.

فتصنع آلات من القصب؛ ويدخلونها إلى بطون الحوامل من نساء بني إسرائيل لتعجيل ولادتهن بكل أذى وتعذيب. فإن كان المولود ذكراً قتل من فوره.

ويقال أن السبب الآخر الذي دفع فرعون لارتكاب مثل هذا العمل السيء والقبيح هو:

كان بنو إسرائيل يتحدثون فيما بينهم عن ولد من نسل إبراهيم عليه السلام سيولد ويكون سبباً في هلاك ملك مصر (فرعون). وَعَزوا سبب هذا الأمر إلى الحادثة التي حصلت بين سيدتنا سارة زوجة إبراهيم عليه السلام وفرعون. لأن فرعون أراد أن يسيء إليها ولكنها نجت بحماية الله تعالى. ولهذا أراد الله تعالى أن يأتي من بني إبراهيم عليه السلام ونسله من ينقذ بني إسرائيل من ظلم هؤلاء الفراعنة.

وأصبحت هذه البشرى منتشرة بين أبناء بني إسرائيل. بل وبدأ الأقباط أنفسهم يتناقلون هذه الرواية. وعندما وصل هذا الخبر إلى فرعون، جمع رجاله واتفقوا على قتل كل ولد ذكر يلد لبني إسرائيل. وكان قصده منع أي ولد من أبناء إسرائيل من النمو ليهلكه. ولكن هذه الخطة لم تكن لتقف أمام مشيئة الله سبحانه.

وفي هذه الأثناء، يلد لعمران أحد الرجال من نسل يعقوب عليه السلام سيدنا موسى عليه السلام. وكانت إحدى القابلات من أقارب موسى عليه السلام. ورأت نوراً مشعاً على جبينه عند ولادته. فدهشت واستغربت الأمر.

وبعد أن خرجت القابلات بعد انتهاء الولادة، دخل رجال فرعون إلى الدار. فتقوم أمه على عجلة وقلق بوضع موسى عليه السلام في الموقد. وعند خروج العساكر تقوم مسرعة بفتح الموقد فتجد موسى عليه السلام آمناً كما كان إبراهيم عليه عليه السلام آمناً داخل النار.

فتأخذه إلى صدرها وتفرح فرحاً كبيراُ وتشكر الله تعالى على ذلك. ومن ثم يلهمها الله تعالى أن ترضعه إلى أن تحس بالخطر فتلقيه في نهر النيل، وبأن لا تحزن لأنه سيرجع إليها ويكون نبياً كبيراً. تروي الآية القرآنية هذه البشرى بقوله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص، ٧)

فتذهب أم موسى مسرعة إلى أحد النجارين وتصنع لولدها صندوقاً، فتضع موسى عليه السلام فيه وتلقيه بعد ذلك في نهر النيل. ويتنبه النجار لهذا الأمر فيسرع إلى فرعون ساعياً إلى إفشاء هذا السر. ولكن لسانه يعجز عن النطق فلم يستطع الحديث إليه بشيء. فطرده رجال فرعون في نهاية الأمر.

ويدخل هذا الصندوق عبر نهر النيل إلى حديقة القصر. فتأخذه الجواري وتسلمه لسيدتنا آسيا.

سيدنا موسى في قصر فرعون

وتكون آسيا بنت مزاحم زوجة فرعون هي امرأة من نسل ملك مصر زمن يوسف عليه السلام الريان بن الوليد. وعندما أحضر إليها موسى عليه السلام داخل هذا الصندوق، دخل حبه إلى قلبها بشكل كبير. فكان الطفل جميلاً جداً. فأخذته إلى صدرها تضمه إليها. ومن ثم أحضرته إلى جانب فرعون وقالت:

«- فليكن ولدنا، فيكون في المستقبل عوناً لنا، ويحمينا! فلا تزهق روحه! فهو يعتبر ولداً جميلاً لكلينا!»

وحاولت أن تقنعه بمثل هذا الكلام الجميل إلى أن وفقت إلى ذلك.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ (القصص، ٩)

وبدأ من في القصر يبحث عن مرضعة لموسى عليه السلام.

ولكن هذا الطفل أبى أن ترضعه أي أم كانت. وتخبر اخت موسى عليه السلام مريم من في القصر أن والدتها قد تتمكن من إرضاع هذا الطفل. وذلك لأن امها قالت لها:

﴿وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ. وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ (القصص، ١١ - ١٢)

فيقبل العرض الذي أتتهم به أخته:

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (القصص، ١٣)

ولكن والدة موسى عليه السلام لم تقبل مباشرة عرض آسيا لها بأن ترضع موسى عليه السلام، وذلك لكي لا يشتبه أحد بها أن تكون والدته. ولأنها كانت تعلم أن الوعد الذي ذكر في الآية الكريمة لا بد له وأن يتحقق:

"- لدي ولد آخر يدعى هارون! فإن قبلتم بذلك أرضعته؛ وإلا فلا أرضعه لكم!."

وهكذا لم يفطن أحد إلى أنها والدته عليه السلام. وأرضعت موسى عليه السلام حليبها لقاء أجر من المال.

وكان فرعون وامرأته يعتقدان أنهما بتربية موسى عليه السلام بين أحضانهما سيكون سبباً كافياً لأن يربى على الطريقة التي يشاؤون. ولكن حياة الإنسان مرتبطة عادة بأمرين اثنين: الوراثة والتربية... فيكون الإنسان عادة إما تحت تأثير الوراثة وأحياناً أخرى تحت تأثير التربية أو يكون تحت تأثيرهما معاً. ولهذا يتحدث القرآن الكريم عن هذه الحقيقة فيقول بأسولب دقيق «وهم لا يشعرون».

ويروى أن فرعون كان قد قتل قرابة ٠٠٠ , ٩٨٠ طفلاً برئياً بهدف إيجاد (العثور) موسى ﷺ. فكانت حكمة الله تعالى أن جعل موسى ﷺ في قصر فرعون نفسه يتربى تحت حمايته، ليأتي اليوم الذي سيقض فيه عرشه وسلطنته بكلمة الحق. لأن الأنبياء هم دائماً في رعاية الله ﷻ يتربون تربية خاصة بعنايته.

علماً أن رسول الله ﷺ يحدثنا في الحديث الشريف فيقول:

"أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي" (السيوطي، الجامع الصغير، ١، ١٢٦٢)

وبدأت والدة موسى ﷺ ترضع ابنها موسى في قصر فرعون. ولكن الوزير هامان اشتبه بهذه الحالة فقال سائلاً:

"هل هذا ابنك؟! فهو لم يرض أن ترضعه أي أم أخرى، ولم يرض إلا بحليبك أنت!."

فأجابته أم موسى ﷺ مقنعة له بقولها:

"لا أدري ما السبب، لكن كل الأطفال تحبني، وأنا احبهم جميعاً"

وبالنتيجة، خصص لها معاشها، وبقيت تحت رعايتهم. وهو لطف من الله سبحانه وتعالى بها.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿...إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (القصص، ١٠)

وكانت سيدتنا آسيا كلما اشتاقت لموسى ﷺ تدعوه ووالدته إلى القصر وتغدق عليه بالهدايا.

وفي يوم من الأيام، يؤتى بموسى ﷺ إلى غرفة فرعون. فيحتضنه فرعون. فيقوم موسى ﷺ بشد لحيته بقوة؛ يقتطع بها شعراً منها، ويلكمه على وجهه ويلتقط السوط من يد فرعون ويضربه بها. فيغضب فرعون ويقول:

"هذا هو عدوي الذي كنت أنشد" ويقرر قتل موسى ﷺ.

فتسرع سيدتنا آسيا لتقول:

"- إنه طفل! لا إدراك له... فإن شئت امتحناه. فلنضع في طبق ياقوتاً وفي الآخر جمرة. فإن أخذ موسى الياقوتة فهو ذكي؛ وإن أخذ الجمرة فهو طفل!."

يرضى فرعون بهذا الرأي. ويؤتى بطبقين أحدهما جمر والآخر ياقوت، ويوضع كلا الطبقين في متناول يد موسى ﷺ.

وبينما يحاول موسى مد يده نحو طبق الياقوت، يأتي جبريل ﷺ بأمر من الله تعالى فيحول يد موسى عن ذلك الطبق. فيأخذ موسى جمرة من الطبق الآخر ويضعها في فمه. فيحترق لسانه ويصبح صاحب لثغة في كلامه. وتستمر هذه اللثغة إلى يوم جبل الطور في اليوم الذي دعا ربه فيه.

وعندما يرى فرعون هذا الأمر يقول:

"- نعم، فعل ذلك ببراءة الطفولة!" وعفا عن موسى. وأعاده إلى حماية القصر.

يروي محيي الدين ابن العربي -قدس الله سره- في كتابه فصوص الحكم فيقول:

«يقتل فرعون ٩٨٠,٠٠٠ في محاولة لمنع ظهور موسى عليه السلام. يقتل جميع هؤلاء الأطفال ليكونوا مدداً في حياة موسى عليه السلام وتقوية لروحانيته. ذلك أن فرعون وعائلته لم يكونوا يعرفون موسى عليه السلام ولكن الله يعرفه. ولهذا كانت حياة كل من هؤلاء الأطفال هي حياة لموسى عليه السلام. وهذه هي الغاية من ذلك»

ويحبب الله سبحانه وتعالى الناس جميعاً بموسى عليه السلام:

﴿...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه، ٣٩)

وبسبب هذا اللطف الإلهي، كانت المودة تتولد في أفئدة كل من يرى موسى عليه السلام من الناس فيحبونه.

وأخيراً، أعطاه الله سبحانه وتعالى النبوة:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (القصص، ١٤)

وكلمة «أَشُدَّهُ» المذكورة في الآية الكريمة تأتي بمعنى كمال موسى عليه السلام من الناحية الجسدية والروحانية معاً، وهو ما يعرف عند رأي الأكثرية بأنه سن الأربعين.

فأعطاه الله سبحانه وتعالى "الحكم" و"العلم" عندما وصل إلى هذه السن. وكلمة "الحكم" المذكورة في الآية تأتي بمعنى "الحكمة"، وتفسر في معظم التفاسير بأنها "النبوة".

ومن ثم يبدأ موسى عليه السلام بتبليغ دعوته ويبين بطلان وسوء دين فرعون.

مقتل القبطي

كان لفرعون خبازٌ ماهرٌ ظالمٌ من الأقباط يدعى فاطون. وكان هذا الخباز يوماً يضرب رجلاً من الأسباط يدعى سامري. فطلب السامري المعونة من موسى عليه السلام. فدخل موسى بينهما محاولاً أن يفصل بينهما؛ فوكز فاطون ودفعه. وأمام هذا التدخل البسيط وقع فاطون على الأرض وخر ميتاً.

فحزن موسى عليه السلام كثيراً لهذا الأمر. فلم يكن عنده أدنى نية في قتل فاطون. وما أراد إلا أن يحمي السامري. فالتجأ إلى الله تعالى بكل حزن طالباً منه المغفرة.

يخبر الله تعالى عن هذه الحادثة في الآية الكريمة فيقول:

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ (القصص، ١٥)

ولكون موسى عليه السلام كان قد بدأ عملية التبليغ والدعوة للناس إلى حقيقة التوحيد في كل مكان، كان أقباط فرعون قد اتخذوا جبهة وصفاً ضده. ولهذا دخل عليه السلام إلى المدينة في وقت متأخر بعد أن دخل الناس إلى منازلهم. وقوله:

"هذا من عمل الشيطان!"

هو إنما لكونه عمل لم يشأ له موسى عليه السلام الحصول، وإنما وكأنه إشارة إلى استحقاق المقتول لعقوبة الموت إشارة إلى ذنوبه.

وإضافة إلى ذلك، ولكونه لم يؤمر بقتل هذا الرجل، فإن قول موسى عليه السلام هذا هو ربما إشارة أيضاً إلى الفعل الذي ارتكبه. ولكنه لم يكن يخطط لهذه النتيجة. ولهذا، وعندما تعرض لهذا الموقف والنتيجة التي لم يكن يفكر فيها قال:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ (القصص، ١٦ - ١٧)

في هذه الأثناء، توجه الأقباط إلى فرعون يشكون مقتل هذا القبطي ويطالبونه بإيجاد قاتله. فطلب فرعون شاهداً يشهد بمن قتله. ولكنهم لم يتمكنوا من إحضار أي شاهد. ولهذا، خرج فرعون إلى خارج المدينة ليبحث عن هذا القاتل.

في اليوم التالي، يشاهد موسى عليه السلام نفس السبطي يتشاجر مع قبطي آخر مرة أخرى. فيطلب السبطي المعونة من موسى للمرة الثانية. فيقول له موسى:

«لقد ظلمت نفسي بسببك!»

فما كان القبطي الذي كان في هذا الموقف يستمع إلى قول موسى إلا أن أسرع إلى فرعون ليشتكي موسى ويقول:

«- إن موسى هو من قتل فاطون خبازكم!»

فيأخذ فرعون قراراً بالقصاص[1]. فيسرع ابن عم فرعون إلى موسى سراً ليخبره بما كان. لأنه كان من الذين آمنوا له عليه السلام.

---

١ القصاص: هو انزال العقاب على مرتكب الجريمة بنفس ما ارتكب عليه فالقاتل يقتل ومن جرح يُجرح...وهكذا

ويحدثنا رب العزة والجلالة عن حال موسى عليه السلام بعد أن قتل ذلك القبطي وطلب الغفران منه تعالى بهذا الشكل فيقول في الآيات الكريمة:

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ (القصص، ١٨)

﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ (القصص، ١٩)

وفي هذه الأثناء جاء رجل ينبه موسى عليه السلام من المؤامرة عليه:

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (القصص، ٢٠)

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص، ٢١)

وبتصرفه بهذا الشكل، يظهر لنا موسى عليه السلام بنفس الوقت كيفية وجوب التوكل بشكل حقيقي.

فهي أولاً الاستشارة، ومن ثم العزم (أي القرار)، ومن ثم التدبير (أي التنفيذ) وأخيراً ترك النتيجة لله سبحانه وتعالى (بالدعاء والرضى). هذا هو التوكل!..

من مصر إلى مدين

ودون أي إضاعة للوقت، ينطلق موسى عليه السلام باتجاه مدين. وفي واقع الأمر، كانت تلك هي المرة الأولى التي يخرج فيها موسى خارج المدينة وهو بالتالي لا يعرف إلى أين سيتجه. بل إنه لم يحمل معه ما يقتات به في هذه الطريق. فأرسل الله تعالى إليه جبريل عليه السلام يدله إلى طريق مدين. وكانت مدين في ذلك الزمن تبعد مسافة ثمانية أيام عن مصر.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (القصص، ٢٢)

وبحسب ما يبينه فخر الدين الرازي، فإن موسى عليه السلام لم يقصد قتل هذا القبطي. ومن ناحية أخرى كان القبطي مشركاً. ولهذا لم يكن واجباً عليه القصاص. ومن ناحية أخرى، لكون هذه الحادثة هي حادثة قد تمت بشكل غير مقصود فإنها لا توجب القصاص أيضاً

يروى أنه كانت هناك صلة من القرابة بين أهل مدين وموسى ﷺ. علماً أن كلاً من موسى ﷺ وأهل مدين هم جميعاً من نسل إبراهيم ﷺ. بل إن مدين هو اسم لأحد أبناء إبراهيم ﷺ وهي مكان لم يكن يخضع لسلطة الفراعنة.

وأخيراً، يصل موسى ﷺ إلى مدين. وكان أهل المدينة يخرجون قطعانهم إلى خارج قلعة مدين. وكان على مقربة من المكان الذي وقف فيه موسى ﷺ بئرٌ للماء. وكانت القطعان التي تخرج من القلعة تتجه إلى ذلك البئر. ولم تمض مدة بسيطة إلا والتف الجميع حول أطراف البئر كل يسقي لقطيعه. وتنبه موسى ﷺ إلى امرأتين تنتظران بقطيعهما بعيداً وتحاولان أن لا يختلط قطيعهما بهذا الجمع. فذهب إليهما يسأل:

"- ما الذي تنتظرانه؟ ولماذا لا تسقيان قطيعكما؟"

فتجيبه السيدتان:

"- لا نستطيع سقاية قطيعنا قبل أن يذهب الرعاة!"

فيسأل موسى مجدداً:

"- أليس لكما من أحد؟"

فيجيبانه:

"- إن أبانا شيخ كبير لا حيلة له. ولهذا نحن من يقوم برعاية وسقاية هذا القطيع. ولأننا لا نريد أن نختلط بالرجال فإننا ننتظر بعيداً على هذا الشكل إلى أن يذهبوا فنسقي قطيعنا. ولكن، ولأنهم هم أول من يسقي فإنه في بعض الأحيان ينتهي الماء قبل أن يصل الدور إلينا ويبقى قطيعنا بغير سقاية!"

يقول تعالى في الآية الكريمة:

﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص، ٢٣)

هاتان الفتاتان هما ابنتا شعيب ﷺ وهما سفورة وسفيرة.



وعلى الرغم من الأيام الثمانية التي قضاها موسى عليه السلام جائعاً عطشاً، سحب الماء من هذه البئر وسقى قطيع سفورة وسفيرة. فشكرته السيدتان وذهبتا.

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص، ٢٤)

وكان موسى عليه السلام جائعاً منذ أيام عدة لم يتناول شيئاً من الطعام. فكان يدعو الله في هذه الكلمات يرجوه أن يحسن إليه.

وقوله في الآية الثانية "إني لما أنزلت إلي من خير فقير!» هو أيضاً تفسير لمعنى الآية. فهو يشير بذلك إلى الوظائف الكثيرة التي أودعت إليه وإشارة إلى فقره الذي آل إليه في هذه الدنيا. فهو الذي كان في جوار فرعون ينعم بالخير الكثير. ولكن هذه الأقوال لم تكن شكوى، وإنما هي شكر لله تعالى على ما من عليه من سلامة ومناجاة له سبحانه ليذهب ما به من الجوع.

وعندما يرى شعيب عليه السلام عودة بنتيه بشكل مبكر من سقاية القطيع يتعجب لذلك الأمر، ويسألهما عن سبب ذلك. فتخبره ابنتاهُ بأن رجلاً صالحاً لم يشاهدانه في البلدة من قبل أتى إليهما وقدم لهما المساعدة.

شعيب عليه السلام يدعو موسى عليه السلام إلى جواره

يدعو شعيب عليه السلام موسى عليه السلام إلى جواره ويسأله عمن يكون.

فيجيبه موسى عليه السلام بقوله:

«- أنا موسى بن عمران من نسل يعقوب عليه السلام.» وأخبره بما حدث معه من أمور.

فيقول له شعيب عليه السلام:

«- لا تخف! فهنا لا تنفذ أحكام فرعون!»

تقول الآية الكريمة:

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص، ٢٥)

ويقدم شعيب عليه السلام الطعام إليه. وعلى الرغم مما كان عليه من الجوع إلا أن موسى عليه السلام كان متردداً من تناول هذا الطعام. فيسأله شعيب عليه السلام عن سبب ذلك. فيقول له موسى عليه السلام:

«- نحن عائلة لو أعطيت لنا الدنيا بما فيها لا نغيرها بعمل واحد من أعمال الآخرة! فأنا لم أقدم مساعدتي طلباً لهذا الطعام، بل طلباً لمرضاة الله سبحانه»

فَيُسَر شعيب عليه السلام لهذا الرد ويقول:

«- طعامنا هذا ليس جواباً منا على مساعدتك بل؛ هو لأنك من ضيوفنا؛ هيا فكل!.»

وهكذا، تناول موسى عليه السلام طعامه بعد كل هذا التعب والجوع، ومن ثم اعتكف للإستراحة.

وتوصي سفورة أباها باستئجار هذا الرجل فتقول:

﴿قَالَتْ إِحْدَيهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (القصص، ٢٦)

وتضيف:

"- إن هذه الصفات موجودة في هذا الرجل. لأنه لم ينظر حتى إلى وجهينا. وكان يسير في طريقه بعيداً عنا. وهو ما يدل على أنه رجل أمين جداً!."

وهنا نجد أن هذا الحديث قد أوضح بشكل مختصر وجميل جداً ما يجب علينا أن نطلبه من الخصائص فيمن نرغب بتوظيفه:

١. **اللياقة**: أن يكون على دراية بالعمل، ويملك القوة لتنفيذه.

٢. **الأمانة**: أن يكون موثوقاً وصحيحاً.

بحسب الرواية المذكورة في كتاب عرائس المجالس:

«المتميزات في فراستهن من النساء اثنتان. فكلاهما أصابتا في تشخيصهما حول موسى عليه السلام بفراستهما:

الأولى كانت آسيا زوجة فرعون. (فهي التي مال قلبها إلى موسى عليه السلام عندما أتى إلى القصر في الصندوق فحملته إلى فرعون وقالت: فليكن قرة عين لي ولك، فلا تقتله!.)

والثانية كانت ابنة شعيب عليه السلام. (فهي أيضاً): «يا أبت، استأجره ليرعى لنا أغنامنا. فهو خير من استأجرت، قوي وأمين!»

الفراسة؛ هي الاستنتاج الناجح الذي يأتي لدى الصالحين من المؤمنين، وحالة الكشف لديهم. أي، أن الفراسة التي تعني الذكاء والتفكير والاستنتاج هي قابلية الادراك المعنوي لما يحدث في القلب.

يرى عثمان بن عفان رضي الله عنه رجلاً مالت عينه إلى الحرام فيقول له:

«- غض بصرك عن الحرام!»

فيقول له الرجل:

«- يا أمير المؤمنين، وما أدراك أنني أنظر إلى الحرام؟»

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"**اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ...!**" (الترمذي، التفسير، ١٥/ ٣١٢٧)

وأيضاً، يرى أبو حنيفة شاباً يتوضأ فيقول له:

"- لا تقم بهذا الخطأ وهذا!."

فيلتفت الشاب إلى الإمام أبي حنيفة ويقول:

"- يا إمام! كيف عرفت أنني أقوم بهذه الأخطاء؟"

فأجابه الإمام أبو حنيفة: "- من قطرات ماء الوضوء المتساقطة!"

وكانت كل من سيدتنا خديجة وعائشة وفاطمة رضي الله عنهن جميعاً من أمهاتنا ذات الفراسة دائماً.

فكانت سيدتنا خديجة من فدت مالها وروحها في سبيل رسول الله ﷺ وأول من حظي بشرف الإيمان به في الدنيا. وكانت سيدتنا عائشة رضي الله عنها تمتلك قوة فهم رسول الله، وقابلية حفظ ما يقوله ﷺ، وصاحبة مشاعر وحس عميق يمثل أخلاق النبوة.

أما سيدتنا فاطمة فكانت تعكس رحمة أبيها، وصاحبة حال من التقوى والشفقة. وهكذا، وعلى الرغم من الصفات المشتركة لهن جميعاً، فقد كانت لكل واحدة منهن أحوال متميزة ومختلفة تميز كلّاً منهن عن الأخرى.

ومن شروط الفراسة أن يكون الرزق حلالاً وأن يكون القلب منكشفاً على الحياة.

يقول الواسطي رضي الله عنه:

«الفراسة هي انعاس لشعاع النور في القلب. وهي المعرفة التي تسكن القلب، (أي معرفة الله تعالى قلباً، وإدراكه قلباً والتقرب إليه). وعبر هذه المعرفة تصبح أسرار الغيب مكشوفة عياناً...»

ويعبر مولانا جلال الدين الرومي -قدس الله سره- في كتابه المثنويُّ عن سر المعرفة بقوله:

«على الرغم من نجاحه في تسيير الأمور الدنيوية، إلا أن القلب بضرورة ماهيته، يبقى عاجزاً عن الوصول إلى الحقيقة، والأسرار الإلهية، أي عاجزاً عن الوصول إلى معرفة الله.

وللتوصل إلى هذه الرحلة العلوية فإنه يحتاج إلى وسيلة. وهي الوجدان، العشق والوجد والاستدراك. فليكن العقل فداءً للمصطفى!.»

ويسأل أحد الشباب عبد الخالق كجدواني، أحد أولياء الله الصالحين، بقوله:

«ما هو سر الحديث: "**اتقوا فراسة المؤمن! فإنه ينظر بنور الله...!**" (الترمذي، التفسير، ١٥/ ٣١٢٧)

فيجيبه عبد الخالق الغجدواني بقوله:

«- أخرِجْ الحزِامَالذي في وسطِك! (أي إنزع عنك علامة الكفر التي يعلقها المسيحيون!) وأسلم!...»

وأمام هذه الكرامة المليئة بالفراسة، يقف هذا الشاب أمامه ناطقاً بالشهادة ويسلم.

وهنا، يلتفت الإمام إلكجدواني إلى إخوانه ويقول:

«- ولنخرج نحن أيضاً الحزام الذي نضعه على قلوبنا!»

وحزام القلب هو الكبر والغرور والحسد والبخل والغيرة وغيرها من الأمور التي تدخل القلب من الأخلاق السيئة.

زواج موسى عليه السلام بسفورة

يعجب شعيب عليه السلام بموسى عليه السلام كثيراً. ويرغب بأن يبقيه إلى جواره. ففكر بحل. وأخيراً عرض عليه أن يزوجه ابنته سفورة. وعندما سأل موسى عليه السلام عن كيفية حصول ذلك، أخبره شعيب عليه السلام بأن عليه أن يعمل لديه ثماني سنوات متتالية يهتم فيها بغنمه وعندها سيزوجه ابنته. وأخبره بأن من الأفضل أن يمد بهذه السنوات لتصبح عشراً. وهدفه من ذلك هو إبقاء موسى عليه السلام بجواره أكبر فترة ممكنة. ويروي القرآن الكريم تفاصيل هذا الحوار بقوله تعالى:

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القصص، ٢٧)

﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ (القصص، ٢٨)

تتحدث هذه الآيات الكريمة وتلفت الإنتباه إلى شأن إجتماعي نتعرض له كثيراً في حياتنا الاجتماعية.

فعلى الرغم من أن هذا الحوار هو بين أكثر الخلق ثقة بين الناس لكونهما نبيين من أنبياء الله، إلا أنهما وعند اتفاقهما على شأن ما، تداورا بينهما ما يمكن أن يتعرضا له من أمور محتملة في بداية الأمر بشكل مفصل ومن ثم توصلا معاً إلى القرار.

وفي نهاية الأمر توكلا على الله تعالى وأشهداه على ما كان بينهما من اتفاق.

وبالفعل، بدأ موسى عليه السلام بوظيفته فكان يرعى قطيع شعيب عليه السلام كما كان بينهما من اتفاق.

ويروى أن موسى عليه السلام عند رعايته للغنم لم يكن يضرب أي منها بعصا ولم يؤذ أحداً منها ولم يترك أحداً منها على جوع. وأرسله الله تعالى نبياً إلى بني إسرائيل، وتكلم إليه. ومن بعد النبوة أيضاً أكمل موسى عليه السلام رعايته للغنم، وحفظ أمته من الكثير من الأذى.

إن من لا يتعامل بشفقة ولا رحمةٍ مع خلق الله ﷻ، لا يمكن له أن يكون قريباً من الله. ومن أعز خلق الله وعاملهم بشفقة ورحمة، نال الرفعة والدرجات العليا التي لا ينالها إلا أهل الحق.

ورعاية الغنم هي من الأعمال الأكثر شهرة بين أنبياء الله الذين عمل معظمهم بها في فترة من فترات حياتهم.

وقد يكون هذا الأمر لمشيئة من الله تعالى بأن يعلمهم حس المسؤولية الضرورية في الإدارة، والشعور بضرورة تأدية حق هذه الوظيفة، وبعض الخصائص المهمة مثل الشفقة والرحمة.

ويلهم الله تعالى موسى عليه السلام بأن يضرب بعصاه الأرض كلما أراد أن يسقي الغنم فيخرج الماء من الأرض إلى أن يشرب كل هذا القطيع.

ولهذا، وأمام هذا اللطف الإلهي، لم يكن موسى عليه السلام يواجه صعوبة في سقاية الغنم.

وأخيراً، يكمل موسى عليه السلام سنواته الثمانية من العمل في رعاية الغنم. فيقوم شعيب عليه السلام بهدية القطيع إلى موسى وابنته.

ولكن موسى عليه السلام يكمل خدمته إلى أن يتمها بالسنة العاشرة. وكانت الغنم تلد كل سنة عدداً قليلاً من الغنم المبرقع الأكثر قبولاً. أما في هذه السنة العاشرة ولدت جميع هذه الأغنام توائم وكانت جميعها مبرقعة. فيقول شعيب عليه السلام:

"- هذا إكرام من الله تعالى إلى عائلة موسى!."

عصا موسى عليه السلام

كان لموسى عليه السلام عصا في يده يستخدمها لحماية قطيعه من الحيوانات المفترسة. وكان أحد أطرافها مالساً ليمسك به والطرف الأخر محدب مسنون.

وهناك روايات مختلفة عن المكان الذي أتت منه هذه العصا.



فبحسب إحدى الروايات، فإنه قد تم تناقلها من آدم عليه السلام وصولاً إلى شعيب عليه السلام. ومن ثم قدمها شعيب عليه السلام لموسى ليهش بها على غنمه.

وكان المكان الذي يقيمون فيه متوسطاً الجبل من ناحية اليمين، والسهل من ناحية الشمال. وكانت المنطقة الجبلية مسكناً للحيوانات المفترسة وكان بإمكانها تقطيع الغنم.

ولهذا، لم يكن موسى عليه السلام يدع عصاه من يده أبداً. ولقد كانت هذه العصا وسيلة للعديد من المعجزات الخاصة بموسى عليه السلام. وكأن هذه المعجزات الصغيرة كانت تحضيراً لما سيكون معها من معجزة كبرى.

العودة من مدين إلى مصر ووادي طوى

بعد أن قضى موسى عليه السلام سنواته العشر في خدمة شعيب عليه السلام، استأذنه بالعودة مع زوجته سفورة إلى مصر. فأخذ قطيعه معه وانطلق مع أهله في موسم الشتاء عائداً إلى مصر. وكان هدف موسى هو أن يذهب للقاء أخيه هارون فيخرجه من مصر المكان الذي كان مرتعاً يظلم فيه بنو إسرائيل.

وبينما هم في الطريق، هبت عاصفة ممطرة شديدة. وكان ذلك يوماً من ايام الشتاء. وكان كل شيء معتماً كسواد الزفت. فالتجؤا إلى وادي الطور المبارك لقضاء الليل فيه.

ودخلوا إحدى المغارات فيه. وكانت امرأة موسى عليه السلام حاملاً وعلى وشك الولادة. ولهذا، كانوا بأشد الحاجة إلى الضوء والنار في هذه الليلة المظلمة، الباردة والممطرة. وكان موسى يحاول إشعال النار فلا تشتعل.

وبينما هو على هذه الحال، إذ به يرى ضوءاً يشع من بعيد. فيخبر أهله بأنه ذاهب إلى مكان هذا الضوء عله يأتيهم منها بنار تساعدهم، وشدد عليهم التنبيه بأن لا يغادروا هذا المكان. ولكنه لم يكن يعلم أن هذا الضوء الذي رأى إن هو إلا إشارة لتحضيره للنبوة. يقول الله عز وجل في القرآن الكريم:

﴿فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ (القصص، ٢٩)

﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى. إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه، ٩ - ١٠)

وذهب موسى عليه السلام باتجاه هذا الضوء. وعندما وصل إلى هناك، وجد شجرة خضراء عليها سلسلة من الضوء الذي يلمع.

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (القصص، ٣٠)

﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي يَا مُوسَى . إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى. إِنَّنِي أَنَا اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلوةَ لِذِكْرِي. إِنَّ السَّاعَةَ اتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى. فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى﴾ (طه، ١١ - ١٦)

وقد حاول المفسرون تفسير معنى قوله تعالى «إخلع نعليك!» بالعديد من الأمور بإعطائها معان إشارية[١]. ومن هؤلاء المفسرين كان للقُشيري في كتابه لطائف الإشارات، وللبرسوي في كتابه روح البيان هذا التفسير:

"إن النعلين يمثلان الدنيا والآخرة"

"أي أفرغ قلبك من المشاغل المتعلقة بالدنيا والآخرة! وتجرد من كل شيء في سبيل الحق، وانظر إلى معرفة الله[٢] ومشاهدته!.."

إن حدود إدراك البشر محدودة. ولا يمكن بهذا الإدراك المحدود فهم العظمة الإلهية التي لا نهاية لها وأسراره بشكل كامل ولائق. ولهذا، فإن وظيفة العقل النهائية هي التسليم.

ويصور مولانا قدس الله سره حدود العقل بهذا المثال فيقول:

«إن الرجل المريض لا يمكنه بعقله إلا أن يذهب إلى الطبيب. وتنتهي وظيفة عقله عند وصوله عند باب الطبيب ومن ثم يبدأ معه حال التسليم لتوصيات هذا الطبيب. وبنفس الطريقة، إن طريقة نيل معرفة الله تعالى هي بكبر نسبة هذا التسليم.»

وبكلمة أخرى، إن أمر الله تعالى لموسى عليه السلام بأن «اخلع نعليك» هو بهذا المعنى: «تجرد من النفس والطبيعة! واترك التفكير بكل شيء يربطك بنفسك؛ وتعال!»

«أقلع عن تفكر المجنون! لأنه لا فائدة من ذلك بعد الرؤية والعيان، أي المشاهدة بالعين!»

ولهذا السبب، بعد أن توصل الإمام الشبلي إلى معرفة الله تعالى، تخلص من ألفاظ الكتب، وبدأ يعيش نشوة الوصول إلى المعاني المبهرة التي يصل إليها بمعرفة الله والمشاهدة.

---

١ يقصد بالتفسير الإشاري هو أن يتخطى المفسر المعنى الظاهري للآية الكريمة ويخوض في دقائق المعاني التي يمكن أن يستخلصها منها. وللتفسير الإشاري أوصاف ثلاثة تشترط فيه:
أ- الحفاظ على المعنى الظاهري.
ب- أن تكون هناك من الأمور الضمنية (إشارات معينة) التي يمكن أن تشكل دليلاً على هذا المعنى الإشاري.
ج- أن يكون هذا التفسير غير مخالفاً لما هو واضح في القرآن والسنة.

٢ معرفة الله تعالى قلباً ومحبة.

أمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن «إخلع نعليك» في الوادي المقدس طوى. لأنه كان هناك في حضرة الله تعالى وأمام شعاعه، وهو الأمر الذي يستدعي عدم دعسه بقدمه هناك وهو يلبس حذاءه. كما أن سيره هناك حافياً هو أنسب أنواع التواضع والأدب.

يقول مولانا قدس الله سره:

« سألت عقلي «ما الإيمان؟»».

فمال عقلي تجاه أذني وهمس لها: «الإيمان عبارة عن الأدب!»».

ولهذه الأسباب، مشى خيرة أمة محمد من أمثال البشر حافي وأمثاله من الكرام حفاة على أقدامهم. كما كان السلف الصالح يطوفون حول الكعبة حفاة على أقدامهم أيضاً.

كما أن أمر خلع النعل في الأماكن المقدسة هو لإفادة موسى عليه السلام من بركة هذا المكان المقدس وتشريفاً له فيه.

ولكن، ويا لها من حكمة أن يُخَاطَبَ رسول الله ﷺ في ليلة المعراج فَيُقَال له على ذمة الراوي:

«يا حبيبي! فلتمش على شعاع العرش بنعليك فيشرف العرش بتراب نعليك، وينال نور العرش نعمة اللقاء بك.» (إسماعيل حقي برسفي، روح البيان، جـ ٥، ٣٧٠)

النبوة المعطاة بمعجزتين كبيرتين

بعد أن خاطب الله تعالى موسى وأمره بأن يخلع نعليه، عاد وأمره بأن يلقي عصاه. فتتحول هذه العصا إلى حية كبيرة. يخاف موسى عليه السلام. فيقال له بأن لا يُخفْ وأنّك في أمن وحفظ من الله تعالى.

يقول تعالى في الآية الكريمة:

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ (القصص، ٣١)

قبل ذلك الوقت، كانت عصا موسى عليه السلام حكمة، ولكنها انقلبت الآن إلى قدرة. فكانت قدرة تسنده عندما كان لا يستطيع حملها!.. وعندما كان موسى عليه السلام يعجز عن المسير ويتعب كان يعتمد عليها في سيره. وكانت تحميه من الأذى والضرر حينما يجلس أو ينام.

وكانت تعطيه من مختلف أنواع الفاكهة. وتظله عند الحر فتكون له ظلاً. فكانت قدرة الله تعالى تتجلى لموسى عليه السلام من خلال هذا العصا. وكان موسى عليه السلام يأنس بقدرة الله تعالى بواسطة هذه العصا. (عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ص١٩٢)

وعندما كلم الله تعالى موسى عليه السلام وأخبره بنبوته، وكلفه بما كلفه من أمور، قال له يخاطبه بقوله تعالى:

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه، ١٧)

فيجيبه موسى عليه السلام بقوله:

﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ (طه، ١٨)

فيأمره الله تعالى بإلقائها بقوله:

﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ (طه، ١٩)

ويستجيب موسى عليه السلام مباشرة لأمره تعالى:

﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه، ٢٠)

وعندما رأى موسى عليه السلام هذا المشهد بدأ بالهرب. ولكن:

﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه، ٢١)

ويفسر عبد القادر الجيلاني هذه الآيات الكريمة بقوله:

«القصد من الأمور التي تم بيانها في هذه الآيات الكريمة، هو أن يتعرف موسى عليه السلام على قدرة الله تعالى. وهو الأمر الذي سيخفف قيمة وقدرة سلطنة فرعون فلا تراها عيناه كبيرة أو قادرة!

وفي غاية إلهية أخرى، يهدف الله تعالى بهذا الأمر إلى تحضير موسى عليه السلام لمحاربة فرعون وقومه. فحضَّر الله تعالى موسى عليه السلام بهذا الشكل ليحارب فرعون وأهله، وسلحه عليه السلام بأمور خارقة للعادة. علماً أن موسى عليه السلام كان قبل ذلك خجولاً. ومن ثم وسع الله تعالى في صدره. وأعطاه النبوة والعلم.»

وبحسب بعض المفسرين، فإن ما تم بيانه من آيات كريمة تتحدث عن إلقاء موسى عليه السلام لعصاه إن هي إلا أمور وحوادث كانت على شكل إرشاد لموسى عليه السلام في دنياه الداخلية.

إن ما ذكره موسى عليه السلام من إضاحات تتعلق بأمور دنيوية يقوم بها من خلال عصاه إجابة لسؤاله تعالى: «وما تلك بيمينك؟» هي أمور أمره الله تعالى بإلقائها بإلقائه لهذه العصا. فالنفس وما يتعلق بها من أمور، هي أمور تمثلت له على شكل حية كبيرة. وبهذا شاهد موسى عليه السلام حقيقة النفس. فخاف وارتجف وهرب منها. ومع كل هذه الأمور، كان هذا الأمر وكأنما قيل له:

«يا موسى! هذه الحية إن هي إلا وصف للأمور التي يتعلق بها الإنسان من غير الله تعالى. وهذا الوصف النفسي هو عندما يصور لصاحبه بشكل حسي ملموس، يصبح أمراً يخاف منه المرء ويهرب.»

ومن المعاني الإشارية الأخرى المتمثلة بأمره تعالى: «ألق عصاك!» هو:

«لقد أصبحت الآن موصوفاً بصفة التوحيد. فكيف يمكن أن يكون مقبولاً أن تعتمد على أمر فانٍ في هذه الحياة فتطلب منه العون وتعتمد عليه في أمورك فتعتمد على هذه العصا وتثق بها؟ فكيف يمكن أن تقول بأنني أفعل بهذه العصا كذا وكذا، وأستفيد منها، وأن لي فيها من المآرب الأخرى؟ إن الخطوة الأولى في طريق التوحيد هي ترك الأسباب والتوكل المطلق والتسليم. وأن اترك كل أنواع الطلبات والرغبات!»

لقد تمكن إبراهيم عليه السلام من النجاة من الإضافات في هذه الدنيا عندما استغنى عن كافة المساعدات الفانية بما فيها الملائكة. فسلم ونجا برداً وسلاماً من النار سابحاً في محيط التسليم والتوكل للحق وحده.

يتحدث كتاب التأويلات النجمية عن هذه الأمور بقوله:

«إن من يسمع نداء الحق ويرى نور جماله، ليترك كل شيء يعتمد عليه غير الله وحده. فلا يعتمد على أي شيء غير فضل كرم الله. ويتخلص من رغبات نفسه.»



ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل!" (عجلوني، كشف الخفاء، ٢، ٧٤/ ١٧٤٤)

وقوله صلى الله عليه وسلم «كأنبياء بني إسرائيل» إن هو إلاّ تكريم ولطف منه بعلماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وينقل أحد أولياء الله رحمه الله الشيخ أبو الحسن الشاذلي إحدى رؤاه الصالحة التي تتعلق بهذا الشأن فيقول:

«يجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على عرش، ويلتف من حوله بقية الأنبياء. ويلتف حول الأنبياء العلماء الصالحون. وجلست أنا أنظر إليهم وأستمع إلى أحاديثهم.

ويتجه نبي الله موسى عليه السلام إلى الرسول صلى الله عليه وسلم سائلاً:

«يا رسول الله! كنت قد قلت «علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل». فهل لك أن ترينا الآن واحداً منهم؟»

فيشير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإمام الغزالي ويقول:

«هذا!»

فيسأل موسى عليه السلام الإمام الغزالي سؤالاً. فيجيب عليه الإمام الغزالي بعشرة إجابات. فيعترض موسى عليه السلام على الأجوبة ويقول بأنها غير مناسبة لهذا السؤال، لكونها إجابات عشرة لسؤال واحد. فيقول الإمام الغزالي:

«- هذا الإعتراض هو أمر وارد بالنسبة إليكم أيضاً. لأن الله تعالى عندما سألكم «وما تلك بيمينك يا موسى؟» كان ردكم عليه عوضاً عن أن يكون «هذه عصاي» هو رد فيه الكثير من الصفات الأخرى!..»

ويكمل الشاذلي -قدس الله سره - رؤيته فيقول:

«وبينما كنت أنظر بحيرة وعجب إلى رسول الله ﷺ وعظمة قدره وكونه على العرش والأنبياء ملتفون من حوله جلوساً على الأرض، إذ بأحدهم يضربني برجله ضربة أعود بها إلى رشدي. فإذا به الْقَيِّمُ الذي يقوم بإشعال مصابيح المسجد الأقصى. فيقول لي:

«- لا تعجب! فكل شيء خلق من نور المصطفى محمد ﷺ.» وعندما سمعت ذلك وقعت مغمياً علي. ولم أستفق إلا بعد أن صلى الناس صلاة الجماعة. فأسرعت أبحث عن القيم. ولكني لم أجده حتى هذا اليوم.» (راغب الأصفهاني، المستدرك)

وفي معجزة ثانية إلى موسى عليه السلام، يأمره الله تعالى بوضع يده في حضنه يعني جنبه. فينفذ موسى عليه السلام هذا الأمر الإلهي فإذا بيده تخرج خالية من العلل والأمراض؛ سليمة مضيئة كضياء الشمس في بياض ناصع. فكأنها أصبحت مثل شعاع الضوء. فتعجب موسى كثيراً. فقيل له:

"- إن أتى إليك أو إلى أحد آخر خوف من رؤية يدك على هذا الشكل فأرجعها إلى جضنك مرة أخرى تخرج كما كانت عليه في السابق!"

ويروي القرآن الكريم تسلم موسى عليه السلام معجزة «اليد البيضاء» (ناصعة البياض، تلمع) التي أعطيت إلى موسى عليه السلام بقوله تعالى:

﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى. لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ (طه، ٢٢ - ٢٣)

﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (القصص، ٣٢)

وهكذا، كلف الله تعالى موسى عليه السلام بالنبوة بإعطائه كلاً من هاتين المعجزتين الكبيرتين. وطلب منه الدعوة إلى الدين. وبداية لهذه الدعوة كان على موسى عليه السلام أن يذهب إلى فرعون أولاً:

﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه، ٢٤)

وأمام هذا الأمر:

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (القصص، ٣٣)

ومن ثم طلب من الله تعالى أن يكون أخوه هارون له سنداً وعوناً:

﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (القصص، ٣٤)

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (القصص، ٣٥)

وبحسب إحدى الروايات:

عندما أمر الله تعالى موسى عليه السلام بقوله:

﴿إذهب إلى فرعون، إنه طغى..﴾ (طه، ٢٤)

يسأل موسى عليه السلام ربه بأن لا أحد لديه في ظاهر الأمر يمكنه أن يستأمنه على عائلته وماشيته فيقول:

«- يا ربي! وما الذي سيحل بأهلي وماشيتي؟»

فيجيبه الله تعالى مذكراً بأنه «هو خير الحافظين» ويقول له:

«- يا موسى! ما الذي تريده بعد أن وجدتني؟ أسرع إلى تنفيذ أمري! وارتبط بي وسلم أمرك إلي! فإن شئت جعلت الذئب راعياً للغنم، وملائكتي حفظاً لعائلتك.

يا موسى! ما هذا الذي تفكر فيه؟ من ذا الذي أنقذك عندما ألقتكَ أمك في اليم؟ ومن ذا الذي أعاد إليها مرة أخرى؟ ومن ذا الذي حافظ عليك عندما قتلت نفساً وأحاط الناس بك وأمر فرعون بإحضارك وقتلك؟..»

وكان موسى عليه السلام يستمع إلى هذا القول ويجيب في نفس الوقت على كل سؤال منها بقوله:

« أنت، أنت، أنت يا ربي!» (أنظر: أحمد الرفاعي، حالة أهل الحقيقة مع الله، ص ٣٣٧)



ويأتي موسى عليه السلام إلى مصر. وكان يعتقد بأن لفرعون جيش كبير. فيوحي إليه تعالى بأنه وأخاه:

"أنتما جيشان كبيران من جيوشي! فلا تضعفون ولا تهزمون!"

وأمام هذه الوظيفة الكبرى توجه موسى إلى الله تعالى ليخفف عنه وطأة هذا الأمر بالتضرع والدعاء فقال:

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي. يَفْقَهُوا قَوْلِي. وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اُشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي. كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا. وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا. قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ (طه، ٢٥ - ٣٦)

ومن ثم، يذكر الله تعالى موسى عليه السلام بما من عليه من النعم والحفظ الإلهي بقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه، ٣٧ - ٣٩)

﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ (طه، ٤٠)

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي. اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي. اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ (طه، ٤١ - ٤٣)



وعلى الرغم من كون موسى وهارون أنبياء لله تعالى، فإن أمر الله تعالى لهما بذكره لهو إشارة كبيرة إلى أهمية هذا الأمر الكبير لنا أيضاً. فتربية القلب هي أمر ضروري لكل مؤمن.

فكما أن القلب هو مركز لجوهر الإيمان، فإن القلب أيضاً هو مركز جوهر الذكر. فإن احتل الذكر مكانه في القلب، فإنه يكون مكاناً للوصول إلى السعادة الحقيقية.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد، ٢٨)

كما تبين الآية ٢٨ مِن سورة النساء، فإن الإنسان خلق على الضعف.

فإذا ما ازدادت المشاعر الدينية في القلب، ابتعدت الرغبات النفسية عنه. فالدين لا يريد أن يرى الإنسان بشكل ظاهري بحت فقط. فالإنسان هو مخلوق مكرم.

ولهذا يجب عليه أن يرتقي في مراتبه. ودون نفخ الحياة في القلب، فلا إمكانية للحصول على إنسان مسلم رقيق حساس ومرهف. ولهذا، فإن الله تعالى لا يرضى للعبادة أن تكون شكلاً ظاهرياً فقط. فهو يريد الصلاة مثلاً أن تكون صلاة يؤديها العبد بتيقظ قلبي وخشوع.

تقول الآية الكريمة:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي صَلوتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (المؤمنون، ١ - ٢)

أما الصلاة التي يؤديها العبد بعيداً عن الخشوع (أي بعيداً عن الميول القلبية) فإنها صلاة لا يقبل بها الله تعالى. تقول الآية الكريمة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلوتِهِمْ سَاهُونَ﴾ (الماعون، ٤ - ٥)

كذلك الأمر، يتحدث الله تعالى عن الذين لم تترفع أرواحهم بذكره فيقول عنهم:

﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الزمر، ٢٢)

علماً أن القلب الممتليء بأحمال الأمور الدنيوية والذنوب من الأمور التي تدعى بالكثافة الثقيلة، فإنه قلب لا يمكن له التقرب من الله تعالى ولطفه. ولهذا، فإن الذكر هو ضرورة تحمي القلب من الآفات النفسية.

يلتقي موسى عليه السلام بأخيه هارون عليه السلام على ضفاف نهر النيل ويتعانقانِ. فيقول موسى لأخيه هارون:

"- هيا فلنذهب إلى فرعون! فالله تعالى قد كلف كلاً منا بذلك..."

ومن ثم يتوجهان معاً بالقول:

﴿قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ (طه، ٤٥)

﴿قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه، ٤٦)

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء، ١٦ - ١٧)

ولكن الله تعالى يوضح أيضاً كيفية الدعوة إلى هذا الأمر وما هي الأمور التي يجب مراعاتها بيقول تعالى:

﴿فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه، ٤٤)

وعندما قرأ أحد أصحاب الحق رحمه الله المدعو يزيد الرقاشي هذه الآية قال:

«- يا من أمر بالمعاملة بالرحمة حتى لمن عاداك يا إلهي! من يدري بماذا تعامل به من كان قريباً منك يدعو الناس إليك!»

وعلى الرغم من معرفة الله تعالى الإلهية المسبقة بصد فرعون عن الإيمان وعقيدة التوحيد، إلا أنه أمر موسى عليه السلام بأن يكون معه ليناً في خطابه وحديثه.

وهذا الأمر هو أمر إلى كل المؤمنين الذين يعملون في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك بصيغة الخطاب إلى موسى عليه السلام.

وفي هذا الشأن أيضاً، يتحدث القرآن الكريم إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم واصفاً لين دعوته وأسلوبه في التبليغ إلى الله برحمة ولين وشفقة ومسامحة فيخبر الله جل جلاله في الآية الكريمة بقوله:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران، ١٥٩)

فرعون الأحمق

يذهب موسى وهارون عليهما السلام تلبية لأمر الله تعالى إلى فرعون. فيسأل فرعون موسى بقوله:

«- من أنت؟»

فيقول:

«- أنا رسول رب العالمين!»

فيتعجب فرعون في باديء الأمر. ولكنه بعد ذلك يبدأ بتعداد ما قدمه إلى موسى من أمور جيدة في السابق بكل غضبٍ ويقول متهماً موسى عليه السلام السلام:

«- لقد كبرت في قصري. وقتلت خباز قصري. فكيف بك الآن تأتي إليّ بهذا الشكل؟»

يروي القرآن الكريم هذا الحوار بقوله تعالى:

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (الشعراء، ١٨ - ١٩)

فيجيبه موسى عليه السلام بقوله:

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ .وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء، ٢٠ -٢٢)

ويكمل موسى عليه السلام فيقول:

"- بهذه الطريقة ظلمت؛ فباعدت بيني وبين أهلي! ولكن الله منحني العلم والحكمة. وجعلني نبياً."

ولكن:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ (طه، ٤٩)

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء، ٢٣)

﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (طه، ٥٠)

ومن ثم:

﴿قَالَ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (الشعراء، ٢٤)

﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (طه، ٥١)

﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى﴾ (طه، ٥٢)

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلاَ تَسْتَمِعُونَ﴾ (الشعراء، ٢٥)

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء، ٢٦)

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ (الشعراء، ٢٧)

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (الشعراء، ٢٨)

وفي نتيجة هذا الحوار، يحاول فرعون تهديد موسى وأخيه هارون عليهما السلام بالتعذيب والسجن الذي هو نوع من أنواع الموت فيقول مهدداً:

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ (الشعراء، ٢٩)

﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ (الشعراء، ٣٠)

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (الشعراء، ٣١)

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ (الشعراء، ٣٢)

أمام ما رآه من معجزة، يتعجب فرعون ويخاف، وهو الذي كان يدعي الألوهية ويقول:

"- أرجوك أمسكها؛ لأتركن لك جميع بني إسرائيل!"

فيأخذ موسى عليه السلام عصاه في يده. فتعود كما كانت في السابق.

فيسأله فرعون: "- وهل من أمر آخر؟"

فيكون جواب موسى عليه السلام أن: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ (الشعراء، ٣٣)

فيخاف فرعون مرة أخرى. وكاد أن يؤمن بنبوة موسى عليه السلام بعد ما رآه من هاتين المعجزتين. ولكنَّ وزيره هامان كان سبباً بمنعه عن ذلك. وحرضه بقوله:

"- أنت إله! فلا يليق بك أن تعبد أياً كان غيرك! أضف إلى أن الجميع يعرف بأنك إله؛ فلا تنزلن من الألوهية إلى العبودية؛ ولنرَ حلاً لهذا الأمر!."

وفي سرعة البرق، جمعت هيئة من ٥٠٠ رجل وعقد اجتماع للتشاور:

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ. يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ (الشعراء، ٣٤ - ٣٥)

مبارزة بين المعجزة والسحر

إن المعجزات التي تقدم بها موسى عليه السلام قد مزقت مشاعر الكبر لدى فرعون؛ فاضطر إلى ترك ما يدعيه من ألوهية ويتنزل إلى الأشراف من حوله في محاولة لأخذ المشورة منهم.

﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ (الشعراء، ٣٦ - ٣٧)

وفي تلك الفترة، كان السحر أمراً شديد الإنتشار. ولهذا قبل فرعون مباشرة بهذا الرأي.

يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى. قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ (طه، ٥٦ -٧٥)

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ (طه، ٥٨)

فيجيبه موسى عليه السلام بقوله:

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (طه، ٥٩)

﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى﴾ (طه، ٦٠)

﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ. وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ (الشعراء، ٣٨ - ٣٩)

ويجتمع الناس جميعاً في يوم المبارزة هذه. وكان الناس يترقبون بكل شوق لما سيؤول إليه هذا التحدي.

﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ (الشعراء، ٤٠)

﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ (الشعراء، ٤١)

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (الشعراء، ٤٢)

ويسأل فرعون: "- هل يمكنكم أن تغلبوا موسى؟"

فيجيبه السحرة بقولهم:

"- نحن آخر ما توصل إليه السحر! فلا يوجد أحد في هذا العالم هو أعلم منا بأمور السحر! أي أننا نحن في أعلى القمة! فلا يمكن لأحد أن يغلبنا إن لم يكن لديه ما يسانده من قوة من السماء. فلا شك في أننا نحن أشد قوة وشدة!."

ويحذر موسى عليه السلام السحرة بقوله:

﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ (طه، ٦١)

وكان هذا التحذير سبباً في تفكير السحرة:

﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى﴾ (طه، ٦٢)

﴿قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ (طه، ٦٣)

وأمام هذا الأمر، يتجه موسى عليه السلام إليهم فيقول:

﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾ (طه، ٦٤)

وبرغم من كل شيء، يظهر السحرة احتراماً وحرمة لموسى عليه السلام فيقولون:

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (طه، ٦٥)

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ (طه، ٦٦)

﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ (طه، ٦٧)

﴿قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ (طه، ٦٨)

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ (طه، ٦٩)

فيستجمع موسى عليه السلام قوته. ويزول ما به من خوف:

﴿فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس، ٨١)

وكما توضح الآية القرآنية الكريمة، فإن السحر ليس إلا عملية خداع وفساد وحيلة.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الأعراف، ١١٧)

﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ (الشعراء، ٤٥)

سجود السحرة

ألقى السحرة أمام أعين فرعون وشعب مصر بضعة من الحبال والعصا. فبدأت تتحرك كما تتحرك الحية في حركاتها. ولكن، وعندما ألقى موسى عليه السلام عصاه بناءً للأمر الإلهي، كانت كالثعبان الضخم الذي

تقدم وابتلع كل ما ألقوا من آلات السحر في وسط هذا الميدان. ففهم السحرة بأن هذا الأمر لا يمكن له أن يكون عملاً من الفن أو المعرفة البشرية، وإنما هو معجزة إلهية حقيقية.

ذلك أنه لو كان سحراً لكانت تلك الحبال والعصي ستعود إلى مكانها بعد أن ينتهي مفعول هذا السحر. ولكن، إضافة إلى انتهاء مفعول ما قاموا به من سحر، اختفت جميع هذه الحبال والعصي.

﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف، ١١٨)

تلقف عصا موسى كل ما ألقى به السحرة من آلات للسحر دون أن يظهر عليها أي فرق في الحجم. ذلك أن الله تعالى أراد أن يظهر للسحرة أن هذا الأمر ليس عملاً من أعمال البشر وإنما هو من أمور القدرة الإلهية.

علماً أن ما قام به السحرة من أمر لم يكن إلا عملاً من الأعمال التي تعتمد على الحيلة والسحر التي ليست إلا من أعمال البشر.

ولهذا، لم يكن ما أظهرته عصا موسى من حادثة إلا تجل واضح لقدرة الله تعالى وليس أي أمر آخر. ولهذا فإنها كانت تزيل كل حيل السحرة عادة.

ولهذا، ولكي يفهم رئيس السحرة إن كان ما قامت به عصا موسى من أمر هو حيلة بشرية تعتمد على براعته البشرية، أم أنها قدرة سماوية خالصة، توجه إلى رفاقه منبهاً لهم بقوله:

"- بينما تتم هذه الأمور فلننظر بدقة إلى موسى لنرى كيف يكون عليه من حال؟"

ففعل أصحابه بما أشار لهم به. وتابعوا حالة موسى عليه السلام بكل دقة وحذر. وأخبروا بعد ذلك رئيسهم بحاله فقالوا: "- بينما كانت تلك الأمور تجري، كان لون موسى عليه السلام يتغير. فهو من ناحية في حال من خشية الله ومشاهداً لظهور التجلي الإلهي، وكانت العصا من ناحية أخرى تقوم بما قامت به من وظيفة"

وعندما سمع رئيس السحرة هذا الأمر قال:

"- إذن هو تَجلّ من الله، وليس من عمل موسى. ذلك أن الساحر لا يخاف من سحره. فهل يخاف الصانع من صنعته، بل إنه يقوم به بكل سهولة وراحة."

وبعد أن قال رئيس السحرة قوله هذا، آمن رئيس السحرة بنبوة موسى عليه السلام. وتبعه رفاقه من السحرة الآخرين فتشرفوا جميعاً بالإيمان. (عبد القادر الجيلاني، الفتح الرباني، ص ٣٨)

يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ. قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ. رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ. ﴾ (الشعراء، ٤٦ - ٤٨)

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (الشعراء، ٤٩)

ويوصف هذا الحال في آية قرآنية أخرى بقوله تعالى:

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ (طه، ٧١)

إن الإتحاد والتعاون التي يُبْنَى على المنفعة ينتهي بانتهاء هذه المنفعة. فلو أن السحرة لم يؤمنوا واستمروا على دعمهم لفرعون، لكانوا بقوا على ما هم عليه من القبول لديه.

بل وربما كانوا ليسبحوا في بحر من النعم التي ستغدق عليهم. ولكن، وما إن رزقت قلوبهم نعمة الإنفتاح على الإيمان، لم يبق لديهم إلا النعمة الأبدية الباقية؛ تلك التي رجح السحرة قيمتها على النعم والراحة الفانية، أي المؤقتة، ولهذا، وأمام تهديد فرعون لهم:

﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا﴾ (طه، ٧٢)

ومن ثم:

﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء، ٥٠)

ذلك أن تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف إن هو إلا عذاب ينتمي إلى هذه الدنيا الفانية. وما الجسد إلا ضحية ستلقى في التراب. ففي الجسد فناء، وفي الروح أبدية (أي لا نهاية). ولا يمكن ترجيح الفاني على الباقي. ولهذا السبب، وعندما رأى السحرة تلك المعجزات الواضحة، أظهروا لفرعون كما تروي لنا الآية الكريمة تصرفاً لم يكن فرعون ليتوقعه منهم:

"- إن ظلمك لا يصيبنا بالضرر، فظلم هو من فعل هذه الدنيا، أما السعادة في الآخرة فهي أبدية!."

ويكملون بقولهم:

﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ (طه، ٧٣)

﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء، ٥١)

ومن ثم يلتجئون إلى الله تعالى فيقولون:

﴿...رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف، ١٢٦)

وهكذا، وبعد أن خرج السحرة صباح ذلك اليوم بهوية الكفر إلى تلك المبارزة، تحولوا بعد فترة وجيزة جداً إلى أفراد مؤمنين فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ونالوا رفعة الشهادة والولاء لله رب العالمين.

وهذه الحادثة التي كانت بين موسى عليه السلام والسحرة، قد تم ذكرها في القرآن الكريم بعبارات مختلفة متعددة من ناحية السياق والسباق في أربع سور مختلفة.

ومما لا شك فيه أن هذه الحادثة التي حدثت لمرة واحدة، وذكرت في أربع مواضع مختلفة في القرآن الكريم، هي حادثة تحتوي في طياتها للعديد من الأسرار والحكم وهي من الأهمية بكثير.

ولكم هي عبرة كبيرة أن لا يدعو السحرة ربهم أمام ما تعرضوا له من الشدة بقولهم:

"- يا ربي! انقذنا من ظلم هذا الظالم!."

بل صبروا أمام الجفاء والأذى الفاني وقدموا الروح لربهم مسلمين. علماً أنهم كانوا حتى اللحظة الآخرة من أنفاسهم في هذه الحياة قلقين من الوقوع في الضعف والتمكن من تسليم روحهم لله مسلمين ومؤمنين.

ويحدثنا القرآن الكريم عن الأنفاس الأخيرة فيقول:

﴿يآ اَيُّهَا الَّذينَ اٰمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ اِلاَّ وَ اَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران، ١٠٢)

وسبيل الإمتثال لهذا التحذير الإلهي هو المعيشة حتى آخر نفس في هذه الحياة ضمن ما أشار إليه الله تعالى ورسوله الأكرم عليه الصلاة والسلام واللجوء إلى لطف الله تعالى دائماً. ويبين الله تعالى طريق المعيشة على الصراط المستقيم والوصول بين يدي الله تعال على هذه الحالة فيقول لنا في الآية الكريمة:

﴿يآ اَيُّهَا الَّذِينُ اٰمَنُوا اِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ اَقْدَامَكُمْ﴾ (محمد، ٧)

يروي مولانا جلال الدين الرومي تفسيره حول هذه القصة بتوضيح إشاري فيقول:

"إن السحرة بما أظهروه من رعاية واحترام ولياقة في بداية هذه المبارزة لنبي من أنبياء أولي العزم، وعبد عظيم مقرب من الله، لهو أمر يدل على ميلهم نحو عقيدة التوحيد، ولكن خروجهم إلى مبارزة هذا النبي العظيم كان سبباً في عقابهم الذي آلوا إليه."

وبالفعل، إن هذا التعظيم المتواضع الذي أظهره السحرة لسيدنا موسى عليه السلام هو وسيلة واضحة أدت إلى اقترابهم من نافذة الإيمان والهداية. علماً أن الحب لمن يليق به والخصومة لمن يستحقها هي أمور مؤثرة استثنائية تزيد من الرفعة في هذه الحياة.

ويحلل مولانا جلال الدين الرومي قدس الله سره هذه الحادثة بوجهها العميق فيقول:

"يهدد فرعون الظالم والملعون السحرة بالموت لإيمانهم فيقول:

"لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف. ولأصلبنكم أجمعين."

وكان فرعون يعتقد أن السحرة عند ذلك سيخافون ويقلقون وترتجف أوصالهم ويخضعون لما يأمرهم به.

ولكنَّ فرعون لم يكن يعلم أن هؤلاء السحرة قد تخلصوا من الخوف والقلق، ووفقوا إلى الشعور بالحقائق والأسرار الإلهية.

فهم ولو ضربوا في فلك السماء مئة مرة وأصبحوا كحبات الطحين فهم أصبحوا على بصيرة من الأمر وأدركوا أهمية انفصال ظلهم عنهم."

(أي أنهم أدركوا أن الروح أصل والبدن هو مجرد ظل لا قيمة له، وبالتالي فهم باتوا تواقين للفداء بظلهم وصولاً إلى الأصل، أي الوصول إلى مرتبة "الفناء في الله"[١].)

(أيها الإنسان! إن هذه الدنيا هي عبارة عن نوم ورؤية. فلا يغرنك فيها الدبدبة ولا المسير! فإن قطعت فيها يدك أو قطع جسدك أجزاءً وأجزاء فلا تخف! فقد قيل فيها: "وما الحياة إلا عبارة عن حلم!".)

ماشطة فرعون

وكانت خادمة لابنة فرعون.

في إحدى الأيام، وبينما كانت تستعد لمشط شعر ابنة فرعون تلفظت بالبسملة. فسمعت الفتاة هذا الأمر فأسرعت لتخبر أباها بهذا الأمر.

فنادى فرعون الماشطة فوراً وسألها عما بدر منها من أمر.

فأجابته بحماسة الإيمان الذي يعمر في داخلها بقولها:

«- أنت كما نحن فانٍ! فكيف لك أن تكون علينا إلهاً؟»

فيغضب فرعون كثيراً ويقول:

«- إذن، لقد آمنت أنت أيضاً لموسى، وأصبحت تابعة له، أليس كذلك؟»

ومن ثم بدأ بتعذيب هذه الماشطة رويداً رويداً. ولكنها برغم كل ما أصابها من تعذيب لم ترجع عما آمنت به من عقيدة.

١ الفناء في الله: أن يفنى الإنسان في وجود الله

وأمام هذا الإصرار، أحضرت ابنة هذه الماشطة ذات الخمس سنين أمامها وقيل لها تهديداً:

«- إن لم تقبلي بألوهية فرعون لنقطعن رأس ابنتك!»

ولكن الماشطة لم ترجع أيضاً عما آمنت به.

وأخيراً، قتلت ابنتها أمام أعينها ومسح وجهها بدم ابنتها. ولكنها بقيت في حالة من العشق والوجد لله تعالى وقالت:

«- الله واحد! الله واحد! وموسى هو رسوله!.»

ويصل فرعون وأعوانه في غضبهم إلى أشده. فيأتون هذه المرة بطفلها ذو الثلاثة أشهر. ويمدون به إلى أمه. فيبدأ الطفل يبحث في صدرها عن الحليب ليشربه. فيبعدونه عنها ويقولون:

«- إن لم تتركي هذه الدعوة فإننا سنلقي بولدك هذا في الفرن!»

فتصبر الماشطة على هذا الألم أيضاً ولا تحيد بذرة عن إيمانها. فيلقى في نهاية الأمر طفلها ذو الأشهر الثلاثة في الفرن. ويروى أن هذا الطفل ينطق من بين النيران ويقول:

«- أمي، إياك وأن تحيدي عن الإيمان واصبري! فإني أرى بأنه لم يبق بينك وبين الجنة إلا خطوة واحدة!»

ويؤمن كل من سمع هذا القول بسيدنا موسى عليه السلام.

وأخيراً، تستشهد الماشطة وتذهب إلى جوار أولادها في الجنة.

وتروي لنا أحاديث السيرة النبوية الشريفة عن قصة ماشطة فرعون، فيروي لنا عبيد بن كعب رضي الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ليلة أسري به وجد ريحاً طيبة فقال:

"يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ؟"

فقال جبريل عليه السلام:

(هَذِهِ رِيحُ قَبْرِ الْمَاشِطَةِ وَابْنَيْهَا وَزَوْجِهَا) (ابن ماجه، الفتن، ٢٣/ ٤٠٣٠)

استشهاد سيدتنا آسيا

بعد ما قام به فرعون من ظلم وقع بحق ماشطته، غضبت سيدتنا آسيا غضباً شديداً، بل وحقرت فرعون على ذلك. ففهم عندها فرعون أن سيدتنا آسيا قد آمنت هي الأخرى بموسى عليه السلام. فلم تشأ سيدتنا آسيا أن تخفي هذه الحقيقة بعد ذلك وقالت مقرة:

«- نعم، وأنا أيضاً آمنت برب موسى!»

يروى في هذا الشأن أن فرعون أمر بربط آسيا على أربعة أعمدة. وجعلها تستلقي على ظهرها. ومن ثم أمر فوضع عليها صخرة كبيرة. وأنالها الشهادة بعد أن ظلمها وعذبها بشتى الوسائل.

بينما كان موسى ﷺ يمر بقرب إحدى أماكن التعذيب شاهد أنواعاً شديدة من العذاب الذي تلقاه سيدتنا آسيا. فالتفتت إليه سيدتنا آسيا لتشير إليه بدرجة الألم الذي تشعر به. فيدعو الله لها. وبهذا لم تعد تشعر منذ تلك اللحظة بأي نوع من أنواع الألم.

وفي رواية أخرى، تترك سيدتنا آسيا في وسط صحراء ملتهبة.

فتأتي الملائكة لتكون لها ظلاً إلى أن تفارق الروح شهيدة بهذا الشكل. ويتحدث القرآن الكريم عنها بكل امتداح فيقول تعالى:

﴿وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (التحريم، ١١)

وبحسب إحدى الروايات، فإن دعاء سيدتنا آسيا الذي ذكر في القرآن هو دعاء ناجت به الله تعالى خلال فترة التعذيب. فيأتيها الإلهام في تلك اللحظة يقول لها:

"- إرفعي رأسك!"

فترفع رأسها إلى السماء لترفع عن عينيها الغشاءة فترى قصراً من المجوهرات البيض يبنى لأجلها. فكانت تنظر إلى ذلك القصر بابتسامة لا تشعر فيها بأي نوع من أنواع العذاب.

ويتحدث سليمان الشلبي عن فضيلة سيدتنا آسيا وتواجدها خلال ولادة النبي محمد ﷺ مع الملائكة والحور العين ومباركتهم جميعاً لآمنة أم الرسول عليه الصلاة والسلام:

هي آسيا المحبوبة

قالوا قدرك كابنك جميل

لم يعطوا للأم ذاك الجليل

القلعة

بينما كان موسى ﷺ يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد، كانت أعداد المؤمنين في تزايد، وغضب فرعون وظلمه يتصاعد. فقام ببناء قلعة كبيرة. وكان يتم الصعود إلى هذه القلعة ركوباً على الحيوانات. وانتهى بناؤها في سبعة سنين.



وكانت غاية فرعون بحماقته أن يصعد إلى قمة هذه القلعة ليرى إله موسى! فهو لما كان عليه من بعد عن الإدراك بالتوحيد، كان يعتقد بأن الصورة الإلهية هي كما هو الحال بالنسبة للأشكال البشرية في هذا العالم، أي كما هي عقيدة الأنتروبومورفيك. وهو ما يعرف بإعطاء الأشكال للصفة الإلهية. كما كان الحال في العقيدة اليونانية التي جعلت للآلهة تصورات مختلفة؛ كإله الأرض وإله السماء وإله الحب وهكذا...

وكان يهدف من هذه القلعة أن يخرج إليها فيقول محاولاً بث الفتنة في القلوب:

«- نحن بما نمتلكه من قدرة وقوة وإمكانات وحضارة لم نتمكن من إيجاد إله موسى، فكيف صعد موسى إليه وأحضر إلينا أخباره!»

تقول الآية الكريمة:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ (غافر، ٣٦ - ٣٧)

يروى أن الله تعالى يأمر جبريل عليه السلام، فيضرب بجناحه هذه القلعة. فينقسم البناء إلى أجزاء ثلاثة. ويقتل خلال ذلك آلاف الجند. ويحترق كل من كان يحمي الطوب والقرميد.

وعندما لم يوفق فرعون في هذا الأمر أيضاً، ازداد حنقه وغضبه. ووصل ظلم الأقباط للأسباط إلى أقصى حد ممكن أن يصل إليه:

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف، ١٢٧)

ويشتكي بنو إسرائيل هذا الأمر لموسى عليه السلام. فيوصيهم بالصبر:

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

(الأعراف، ١٢٨)

ولكن قومه يبدأون رويداً رويداً باتخاذ موقف من موسى عليه السلام. وكانوا دائماً ما يظهرون قلة الصبر ويسببون الأزمات لأنبيائهم. وذلك لكونهم من أصحاب التفكير المادي:

﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِينَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف، ١٢٩)

وهكذا، يبين الله تعالى ويشير إلى أن العاقبة والمستقبل هو من نصيب المؤمنين. وبينما كان الأقباط مستمرين في ظلمهم، يدعو موسى عليه السلام ربه طلباً لانتهاء هذا الظلم. فتبدأ العلامات بالظهور الواحدة تلو الأخرى تصيب قوم الأقباط بشكل متسلسل ومتتالٍ:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (الأعراف، ١٣٠)

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَـذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف، ١٣١)

معجزات متفرقة

﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف، ١٣٢)

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ (الأعراف، ١٣٣)

وكان الأقباط عند إصابتهم بالعذاب يقولون لموسى عليه السلام "العالم الكبير!". وإذا ما زال عنهم عادوا لعصيانهم فقالوا "لقد كان أمراً عابراً."

وكان البلاء يصيبهم كلما وصل بهم الظلم إلى أقصى درجاته. فكان كما أخبرت الآية القرآنية بأن يأتي البلاء إلى مجتمع الأقباط كلما اشتد بهم الظلم فحلت عليهم العديد من المصائب والابتلاءات:

١. **الطوفان:**

كان الله تعالى يمطر السماء بغزارة. فتمتلىء بيوت الأقباط بالماء. ويغرقون في الماء حتى رقابهم. وكان يغرق من يجلس منهم. ووصلوا إلى حال من الهلاك. ولم يكن يصيب الأسباط شيءٌ من ذلك.

فيسرعوا إلى موسى عليه السلام بقولهم:

«- يا موسى! ادع لنا ربك؛ فإن أبعد عنا هذا البلاء آمنا وسمحنا لك ولقومك بالرحيل.»

فيدعو موسى عليه السلام ربه. فينحسر الماء.

وتبدأ مرحلة من الوفرة. فيعود الأقباط إلى عصيانهم ويقولون:

«- لم يكن هذا الماء عذاباً لنا، بل كان نعمة! وكان لا بد له وأن يزول! ولم يحصل أي من ذلك بدعاء موسى!.»

٢. الجراد:

بعد فترة من الزمن، يرسل الله تعالى عليهم أسراب الجراد. فتأكل كل ما أنعم الله به عليهم. ويتلف كل شيء. ولكنها لا تصيب من الأسباط شيئاً من الأذى.

فيأتي الأقباط إلى موسى عليه السلام مرة أخرى:

«- أيها العالم! أُدْعُ ربك؛ فإن أبعد عنا هذا البلاء آمنا بك وقبلنا بك!.» فيدعو موسى ربه ويذهب عنهم البلاء.

ولكن الأقباط يحنثون في عهدهم مرة أخرى عندما يصلون إلى راحة انقضاء هذا البلاء. فيعودون إلى ما كانوا عليه من الظلم والعصيان.

٣. القمل والبرغوث:

فيسلط الله تعالى عليهم هذه المرة القمل والبرغوث. فتمتلىء أطباقهم بالبرغوث والقمل كلما أرادوا الطعام. وكان هذا الإبتلاءُ كبيراً. فأسرعوا مرة أخرى إلى موسى عليه السلام. فدعا ربه ونجوا مرة أخرى من ذلك. ولكنهم مالوا إلى العذاب مرة أخرى.

٤. الضفادع:

في هذه المرة، ذهب موسى عليه السلام إلى نهر النيل. فضربه بعصاه فخرجت جميع الضفادع منه إلى قلب مصر. فامتلأ كل شيء حتى أطباق الطعام بهذه الضفادع. فأتى الأقباط مرة أخرى إلى موسى عليه السلام وقالوا:

«- أيها العالم! إننا فعلاً نادمون هذه المرة؛ سنترككم إلى الأرض الموعودة (القدس)!.»

ولكن، وعندما رفع البلاء بدعاء موسى ﷺ، عادوا إلى سابق عهدهم من الأفعال مرة أخرى.

٥. الدم:

ولما لم يرجع الأقباط مما هم فيه، حول الله في هذه المرة نهر النيل إلى نهر من الدم. فلم يجد الأقباط ما يشربون. أما بالنسبة للأسباط، فبقي نهر النيل على ما هو عليه من الصفاء فاستمروا بشربه واستخدامه. أما بالنسبة للأقباط فكان يتحول دماً. فعادوا مرة أخرى يهرعون إلى موسى ﷺ فحجب عنهم هذا البلاء أيضاً.

ولكن الأقباط عادوا إلى ما هم عليه من العصيان مرة أخرى.



يوضح مولانا جلال الدين الرومي في كتابه المثنوي بأسلوب أهل التصوف حالة نهر النيل والدم بشكل جميل فيقول:

"يأتي قبطي يتلوى من الحرارة إلى منزل أحد الأسباط يرجوه بشدة:

"- أنا صديقك وقريبك. وأنا اليوم في أشد الحالة إليك. إملأ لنفسك كأساً من النيل ليشرب اليوم صديقك القديم الماء من يديك! لأنك إن ملأتها لنفسك لا يخرج فيها الدم. وتكون صافية محمية من السحر."

ويسعى السبطي لحمل القبطي على فهم هذه المعجزة فيملأ كأساً من الماء من نهر النيل ويقربها من فمه ويشرب نصف ما فيها من ماء. ومن ثم يحول هذا الكأس إلى القبطي ويقول له:

"- هيا، إشرب!"

فيمد القبطي فمه بسرور إليه. ولكن الماء يتحول إلى الدم. فيعيد السبطي الكأس إلى ناحيته فيعود ماءً كما كان عليه.

فيغضب القبطي. ويجلس إلى أن يذهب غضبه.

ثم يقول للسبطي:

"- أيها الأخ! كيف لهذه العقدة أن تحل؟ وما هو سر ذلك؟"

فيجيبه السبطي قائلاً:

"- لا يمكن لأحد من الناس أن يشرب من ماء النيل الصافي والعذب إلا من آمن بيوسف ﷺ. فإن تركت طريق فرعون ودخلت مع موسى ﷺ في طريقه، فإنك عندها ستتمكن من الحصول على صفاء ولذة هذا الماء!."

ويكمل السبطي نصيحته إلى القبطي فيقول:

"- كن في صلح مع القمر ترى العجب!."

(والقصد هنا من القمر هو موسى عليه السلام؛ أما العجب فهو معجزة هذا النبي)

"- إن حقدك على عباد الله المخلصين، قد جعل منك أعمى وأصم فأغلق أطرافك بآلاف الستائر! فأصبحت تسير في وادي الكفر والضلال بشكل أعمى عن الحقيقة! فأذب كفرك الذي يشبه الجبال بالمغفرة ترى الهداية! فتأخذ أنت أيضاً نصيبك من كأس من حصل على المعرفة!

فكيف لك أن تتمكن من شرب ماء النيل حيلة والله تعالى حرم شرب هذا النهر على الكافرين؟ أيها القبطي! أهو من جرأة النيل أن يترك الأمر الإلهي ويكون ماءً للكافرين!..."



وأمام كل هذا التجلي:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (غافر،٢٦)

وتشير هذه الآية الكريمة إلى أن فرعون أراد قتل موسى عليه السلام ولكن الجمع من حوله كان يمنعه عن ذلك.

لأن من حوله كان يقول لفرعون:

"- إنه ليس ذا شأن لتخاف منه. فأنت إله! علماً أنك إن قتله أدخلت الشبهة في قلوب الشعب! فيظن الجميع بأنك عاجز أمام معجزات موسى..."

كما أن قول فرعون هذا يظهر في الوقت نفسه درجة الخوف التي وصل إليها فرعون من قدرة موسى عليه السلام. وفي الواقع، كان فرعون يقبل ضمنياً في وجدانه بنبوة موسى عليه السلام.

ولكن غروره وتكبره وعناده الأعمى كان يمنعه من الإيمان به.

وأمام أفعال فرعون هذه:

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (غافر، ٢٧)

ولهذا يعبر بعض المفسرين عن حكمة ترك فرعون للإيمان بعد كل هذا القدر من المعجزات من خلال هذا الدعاء الذي تكلم به موسى عليه السلام. وما يتحدثون عنه من أمور هي:

أ- **ترك الإيمان بالآخرة.**

ب- **التكبر الشديد.**

علماً أن المتكبر هو فرد يرغب دائماً في رؤية جميع من حوله في مرتبة هي أدنى منه. ولهذا فإن الأحاديث النبوية الشريفة تتحدث عن الكبر وتصفه بأنه من كبائر الذنوب، فيقول ﷺ:

"لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ" (مسلم، الإيمان، ١٤٧)

إن الإيمان هو أمر ذو درجة عظيمة جداً تؤمن للمرء من خلال إيمانه هذا الحصول على العفو الإلهي وبالتالي أن يصل إلى نعم الجنة بعد أن يدفع كفارة ما ارتكبه من الذنوب. ولكن الكبر الذي هو صفة إبليس، هو صفة بشعة إلى درجة تمنع وجود الإيمان وبالتالي الدخول إلى الجنة.

وفي حديث نبوي شريف آخر يقول رسول الله ﷺ:

"بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ" (مسلم، البر، ٣٢؛ أبو داود، الأدب، ٣٥؛ الترمذي، البر، ١٨)

وكم هي جميلة نصيحة لقمان عليه السلام لابنه حينما قال له محذراً من الكبر والغرور:

﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان، ١٨)

وتقول الآية ٣٧ من سورة الإسراء أيضاً:

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾

ويخبرنا الله تعالى عن حكمته في عقاب فرعون وأعوانه الذين غرقوا في مستنقع الغرور والكبر فيقول في الآية الكريمة:

﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الزخرف، ٤٨)

إن هذه الأمة التي ربيت بالإبتلاء كانت أمة تنقلب كالغنم في أوقات العذاب والضيق، وتكون كالوحوش عند رفع العذاب عنها. ويخبر الله تعالى عن حالهم المتقلبة وامتناعهم عن الإمتثال لعهودهم فيقول جَلَّ وعَلا في القرآن الكريم:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ (الأعراف، ١٣٤)

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ. فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (الزخرف، ٤٩ – ٥٠)

﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (الأعراف، ١٣٥)

دعاية فرعون البائسة

أمام ما وقع به فرعون من العجز تجاه معجزات موسى ﷺوخوفه من دخول الناس في دين التوحيد، امر ببناء سرادق على ضفاف نهر النيل. وبقي لمدة سنتين يدعو القادمين من الناس من خلال هذه السرادق بقوله:

«- لا تؤمنوا لموسى!» ويقول:

«- مع ما أنتم عليه من عبادة لآلهتكم فأنا أيضاً ربكم!»

﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ. أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾ (الزخرف، ٥١ – ٥٢)

وكان فرعون يحاول أن يضع مجده وثروته وقدرته وسلطنته من جهة، ويضع قبالتها موسى ﷺ بلسانه المتعثر في النطق، وفقره وضعفه، فكان يقول:

﴿فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ (الزخرف، ٥٣)

مدعياً بأن رجلاً كهذا لا يمكن له أن يكون نبياً.

وهكذا:

﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (الزخرف، ٥٤)

الخروج من مصر

كان فرعون وأتباعه يستخدمون تفوقهم الدنيوي في تعذيب من آمن بالله تعالى. فكانوا لا يريدون الإيمان ولا يرتدعون على الرغم من كل ما يلاقونه من تجل للعذاب الإلهي الذي يحيط بهم ورغم كل ما يرونه من المعجزات.وفي نهاية الأمر، يضطر موسى ﷺ للدعاء عليهم:

﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالاً فِي الْحَيوةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (يونس، ٨٨)

﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلاَ تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (يونس، ٨٩)

بعد دعوة موسى ﷺ بذلك، أصيب الأقباط بالأمراض الجلدية. وعم الجفاف لأيام ثلاثة. وكانت كل عائلة من الأقباط تصاب بابتلاء مختلف عن غيرها. فيجبر فرعون على السماح لبني إسرائيل بالخروج من مصر. ولكنه كما هو الحال في كل مرة، يعود عن عهده بعد زوال ما يحيط به من ابتلاء.

ولهذا، واستجابة منه للأمر الإلهي، يتجه موسى وبنو إسرائيل معاً إلى منطقة تدعى سويش في عتمة الليل. وتصاب جميع بنات فرعون في تلك الليلة بمرض الطاعون ويمُتْنَ جميعهن.

فما يكون من فرعون الذي كان غاضباً إلا أن ازداد غضباً على وفاة بناته، فيقول:

"- هذا من فعل موسى!"

وبسبب انشغاله في دفن بناته، يستفيد موسى عليه السلام بكثير من الوقت. فما إن يصل إلى فرعون هذا الخبر حتى يكون الأمر قد وقع وانتهى...

يقول الله تعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾ (الشعراء، ٥٢)

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لاَ تَخَافُ دَرَكًا وَلاَ تَخْشَى﴾ (طه، ٧٧)

ولما وصل الخبر إلى فرعون كان في فورة من أمره:

﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ. إِنَّ هَؤُلاَءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ. وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ﴾ (الشعراء، ٥٣ - ٥٦)

وأخيراً، يجمع فرعون جيشه ويحاول اللحاق بموسى عليه السلام:

﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ (الشعراء، ٦٠)

﴿فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ (الشعراء، ٦١)

﴿قَالَ كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء، ٦٢)

وهكذا، كان البحر الأحمر من أمام موسى عليه السلام وفرعون وجيشه من خلفه.

البحر الأحمر: بحر السلامة والكارثة

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ (الشعراء، ٦٣)

وبدأ بنو إسرائيل يعبرون البحر عبر الطرق التي تشكلت بين جبال من الماء من كلا الجهتين، بل إن بني إسرائيل قالوا لموسى:

"- يا موسى! افتح بيننا نوافذ لنتمكن من رؤية بعضنا البعض!"



فدعا موسى عليه السلام ربه. فظهرت بين الأمواج نوافذ تمكنوا من خلالها رؤية بعضهم البعض أثناء هذا العبور.

وكان فرعون صاحِبَ استدراك للأمور. فالتفت إلى جيشه وقال:

"- اُنظروا إلى البحر! ألا ترون كيف انفلق شطرين من هيبتي فتشكلت الطرقات من خلاله لأتمكن من اللحاق بمن هرب مني وسار أمامي!؟"

أي أن فرعون لم يكن يرى فلق البحر معجزة من معجزات موسى عليه السلام وإنما كان من خلال فهمه هذا غارقاً في الضلالة والحماقة والغفلة.

ومن ثم أمر جنده فقال لهم:

"- سأقتلهم جميعاً! سيروا إلى البحر!."

ولكنه تردد للحظة وخاف. وفكر في العدول عن الأمر.

ولكنه وبحسب إحدى الروايات فإن جبريل عليه السلام تمثل أمامهم على شكل رجل يركب حصاناً أبيض قائلاً لهم:

"- هيا، تقدموا!."

ووقف ميكائيل عليه السلام من خلف جيش فرعون وقال لمن في المؤخرة:

"- هيا، لا تبقوا في المؤخرة، وتقدموا!."

وأخيراً مشى جميع الجيش وتقدم.

يقول الله تعالى:

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ (الشعراء، ٦٤)

وهكذا، سار موسى وقومه في وسط البحر وسار فرعون وجيشه من خلفهم. ولكنهم وبتجلٍّ للقهر الإلهي غرقوا في هذا البحر الواسع وهلكوا وولوا.

﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ. ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (الشعراء، ٦٥ - ٦٦)

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف، ١٣٦)

﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾ (الزخرف، ٥٦)

﴿إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء، ٦٧)

ونجا جميع بني إسرائيل بلطف الله. وكان ذلك اليوم **هو اليوم العاشر من شهر محرم**. فصام الجميع شكراً لله على نجاتهم. يقص الحق تعالى علينا هذا الإحسان في الآية الكريمة فيقول:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذلِكُم بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة، ٤٩)

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة، ٥٠)

إيمان لم يقبل: إيمان فرعون

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لاَ إِلـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (يونس، ٩٠)

بينما كان فرعون على مقربة من الغرق بين أمواج البحر الأحمر، حاول التمسك بحلقة الإيمان مجبراً على ذلك لما هو عليه من حال فيقول الله تعالى عنه:

﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (يونس، ٩١)

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ (يونس، ٩٢)

يفسر الإمام الزمخشري هذه الآية الكريمة بقوله:

«سنرميك على زاوية من أطراف هذا البحر. بجسدك الذي سنحميه كاملاً دون أي نقصان أو تلف، عارياً بدون أي لباس، وذلك لتكون عبرة لمن يأتي من بعدك على مدى العصور الطويلة.»



جسد فرعون المعروض في المتحف البريطاني في إنكلترا

وبحسب الأبحاث التي تم القيام بها في السنوات الأخيرة، تبين أن جسد فرعون

قد وجد على شاطيء البحر بوضعية السجود على وجهه. وهذا الجسد هو الآن في المتحف البريطاني، يعرض للناس في مشهد للعبرة والموعظة. وهذه الحقيقة هي معجزة إلهية أعلن عنها الله تعالى في القرآن الكريم لتبقى إلى يوم القيامة.

فعلى الرغم من بقاء جسد فرعون في البحر وبقائه كل هذه المدة من العصور، إلا أنه بقي دون تلف أو عفن. فكان كما أخبر القرآن الكريم في هذه الآية بأن حُفِظَ هذا الجسد ورُمِيَ على الشاطيء. ليتم إيجاده بعد أكثر من ثلاثة آلافِ سنة ليعرض في إنكلترا في المتحف ليكون علامة للعبرة والموعظة.

بعد عبور البحر الأحمر

ذهب موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى أرض كنعان. وبينما هم في طريقهم مروا بقوم يعبدون الأصنام والثور. فقال بعضهم:

«- يا موسى! اجعل لنا آلهة كما لهم آلهة نعبدها!.»

فنصحهم موسى عليه السلام وقال:

«- لقد أنجاكم الله من الظلم. كان الأقباط يقتلون أبناءكم ويستعبدون بناتكم لخدمتهم. فهل ستعصون الله بعد كل ذلك وتغوصون في بحار الشرك؟»

يقول الله تعالى:

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف، ١٣٨)

﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف، ١٣٩)

﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف، ١٤٠)

﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (الأعراف، ١٤١)

ويؤسس موسى عليه السلام جيشين من ١٢,٠٠٠ رجلاً. وأرسلهما إلى مصر. فلم يبق معه غير الأطفال والعجزة. وكان على رأس أحد الجيشين يوشع بن نون عليه السلام، وعلى رأس الجيش الثاني كاتب بن يوحنا. فعادوا بالغنائم. وباعوا ما لم يتمكنوا من حمله. فأصبح الأقباط في حالة يرثى لها.

يخبر الله تعالى عن هذا الأمر فيقول في القرآن الكريم:

﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ (الشعراء، ٥٧ – ٥٨)

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف، ١٣٧)

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الشعراء، ٥٩)

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ. وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ. وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ (الدخان، ٢٥ – ٢٧)

﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ (الدخان، ٢٨)

﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ (الدخان، ٢٩)

فكم هو جميل ما أوحى به الله تعالى من وصف للعاقبة الحزينة ووالزوال في التاريخ كالقامة للمجتمعات التي أصيبت بالقهر الإلهي. يقول تعالى:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ (مريم، ٩٨)

امتحانهم بمحاربة العمالقة في بلدة أريحا وصحراء التيه

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (المائدة، ٢٠)

إن هذه الآيات هي آيات متعلقة ببني إسرائيل زمن موسى عليه السلام. ولهذا السبب، فإن ما يقولون به "نحن حائزون على النعم مما لم يعط أحدٌ من العالمين" أو قولهم "إن الأرض المقدسة كتبت لهم وطناً" هي جمل تصح لتلك الحقبة الزمنة فقط. فكم هي الأحاديث النبوية الشريفة ومئات الآيات القرآنية التي تتحدث عن أن النبي محمداً ﷺ هو خير نعمة أتت أو ستأتي وبأنه لطف لا مثيل له من الله تعالى ونعمة منه إلى الإنسانية جمعاء. أما وراثة الأرض المقدسة، فقد حدد القرآن الكريم ورثتها بقوله جَلَّ وعّلا:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء، ١٠٥)

تشير هذه الآية الكريمة إلى أن أهل الظلم وظلمهم لن يستمر دائماً؛ وبأن الخير أصل، والشر عرض زائل؛ وبالتالي فإن الحاكمية، عاجلاً أم آجلاً، ستؤول إلى أيدي الصالحين. وهو ما يبين كمال الشمول في الحياة الإسلامية في هذه الدنيا.

خرج موسى عليه السلام في رحلته ليأتي بقومه إلى أرض كنعان. وكانوا سيستقرون في المكان الذي يسمى بـ"الأرض الموعودة". واختار موسى عليه السلام ممثلاً من كل فرع منهم. وأرسلهم بقيادة يوشع بن نون وكليب بن يوحنا لتحري القوم هناك. فوجد هؤلاء أن العمالقة قوم ذو بأس وقوة شديدة. ولكنهم اتفقوا على أن لا يخبروا قومهم بذلك لكي لا يصيبهم الخوف وتتأثر حالتهم الروحية. علماً أن موسى عليه السلام قد نبههم إلى ذلك الأمر وأوصاهم به. ولكن هذا الجمع أخبروا قومهم بما رأوه من أمور ولم يبق على عهده إلا يوشع بن نون وكليب بن يوحنا. فتقاعس بنو إسرائيل عن الشروع في هذه الحرب:

﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ. قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة، ٢١ – ٢٢)

﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة، ٢٣)

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة، ٢٤)

فبنو إسرائيل بعد أن تخلصوا من ظلم فرعون وبأسه، تعرفوا على نعم الدنيا وتعودوا على الراحة.

فازدادت رغباتهم ومطالبهم الدنيوية، فطالبوا موسى عليه السلام بحلوى القوة، ولحم السمان. فكانت هذه النعم تغدق عليهم كل يوم. وكان موسى عليه السلام إضافة إلى ذلك يضرب الحجر بعصاه فتخرج منه اثنتا عشرة عيناً للماء المتدفق.

يقول الله تعالى:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة، ٥٧)

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (البقرة، ٦٠)

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف، ١٦٠)

﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى. كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى. وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (طه، ٨٠ – ٨٢)

ولكون بني إسرائيل هم قوم لا تنتهي طلباتهم لا يمتلكون صبراً ولا شكراً، عادوا مرة أخرى إلى نكران الجميل وزيادة العبئ على نبيهم. ولهذا، فإن الآيات الكريمة أدناه هي خير وصف على نكران هذا القوم للمعروف والجميل. يقول تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِمَا عَصَواْ وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة، ٦١)



﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ. قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة، ٢٥ – ٢٦)

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلوةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكوةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (المائدة، ١٢)

ولكن بني إسرائيل كانوا يجحدون النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم، ويمتنعون عن الإستجابة لموسى عليه السلام ثالث أنبياء أولي العزم. بل تخطوا ذلك الأمر فقالوا بكل غطرسة:

"– إذهب أنت وربك إلى الحرب؛ فقاتلا واربح! وسنأتي بعد ذلك من خلفك!."

ولهذا السبب، حكم الله تعالى عليهم بأن يتيهوا في مكان ضيق هو صحراء التيه مدة أربعين عاماً كاملاً.

فكلما أرادوا أن يخرجوا من هذا المكان عادوا والتفوا مرة أخرى وساروا إلى نفس الدائرة. وذلك إلى أن نشأ منهم نسل وجيلٌ آخر جديد...

وأخيراً، تمكن هذا الجيل الجديد المؤمن الموحد من الإنتصار على تذمّر هذا القوم فتمكنوا من دخول الأرض الموعودة. فكانت الأماكن شرق النهر أماكن محررة فسكنوا في هذه الأرض الموعودة. وهكذا تحقق وعد موسى ؈.

نزول التوراة

عندما خرج موسى ؈ وقومه من بني إسرائيل معاً خارج مصر ونجوا جميعاً من أعدائهم، أخبرهم بأن الله تعالى سيُنْزِلُ عليه كتاباً من السماء.

فترك هارون ؈ نيابة عنه مع القوم وقال:

«- إعمل على إصلاح ما تراه من سوء أعمالهم! وأنا ذاهب إلى جبل الطور تنفيذاً لأمر الله. فأصوم هناك مدة ثلاثين يوماً. وأعود ومعي كتاب سينزله الله تعالى من السماء!»

ولكن قومه الجاحدين قالوا:

«- يا موسى! إنا نريد أن يكون معك شهود منا»

فاختاروا من بينهم سبعين رجلاً. وخرجوا جميعاً إلى جبل الطور.

وتسلم موسى ؈ كتابه الذي وُعِدَ به من الحق تعالى. وأمره الله أن يصوم مدة ثلاثين يوماً. وكانت تلك أيام شهر ذي القعدة الثلاثين. ومن ثم أكمل هذا الصيام بالأيام العشر الأولى من ذي الحجة فصام أربعين يوماً كاملاً. وأعطي الكتاب لموسى ؈، وأودع وظيفة تعليمه لقومه مباشرة.

يقول الله تعالى:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف، ١٤٢)

لقد دُعِيَ موسى ؈ إلى طور سيناء مدة أربعين يوماً يتفكر فيها وينقّي فيها داخله ويراقب فيها أعماله، ويدعُو الله ويتعبده ويزهد في الدنيا ويصوم طالباً الربح وصولاً إلى الكمال الذي تقتضيه هذه المهمة. فكانت هذه الأيام الأربعون عبارة عن مرحلةٍ إعداديةٍ ليتمكن موسى ؈ من لقاء ربه. ولهذا، عاش موسى ؈ حياة أخرى بعيدة عن سائر الناس، في طور سيناء، ليسبح في بحر المعاني التي توصل أخيراً إلى سعة الخالق تعالى، مبتعداً عن مشاغل الأرض وسابحاً في هدوء السماء. لأنه كان بحاجة إلى هذا الصفاء الذي ينقي روحه ويكسبها اللطف.

وكما يفهم، فإن الأيام الثلاثين الأولى كانت أياماً مخصصة للصوم والعبادة تعذيباً وتذكية للنفس ورياضة لها؛ ومن ثم، كانت الأيام العشرة الأخيرة هي أيام نزول التوراة عليه ولقاء (التحدث إلى) الله

تعالى. أي أن موسى عليه السلام تمكن عبر هذه الفترة بأيامها الأربعين من أن يصل إلى مرتبة معنوية عالية تخوله من التحدث إلى الله عز وجل.

كما أن تحدث الآية القرآنية الكريمة عن أربعين ليلة وليس يوماً، هو إشارة إلى أن الأشهر تبدأ بالليل وليس بالنهار. ولهذا، فلا تحسب الأيام مع هذه الليالي. كما أن الليل هو وقت متميز بخصوصية خاصة. حيث أن الليل هو شاهد على العديد من التجليات الإلهية. ويتحدث القرآن الكريم عن تنزيل اللوح المحفوظ ليلاً إلى السماء الدنيا، كما كان معراج النبي محمد صلى الله عليه وسلم...

ومن الإشارات التي يمكن استخلاصها من بقاء موسى عليه السلام أربعين ليلة في طور سيناء هو ما يلي:

لكي يتمكن أهل الإيمان من الوصول إلى صباح التجلي، يجب عليهم في ساعات كرب الليل أن يملؤوها بالعمل. فبالفوز الإلهي والبركة تتجلى في وقت الليل وجميع أوقات الصباح الموفقة، لا تأتي إلا بعد ليالي الكرب.

لقد كانت الليالي الأربعين التي قضاها موسى عليه السلام في العمل وكأنها بأيامها الثلاثين، ليلة واحدة؛ وكان ما تلاها من أيام عشرة كسحر هذا الليل. علماً أن موسى عليه السلام كلم ربه تعالى في ساعة السحر في الفجر الصادق وتجلت أمامه فيها العديد من أمور العظمة الإلهية.

لقد صام موسى عليه السلام في جبل الطور أيامه الثلاثين بشكل متصل دون أن يترك بين هذه الأيام أيام إفطار، صيام وصل كامل؛ ولم يجع فيها أويعطش!.. أما عندما أمر أن يتبع الخضر عليه السلام بعد ذلك شق عليه الصبر نصف يوم واحد وجاع. فقال لصاحبه حينها:

"- أحضر لنا طعامنا، فلنأكل!"

ذلك أن ذهابه للقاء الخضر كان امتحاناً من الله تعالى. وازداد هذا الامتحان قوة بابتلاء الله تعالى له. فجاع في رحلته طالباً لقاء المخلوق. أما في جبل الطور، وسفره للقاء ربه، فإنها كانت رحلة لقاء تحمل معنى الحديث مع الله تعالى، وتحمل في أرجائها هيبة المكان، الذي أنساه المأكل والمشرب، وتركز فيها فكره كاملاً نحو فكرة اللقاء بالله تعالى.

وسمي موسى عليه السلام «كليم الله» لتحدثه مع الله تعالى. ولم يكن حديث موسى عليه السلام مع ربه حديثاً من خلال عضو أو آلة كاللسان وإنما كانت صفة «الكلام» بلا زمان أو جهة محددة. فلا توجد صفة من صفات الله تعالى يمكن لها أن تشابه صفة البشر. فهو العالم، أي الذي يعلم كل شيء؛ ولكن علمه ليس أبداً كعلمنا. وهو القادر؛ لكن قدرته لا تكون أبداً كقدرتنا. وهو المتكلم؛ لكن كلامه ليس أبداً ككلامنا!...

إننا نتحدث من خلال عضو خلقه الله لنا هو اللسان لننطق به الأحرف. أما رب العزة سبحانه وتعالى فهو منزه عن هذا الأمر. فالحروف مخلوقة. أما كلام الله تعالى فليس بمخلوق؛ فهو بلا حرف ولا آلة. ولهذا، فإن كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام، وعلى الرغم من وجود جبريل عليه السلام و ٧٠ من البشر برفقته عليه السلام، إلا أن أحداً منهم لم يدرك أو يسمع هذا الحديث.

لقد شاهد كليم الله موسى بن عمران عليه السلام مشاهِدَ متعددة من العالم المعنوي. وهذه لم تكن من الأمور التي رغب بها عليه السلام. فبحسب ما يروى، لقد قدمت إليه بشكل نجهله أربعة آلاف ومئة وعشرون كلمة وأيضاً أربعة عشر كلمة، بشكل مباشر دون أي وسيط. فكانت كل كلمة تتسبب برعشة كبيرة لدى موسى عليه السلام. وتغير جسده وطبيعته بشكل كبير بسبب وصول هذه الكلمات إليه.

تتحدث الآية الكريمة عن هذه المحادثة بقوله تعالى: ﴿...**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾ (النساء، ١٦٤)

لقد أرسل الله تعالى إلى موسى عليه السلام آلاف المخاطبة مواساة له وتهدئة لوجدانه، ليجد من خلال هذه النعم شيئاً من الراحة والطمأنينة!... لأن موسى عليه السلام عاش حياة مليئة بالعواصف والزوابع البشرية، وكان نبياً أرسل إلى بني إسرائيل لإقامة شريعة الله تعالى فيهم وهم قوم المادة والشهوة...

حكمة الرقم أربعين

إن الرقم أربعين هو رقم مهم جداً من ناحية النضوج الروحي:

أ- استمر تكوين آدم عليه السلام من الطين مدة أربعين يوماً. وبحسب ما يروى:

« إن الله عز وجل خمر طينة آدم أربعين ليلة - أو قال: أربعين يوماً» (الطبري، التفسير، جـ ٦، ص ٣٠٧/ ٦٨٢٠)

كل يوم من هذه الأيام هو في كيفيته فترة من الزمن لا علم لنا بها.

ب- يتكون كل إنسان في بطن أمه أربعين يوماً كنطفة، وأربعين يوماً كعلقة، وأربعين يوماً كمضغة؛ ومن ثم تنفخ فيه الروح. ويروى في الصحيحين عن هذا الأمر في الحديث النبوي الشريف:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال:

«حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق (المؤكد على صدقه) فقال:

"إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ: بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ..." (أنظر:البخاري، القدر، ١؛ بدء الخلق، ٦؛ مسلم، القدر، ١/ ٢٦٤٣)

ج- كما أن مدة أربعين يوماً هي مهمة جداً للأنبياء لسماع كلام الحق تعالى، فإن لهذه المدة أهمية أيضاً لأولياء الله تعالى لتدفق ينابيع الحكمة من قلوبهم.

يروي لنا الحديث الشريف:

"مَنْ أَخْلَصَ لله أَرْبَعِينَ يَوْماً ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ" (السيوطي، الجامع الصغير، ٢، ١٣٧/ ٨٣٦١)

ولهذا، فإن أسباب «العمل» أو «الأربعين» التي يتحدث عنها عند المتصوفين وتحدد بمدة أربعين يوماً للوصول إلى الرقي المعنوي، هي ما ورد في هذا الحديث الشريف وما كان من حياة عاشها موسى عليه السلام في جبل الطور كما أخبرت الآيات الكريمة.

فكما أن مدة أربعين يوماً هي ضرورية لاتصال الروح بالجسد، فإنها تحتاج أيضاً لمدة أربعين يوماً للإفتراق عنه. هكذا هي آية الله في خلقه.

لقد أكد أهل العرفان على أهمية الرقم أربعة ومكعباته. فعلى سبيل المثال؛

يتكون الكون من أربعة عناصر رئيسية: الماء، الهواء، التراب والنار.

والعرش الأعظم هو من أربع زوايا؛ يحمله ثمانية ملائكة.

وأمر موسى عليه السلام بالصوم الرياضة أربعين يوماً (ليلة)؛ ومن ثم شرف بلقاء ربه جَلَّ وعّلا...

موسى عليه السلام يطلب رؤية الله

بينما كان موسى عليه السلام يكلم ربه، رُفعَ عن عينيه الستار. فكان يرى عرش الرحمن بلا زمان أو جهة بكل وضوح. وكان يسمع صوت القلم يكتب على اللوح المحفوظ. وعلى الرغم من وجود جبريل عليه السلام و٧٠ من البشر حوله، لم يتمكن أحد منهم من سماع أي شيء. ولهذا فإن موسى عليه السلام قد رفع إلى مرتبةٍ ومقامٍ رفيعيْنِ جداً.

وفي نهاية الأمر، ولشدة ما أعجب موسى عليه السلام بهذا الحديث واستلذ له، زاد شوقه بشدة. وتجلّى في نفسه حال مختلف تماماً. وأراد أن يرى الله تعالى. وأصر في طلبه ذلك وألح.

فقال له جَلَّ وعّلا:

﴿لَنْ تَرَانِي﴾

وعندما عاد موسى عليه السلام إلى إصراره على طلبه مرة أخرى قال له جناب الحق جَلَّ وعّلا:

«انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِينِي»

ويقال أن هذا الجبل هو جبل كبير في مدين يقال له زبير.

وبحسب إحدى الروايات، فإن الله تعالى أظهر لموسى عليه السلام نوراً صغيراً كحجم الدرهم من خلال سبعين حجاب. فعندما تجلى هذا النور للجبل انفلق هذا الجبل ودك دكاً. فلم يتمالك موسى عليه السلام نفسه أمام هذه القدرة وهذه العظمة فخاف وأغمي عليه.

يخبرنا الله تعالى عن هذه الواقعة في القرآن الكريم بقوله:

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأعراف، ١٤٣)

يشير أحد أرباب التصوف إلى هذا الشأن فيقول:

أراد موسى عليه السلام من خلال إدراكه البشري أن يشاهد طوفان الحقيقة بمعناها الأبدي. ولكن الجواب الذي حصل عليه لم يكن كما كانت رغبته. لأن إدراكه هو إدراك متصل بعين فؤاده. ولهذا، وظناً منه بأن فؤاده ارتقى إلى أعلى الدرجات، طلب رؤية ربه.

ولكن موسى عليه السلام وقع مغشياً عليه لحظة التجلي. فقيل له عندها بلسان الحال:

"- يا موسى! هذا الظهور ليس لأجلك أنت! بل هو لليتيم الذي سيأتي من بعدك."

فقال يبتغي تأكيد هذا الخطاب: "- يا ربي! أسبحك وأنزهك. فلا يمكن لأحد أن يصل إليك إلا محمد المصطفى ﷺ من غمرته بأعلى الدرجات العلى وقربته إلى ذاتك محبة. أتوب إليك من أمر أردته ليس لي. وأنا أول من يؤمن بأن هذه المشاهدة هي لصاحب المقام الأعلى محمد ﷺ."



وأيضاً بحسب ما يروى، فإن موسى عليه السلام عندما عاد من جبل الطور، كان نور الله تعالى ما زال ينعكس على وجهه. ولهذا، فإنه حجب وجهه مدة ثلاثةِ أيام بحجاب.

ويخبرنا عروة بن رويم فيقول:

"كَانَ مُوسَى لم يَأْتِ النِّسَاء مُنْذُ كَلمه ربه وَكَانَ قد ألبس على وَجهه برقع فَكَانَ لَا ينظر إِلَيْهِ أحد إِلَّا مَاتَ فكشف لَهَا عَن وَجهه فأخذتها من غَشيته مثل شُعَاع الشَّمْس فَوضعت يَدهَا على وَجههَا وخرت لله سَاجِدَة" (السيوطي، الدر المنثورة في التفسير بالمأثور، جـ٣، ص ١١٦)

ويقول وهب بن مُنَبِّه:

«كلم الله مُوسَى من ألف مقَام فَكَانَ كلما كَلمه رأى النُّور على وَجهه ثَلَاثَة أَيَّام» (السيوطي، الدر المنثورة في التفسير بالمأثور، جـ٣، ص ١١٦)

أغمي على موسى ﷺ ووقع أمام هذا التجلي الإلهي على جبل الطور، ووجب عليه تغطية وجهه مدة ثلاثة أيام لشدة انعكاس النور الإلهي على وجهه. علماً أن النبي ﷺ، وببيان واضح في القرآن الكريم كان «قَابَ قَوْسَيْنِ اَوْ اَدْنىَ»[1] من سدرة المنتهى، بل وإلى ما هو بعدها في ليلة المعراج، في لقائه مع ربه، وحصل على نعمة اللقاء والمشاهدة. ولهذا، يوضح أهل النظرات السبب في عدم بقاء تأثير هذا اللقاء على وجه النبي ﷺ كما حصل مع موسى ﷺبقولهم: كان موسى ﷺ أثناء معايشته هذه الأحوال صاحب "تلوين»[2].

أما النبي ﷺ فكان صاحب «تمكين»[3]. بهذا المعنى؛ كان الرسول الأكرم ﷺ في حالة دائمة من "راحة المشاهدة". ولم يكن المعراج إلا انتقالاً من حالة راحة إلى حالة راحة أخرى، ومن لذة "مشاهدة" إلى لذة "مشاهدة" أخرى.

ولهذا نجد أن الحديث النبوي الشريف يقول:

"إني لست كأحد منكم إني أطعم وأسقى" (علي المتقي، كنز العمال، جـ٣، ص ٣٢ -٤٢/ ٥٣٢٢)

"لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل" (العجلوني، كشف الخفاء، جـ٢، ص ١٧٣/ ٢١٥٩)[4].



يقول أهل الله أيضاً، في تفسير قوله تعالى لموسى ﷺ: «إنك لن تراني!» بأنه تحتوي على الإشارة التالية:

«يا موسى! ما دمت موجوداً، أي أنك ما دمت لم تفنَ عندي بعد، فأنا محجوب عنك. أما عندما تفنى عندي، فعندها سأكون بيناً -سأظهر- عليك.»

أي كما أن النجوم لا تظهر في السماء عند وجود الشمس؛ وكما تختلط مياه النهر عند وصولها إلى البحر؛ وكما يغيب الحجر عن مستوى العين بعد أن يرمى بعيداً؛ وكيف يفقد الطحين شكله بعد أن يدخل غذاءً إلى الجسد؛ كذلك الأمر، فإن الله تعالى لا يظهر للعبد الفاني بجسده المصنوع من التراب، فيكون عند الله تعالى فانياً وبعيداً.

---

١ أنظر: النجم، ٩

٢ تلوين: الحالات المتعقبة التي يسلكها المرء وصولاً إلى التمكين، انتقال من حالة إلى حالة أخرى.

٣ تمكين: التعمق في الاتجاه، والثبات؛ وتحوله إلى مقام الاقرار بالله تعالى من الأعماق.

٤ أنظر: المقدسي، كشف الأسرار ومفاتيح الخزائن، ص ٥٨ - ٥

ولهذا، نجد أن جلال الدين الرومي كان ينتظر لحظة الموت بكل شوق تخلصاً من أسر النفس. وكان يسمي هذه اللحظة بأنها «تشبه العروس» (ليلة زواجها).

ويقول حَلاّج المنصور أيضاً في حالة من السكر المعنوي:

«أصدقائي! اقتلوني! فنجاتي هي موتي!.»

ويقال عن هذه الحالة في علم التصوف بأنها «وحدة الوجود» أو «وحدة الشهود». ولكنه حال مؤقت. ولا يعلم ماهية هذا الحال بحق إلا من عاشه وحده.

عندما كلم الله تعالى موسى عليه السلام بصفة الكلام الأزلية، غمر بحالة لذيذة وتذوق رائع. وبينما هو في هذه الحال يطلب من الله " يا ربي! أرني أنظر إليك!" وألح في طلبه. فانفلق الجبل بنتيجة هذا الطلب وفقد موسى وعيه مغشياً عليه. وعندما أفاق عليه السلام اسغفر ربه. لقد كان موسى عليه السلام عندما سمع كلام الله كمن نسي حاله في هذه الحياة الدنيا، ظاناً نفسه في الآخرة؛ في الجنة واصلاُ إلى جمال الله عز وجل.

ويروى أن الجبل لما انفلق من الشعاع الصغير المتجلي من النور الإلهي أصبح قطعاً صغيرة انتشرت كل واحدة منها في مكان. فأصبح الجبل كحبات الطحين المنثور على السهل. وأصبح الماء الذي نثر فيه هذا الجبل ماءً عذباً يشفي كل من شرب منه.

يحدثنا الله تعالى عن القرآن الكريم الذي هو تجلٍ كبير للكلام الإلهي، فيقول في الآية الكريمة:

﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الحشر، ٢١)

ولهذا السبب، فإن الجبال على ضخامتها، والسماوات ووسعتها والأرض وثباتها، تثاقلن من حمل الأمانة الإلهية وأشفقن منها. يحدثنا الحق تعالى عن هذه الحقيقة بقوله:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّموَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ (الأحزاب، ٧٢)



بعد محادثة موسى عليه السلام مع ربه، بدأت التوراة بالنزول. فنزلت على شكل سبعة ألواح أو عشراً. وكانت ٤٠ جزءً. وبينما كانت التوراة تتنزل، وقف جبريل عليه السلام مُكلِّفاً كل ملك من الملائكة بحمل حرف من هذه الأحرف. فوقفت هذه الملائكة على طرف جبل الطور تقدم التوراة إلى موسى عليه السلام.

مقابلة عند جبل الطور

يحدثنا رسول الله ﷺ عن ملاقاة موسى عليه السلام بربه عند جبل الطور بقوله عليه الصلاة والسلام:

"سأل موسى ربه عن ست خصال كان يظن أنها له خاصة، والسابعة لم يكن موسى يحبها،

قال: يا رب أي عبادك أتقى؟

قال: الذي يذكر الله ولا ينسى،

قال: فأي عبادك أهدى؟

قال: الذي يتبع الهدى،

قال: فأي عبادك أحكم؟

قال: الذي يحكم للناس كما يحكم لنفسه،

قال: فأي عبادك أعلم؟

قال: عالم لا يشبع من العلم، يجمع علم الناس إلى علمه،

قال: فأي عبادك أعز؟

قال: الذي إذا قدر عفا،

قال: فأي عبادك أغنى؟

قال: الذي يرضى بما أوتي،

قال: فأي عبادك أفقر؟

قال: صاحب سفر، ..." (علي المتقي، كنز الأعمال، جـ ١٥، ص ٨٩٩-٩٠٠/ ٤٣٥٤٩)

عجل الذهب

بعد أن عبر بنو إسرائيل مع موسى عليه السلام البحر الأحمر، وجدوا قوماً يعبدون أصناماً على شكل الثور. فقالوا لموسى عليه السلام:

«- إجعل لنا إله كما لهم آلهة، نعبده!»

فنصحهم موسى عليه السلام وأخبرهم بأن هذا الأمر هو شرك عظيم. فندموا وتابوا.

ولكن، عندما أوكل موسى ﷺ أخاه هارون وكيلاً على قومه وذهب إلى جبل الطور، قام السامري الذي كان يهودياً منهم يخفي كفره عن القوم بجمع القوم وصنع لهم عجلاً مستفيداً من غياب موسى ﷺ. ومن ثم قال لهم:

«- هذا هو إله موسى! ولكن موسى نسي ربه!» وأراد من القوم أن يعبدوا هذا الصنم.

وكان السامري فناناً. فصنع عجله بفن متقن جعل الرياح عندما تدخل من طرفه وتخرج من الطرف الآخر تصدر صوتاً وكأنه صوت خوار العجل الحي. وتمكن من صنع ذلك من خلال الثقوب التي فتحها في جوفه بطريقة تتغير فيها حدة الخوار تبعاً لشدة الريح. ومن ثم قال لهم السامري:

«- أنظروا، ها هو إلهكم يتحدث إليكم.»

وهكذا، لقن السامري لبني إسرائيل ألوهية هذا العجل فاتبعه جزء منهم مبتعدين عن دين الحق. وعمل هارون ﷺ على تنبيههم بشدة وإصرار ولكنهم لم يستمعوا إليه. ويحدثنا القرآن الكريم عن هذا الحال فيقول تعالى في الآيات الكريمة:

﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي﴾ (طه، ٩٠)

﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ (طه، ٩١)

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ (طه، ٨٥)

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (الأعراف، ١٤٨)

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف، ١٥٠)

﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ (طه، ٩٢ - ٩٣)

﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا. أَلاَّ تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي. قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لاَ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلاَ بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه، ٩٤)

كان موسى وهارون أخوين لنفس الأب والأم. ولهذا، فإن قول هارون عليه السلام لموسى "يا ابن أم" إن هو إلا وسيلة لجلب رحمة موسى عليه السلام. ذلك أن الأم هي أشد رحمة من الأب، إضافة إلى أن أمهم كانت امرأة مؤمنة تحب أولادها وأماً صالحة اكتسبت احترامهم.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (الأعراف، ١٥١)

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ (طه، ٨٦)

﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ (طه، ٨٧)

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ (طه، ٨٨)

فيطلب موسى عليه السلام منهم أن يتوبوا عن هذه الأفعال القبيحة. وكان شرط هذه التوبة هو الندم الشديد وقتلهم أنفسهم. فقالوا:

"- نصبر!" وانتظروا حكم الله عليهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة، ٥٤)

وكان المكلفون بالقتل يضعون السيف على رقبة كل ممن وجب عليهم القتل وينتظرون. وكان خلف كل رجل عَبَدَ هذا الصنمَ رجلٌ ينتظر الحكمَ ليضربَ له رأسَه. بل وكان مِنهم أقارب أيضاً:

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف، ١٤٩)

وأمام هذا الأمر، ولشدة ما كانا عليه من الرحمة، بكى موسى وهارون عليهما السلام ودعوا الله. فنزلت الآية وقبلت توبة التائبين:

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأعراف، ١٥٣)

ومن ثم قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة، ٥٢)

ثم التفت موسى عليه السلام إلى السامري فقال له:

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ. قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾ (طه، ٩٥ - ٩٦)

بحسب رواية المفسرين، فإن السامري ما رآه السامري ولم يره بقية القوم وأخذ منه حفنة من التراب هو جبريل عليه السلام عندما ظهر لموسى عليه السلام. فكان السامري يتنبه إلى اخضرار الأرض عند موضع قدم حصان جبريل عليه السلام، فأخذ حفنة من هذا التراب ونثرها على الذهب الموقد في النار.

﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيوةِ أَنْ تَقُولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (طه، ٩٧)

وبحسب ما يروى، فإن السامري بعد دعاء موسى عليه السلام عليه أصيب فعلاً بمرض شديد ومعدي جعل منه يضطر إلى البقاء بقية حياته بعيداً عن الناس.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيوةِ الدُّنْيَا وَكَذلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾ (الأعراف، ١٥٢)



﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف، ١٥٤)

ويطلب الله تعالى من موسى عليه السلام إحضار سبعين رجلاً من قوم بني إسرائيل نيابة عن الذين عبدوا العجل وتابوا إلى الله بعد ذلك وأن يقفوا جميعاً بين يديه يرجون التوبة والمغفرة.

فيختار موسى عليه السلام سبعين رجلاً من القوم ويذهب بهم جميعاً إلى جبل الطور. ولكن القوم الجاحدين يطلبون رؤية الله تعالى. فتهتز الأرض في زلزلة شديدة ويخرون مغشياً عليهم. فيدعو موسى عليه السلام ربه فيذهب عنهم هذه الكارثة.

يقول تعالى في الآيات القرآنية الكريمة:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (البقرة، ٥٥)

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة، ٥٦)

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ (الأعراف، ١٥٥)

ويكمل موسى عليه السلام دعاءه فيقول:

﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ ...﴾ (الأعراف، ١٥٦)

﴿...قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَيهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف، ١٥٦ - ١٥٧)

يروي الصحابي قتادة بن نعمان رضي الله عنه بأن موسى عليه السلام قال:

«-رب، إني أجد في الألواح أمة خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي!»

فيقول الله تعالى:

«-تلك أمة أحمد»

فيقول موسى عليه السلام:

«-رب، إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون -أي آخرون في الخلق -السابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي»

فيقول الله تعالى:

«- تلك أمة أحمد»

فيقول موسى عليه السلام:

«-رب، إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرءونها -كتابهم - رب، اجعلهم أمتي»

فيقول الله تعالى: «- تلك أمة أحمد»

فيقول موسى عليه السلام:

« رب، إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول، وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فصول الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي»

فيقول الله تعالى:

«- تلك أمة أحمد»

فيقول موسى عليه السلام:

«رب، إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم، ويؤجرون عليها، رب، اجعلهم أمتي»

فيقول الله تعالى:

«- تلك أمة أحمد»

«رب، إني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها، كتبت له حسنة، فإن عملها، كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، رب اجعلهم أمتي»

فيقول الله تعالى:

«- تلك أمة أحمد»

قال: قتادة فذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح، وقال «-اللهم اجعلني من أمة أحمد» (أُنظر: ابن كثير، التفسير، جـ ٢، ص ٤٧٨-٤٧٩)

نحن والحمد لله، أتينا إلى هذه الدنيا من أمة محمد مجاناً يعني أنّ الله تعالى جعلنا مِن أمة محمد ﷺ بدون أن نبذل أية جُهدٍ أو نقدم أية مشقة، أو ندفع لذلك أي ثمن. ولهذا، مهما شكرنا الله على ذلك فهو أمر قليل. ولكن، وكما أن لكل شيء ثمن فإن لهذا الأمر أيضاً ثمن. ولهذا فإن علينا أن ندرك حق المسؤولية في أن نكون من هذه الأمة، وأن نعيش حياة خيرة تليق بهذه الأمة، لنأخذ نصيبنا يوم القيامة إلى جوار الحبيب المصطفى ونكون أهلاً لشفاعته.



عاش بنو إسرائيل بعد ذلك مدة من الزمن بهدوء. ومن ثم عادوا إلى جحودهم. فقالوا لنبيهم موسى عليه السلام بأنهم يستصعبون تطبيق أحكام التوراة وبأنها أحكام قاسية. نسوا ما عاهدوا الله عليه حين تابوا إليه. فرفع الله تعالى طور سيناء فوقهم في معجزة إلهية. فجزعوا جزعاً شديداً. وسجدوا جميعاً. وظنوا أن الجبل سيهبط عليهم. قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة، ٦٣)

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (البقرة، ٦٤)

ولكن بني إسرائيل استمروا على ما كانوا عليه من حال. فأصيب من تخطى حدوده منهم بغضب الله تعالى الإلهي:

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (البقرة، ٦٥)

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة، ٦٦)

لقد مسخ الله تعالى من أصر على الإعتداء والعمل الباطل من بني إسرائيل قردة، ثم أهلكهم بعد ذلك.

ولا علاقة لهذا الأمر بالادعاء الباطل حول أصل البشر الذي يعود إلى القردة. كما أن من مسخ منهم قردة لم يتناسلوا ولم يلدوا نسلاً بعد ذلك.

يقول الله تعالى:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة، ١٣)

وكان التوراة نسخة واحدة. ولم يكن محفوظاً بشكل كامل عند أحد من الناس. وعندما وقع بنو إسرائيل في الأسر عند أهل بابل، ضاعت النسخة الوحيدة للتوراة. وبعد سنوات طويلة من الأسر، وعندما تحرر بنو إسرائيل مما هم فيه من الأسر، قاموا بكتابة بعض الأجزاء التي عملوا على تذكرها مما كان في التوراة. أما ما هو موجود اليوم من نسخ التوراة فهو هذه الأجزاء الناقصة المحرفة وجزء من حياة موسى عليه السلام.



ذبح البقرة قرباناً

وجد رجل غني جداً من بني إسرائيل يدعى عامل مقتولاً. وكان قاتله هو ابن عمه.

ويروى عن أسباب هذا القتل ما يلي:

١. قتله ابن عمه حسداً على ثروته لكونه فقيراً وابن عمه بخيل جداً.

٢. تزوج عامل من امرأة، فقتله ابن عمه لأنه أراد أن يتزوج هذه المرأة.

ومن ثم ترك القاتل هذا القتيل في مكان بين قريتين. عملاُ منه لتكون هتين القريتين خصمين لبعضهما البعض.

يتجه الشعب إلى موسى عليه السلام يريدون أن يجد لهم القاتل، وينفذون فيه حكم القصاص. ولكن موسى عليه السلام تردد في قضية معرفة القاتل ولم يصل بها إلى نتيجة. فدعا الله تعالى. فأمره الله أن يطلب من القوم أن يذبحوا بقرة قرباناً.

فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام:

"- وما هي العلاقة بين ذبح بقرة ومعرفة القاتل؟! أتسخر منا؟" مع أنهم باعتراضهم هذا، ودون أن يشعروا، كانوا يعترضون على فكرة التسليم بأمر الله بدخولهم في هذا الإمتحان.

فقال لهم موسى عليه السلام:

"- إنما أبلغكم أمر ربي!"

تقول الأية الكريمة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة، ٦٧)

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (البقرة، ٦٨)

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ (البقرة، ٦٩)

ويجد القوم هذه البقرة بما عليها من أوصاف عند امرأة لديها طفل يتيم. ولكن المرأة لم تكن تريد أن تبيع هذه البقرة لأنها مصدر رزقها الوحيد. فطلبت منهم ١٠٠٠ حجز.

فيقول لهم موسى عليه السلام:

"- أعطوا المرأة ما أرادت وخذوا البقرة!" فيقبل بنو إسرائيل بألف حجز. ولكن المرأة هذه المرة ترفع سعر البقرة إلى ٢٠٠٠ حجز.

فلم يرغب القوم في شراء هذه البقرة لأنهم وجدوا أن سعرها اصبح مرتفعاً جداً، فتوجهوا مرة أخرى إلى موسى عليه السلام:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة، ٧٠)

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَ ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَ شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة، ٧١)

كاد القوم أن يعدلوا عن ذبح هذه البقرة، لأن هذا الوصف كان يشير مرة أخرى إلى نفس البقرة التي تمتلكها هذه المرأة. إضافة إلى أن المرأة زادت سعرها بشكل كبير جداً وصل إلى ١٠٠٠٠ حجز. ثم قالت لهم: "- ستشترون هذه البقرة، وستذبحونها، وتأخذون جلدها وتصنعون منه كيساً تملأونه بالذهب وتعطونه إلي! فلا أبيعها لكم إلا بهذا الشكل."

فيعود بنو إسرائيل إلى موسى ﷺ يسألونه. فقال لهم:

"- اشتروا هذه البقرة مهما كان الثمن!."

فقال القوم عندها:

"- إذن، فلنأخذها الآن، وليحل الأمر محله؛ وإلا فلن نتمكن بعدها من دفع ثمنها." واشتروا البقرة أخيراً.

يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (البقرة، ٧٢)

لكن بني اسرائيل لم يردوا هذه المرة أن يدفعوا ثمن البقرة. فقال لهم موسى:

"- إذا لم تدفعوا ثمنها، فلن يبعث الميت!"

فما كان منهم إلا أن صنعوا من جلد البقرة كيساً رغماً عنهم وملؤُه ذهباً وأعطوه للمرأة.

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذلِكَ يُحْيِي اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة، ٧٣)

وقوله تعالى «فقلنا اضربوه ببعضها!» هي لتحويل انتباههم بشكل أكبر إلى هذه الحادثة. ولهذا، حضرت المراسيم وتحققت المعجزة في العقبة. فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يحيي الموتى بقدرته دون أن يكون هناك أي سبب آخر.

وأخيراً، يضرِبُ القوم القتيل بِلسانِ البقرة فَيُبعثُ الميت وهو في دمه ويروي حقيقة هذا الأمر:

«- قتلني أولاد عمي. فلان وفلان...» وأخبر بأسمائهم ومن ثم مات مرة أخرى.

فنفذ حكم القصاص مباشرة في حق هذين الشابين اللذين ارتكبا هذه الجريمة.



العبر في هذه القصة

* إن كل اعتراض قام به بنو إسرائيل كان سبباً في زيادة أزماتهم. فهم مثلاً لو نفذوا الأمر الإلهي فور بلوغه إليهم لكان بإمكانهم أن يذبحوا أية بقرة كانت، ولكان الأمر الإلهي قد وفي خير وفاء.

ولكنهم عبر أسئلتهم المتكررة، كانوا كمن لا يرغب في ذلك الأمر فصعبوا على أنفسهم الأمر بفعل أيديهم. فكانت اعتراضاتهم الشديدة وعدم معرفتهم قدر أنفسهم هما سببان في حصولهم على نتيجة قاسية ومؤلمة.

* لا يجوز توجيه الأسئلة التي لا ضرورة لها. كما هو الحال في حوادث القضاء والقدر والحوادث العامة، فإنه لا يجوز التعمق في الأسباب... أي أن على المرء أن يقبل ويسلم بقضاء الله تعالى فيما أوضحه من خصوص. وزيادة الأسئلة والإعتراضات هي أمور لا تؤدي إلا إلى زيادة البلاء والتهديدات، الأمر الذي يثقل حمل هذه المسؤولية.

لهذا، نجد أن رسول الله ﷺ يقول:

"ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ" (مسلم، الحج، ٤١٢/ ١٣٣٧)

* أُمِرَ بنو إسرائيل بذبح بقرة لما كان منهم قبل ذلك من عبادة لها. وذلك ليروا بأم أعينهم أن لا ألوهية في البقرة. فبنو آدم قد يخطؤن في بعض الأحيان لما في نفوسهم من مشاعر العبودية، فيحاولون أن يختاروا آلهتهم ضمن الأطر والمعايير التي يعرفونها في عالمهم، ومن خلال صلاحية الإدراك المحدود الذي هم عليه فيقعون عبر ذلك في الشرك والضلال.

* مع تثاقل بني إسرائيل في اتباع أمر الله، فإنهم لا يتمكنون من إيجاد القاتل وهو ما أدى إلى زيادة التوتر والمشاجرات فيما بينهم. ومع ذبح البقرة ومعرفة القتلة، حصل الجميع على السكينة.

* كان العديد من بني إسرائيل مترددون في الإيمان بقضية **"البعث بعد الموت"**. ومع هذه الحادثة البينة ذهب عنهم هذا الضعف.

لقاء سيدنا محمد ﷺ مع موسى عليه السلام ليلة المعراج

التقى سيدنا محمد ﷺ بموسى عليه السلام ليلة المعراج مرات عدة.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

" ...فَفَرَضَ اللهُ ﷻ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ موسى عليه السلام: مَا فَرَضَ اللهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ:

فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ،فَرَاجَعْتُ، فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ.[1]

وأهم ما في هذه الحادثة من موعظة هو ضرورة الإستفادة من التجارب السابقة.

قارون

كان عمُّ موسى عليه السلام أو ابنُ عمه. وكان أفضل الناس قراءة للتوراة بعد نزولها على موسى عليه السلام. وكان شديد الفقر، يعتاش من مساعدة الآخرين له. وبدعاء موسى عليه السلام له، أعطي علم صناعة الذهب من المواد القيمة.

وقبل أن يؤمن لموسى عليه السلام، كان قارون ممثل بني إسرائيل لدى فروعون. وكان يؤذي كل من خدم تحت إمرته. وبعد أن آمن مع موسى، أعطي العلم والحكمة والعبادة.

ولكن الشيطان الملعون أتى إليه على صورة بشر وأصبح صديقاً له. ومن ثم وجد فرصته المؤاتية فقال له:

«- يا قارون! عوضاً عن المعيشة بما يقتسمه الناس لنا، فلنذهبن للعمل يوماً ونتعبد بقية الأيام الستة!.»

أعجب قارون بهذه النصيحة. فنزلا إلى المدينة وعملا يوماً. وتعبد الله تعالى بقية الأيام الستة يقتات مما اكتسبه من عمله في هذا اليوم الواحد.

بعد أن حصل الشيطان على خطوته الأولى، قال له هذه المرة:

«- يا قارون! أرأيت؛ لم نكن بحاجة لأحد! تعال؛ لنعملن نصف أيام الأسبوع نكتسب فيها المال، ولنتعبد في الأيام الباقية! ونستطيع بذلك أن ننفق ما فاض من المال في سبيل الله على الفقراء والمحتاجين فتكون لنا فرصة الإنفاق أيضاً.»

بعد ما قام به من تنازل في المرة الأولى، أعجب قارون مرة أخرى بهذا الرأي بشكل أكثر مما سبق وقبل به أيضاً.

---

١ أنظر: البخاري، الصلاة، ١؛ مسلم، الإيمان، ٢٦٣

وبهذا وفق الشيطان فيما فكر به من حيلة. وازدادت فترة العمل أكثر فأكثر:

«- لنعمل أكثر من هذا ونربح مالاً أكثر! فنتعبد الله بهذا المال ونفرح عدداً أكبر من الفقراء!».

وهكذا، مالت نفس قارون شيئاً فشيئاً إلى الحياة الدنيا، ودخل في نفق حبها. وأصبح عبر ما رزقه الله من علم صناعة الذهب بدعاء موسى عليه السلام له رجلاً من الأغنياء جداً. وامتلأ قلبه بالحرص على الدنيا. وخسر في هذه الأثناء كل ما كان يمتلكه من صفات حسنة ونزاهة. علماً أن غناه لم يكن إلا عبر ما علمه موسى من علم.

تقول الآية القرآنية الكريمة:

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ (القصص، ٧٦)

ويبدأ قارون الذي امتلأ قلبه بحب الدنيا يتذمر من نصائح موسى عليه السلام له؛ وأصبح لا يحتمل وصاياه ونصائحه. ومع إعطاء وظيفة ذبح القرابين (الحبر)إلى الليفيين الذين هم من قومه وهارون عليه السلام، بدأت الصفات القبيحة التي امتلأت في قلبه بالظهور إلى وضح النهار بشكل كبير و واضح. فغضب غضباً شديداً ولم يحتمل نفسه فذهب إلى موسى عليه السلام وقال له:

"- يا موسى! لقد أعطيت الحبرية (وظيفة ذبح القرابين) إلى أخيك هارون. وليس لي شيء مماثل لذلك! مع أني أقرأ التوراة بشكل جيد جداً. ولهذا، فأنا أعلى مرتبة من هارون! فكيف لي أن أصبر على هذا الظلم؟!"

فقال له موسى عليه السلام مجيباً:

"- لست أنا من أعطى هارون هذه الوظيفة وهذا المقام، بل هو الله تعالى!."

لكن قارون امتنع وقال:

"- إن لم تظهر لي علامة فلَن أقبل بذلك أبداً!."

فجمع موسى عليه السلام رؤساء بني إسرائيل وقال:

"- أحضروا عصيكم! وضعوها جميعاً في مكان محدد. فمن اخضرت عصاه فهو من يستحق أن يكون حبراً."

فأحضرت العصي؛ ووضعت في المكان الذي يتعبدون فيه. فلم تخضر إلا عصا هارون عليه السلام وأخرجت الأوراق الخضراء منها.

وأمام تجلي هذه المعجزة الإلهية، التفت موسى عليه السلام إلى قارون وقال له:

"- يا قارون! أأنا من فعل ذلك؟"

وكان قارون متفاجئاً. ولكنه على الرغم مما رآه من حقيقة الأمر إلا أنه بقي متبعاً لهوى نفسه وقال:

"- ليس هذا إلا عمل من أعمال السحر!." ومن ثم ترك ذلك المجلس غاضباً.

ويأمر الله تعالى قوم بني إسرائيل أن يضعوا شريطاً أزرق على ألبستهم. فيمتنع قارون عن ذلك أيضاً ويقول:

"- ليس هذا إلا لفصل الأسياد عن العبيد!." ولم يضع هذا الشريط.

وهكذا ازداد حنق قارون على موسى عليه السلام كثيراً. وكان الحسد في نفسه يحرق أوصاله ويذيبها. وكان يجتذب الناس إليه بتقديم الضيافة ويعمل على تفضيل نفسه عبر أحاديث معينة يقولها.

وفي يوم من الأيام، وبناءً لأمر من الله تعالى، يقوم موسى عليه السلام بحساب مقدار الزكاة المستوجبة على قارون من ماله ويطلبها منه. فيقول قارون:

"- والآن سلطت عينيك على مالي؟ إنني أنا من اكتسب هذا المال!"

يقول الله تعالى في خطاب قارون بقوله:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (القصص، ٧٧)

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلاَ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ (القصص، ٧٨)

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيوةَ الدُّنيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (القصص، ٧٩)

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقّيهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾

(القصص، ٨٠)

افتراء بشع

وفي أحد الأيام، يجمع قارون قوم بني إسرائيل. وينادي موسى عليه السلام أيضاً ويقول:

«- الآن يا موسى! أخبرنا بأوامر الله في هذه الأمور: ما هو عقاب من يسرق، وما هو عقاب من يزني، وإن كنت أنت من فعل ذلك فما هو عقابك؟!»

فيجيبه موسى عليه السلام:

«- تقطع يد من يسرق، ويرجم من يزني!.»

فيكرر قارون سؤاله:

«- وإن كنت أنت الفاعل!؟»

فيقول موسى عليه السلام:

«- العقاب نفسه»

وأمام هذا الجواب، ينادي قارون امرأة من بين الجمع كان قد اتفق معها في خطة سافلة محضرة مسبقة، فقال:

«- يا أيَّتها المرأة، تعالي! تعالي وأخبري بما كان بينك وبين موسى من فعل قبيح وقلة عفة!.»

فاحتد موسى عليه السلام بشدة أمام هذا الافتراء العظيم وغضب غضباً شديداً.

وفي هذه الأثناء، تقترب المرأة منهم. وتحاول أن تنطق بشيء إلا أن لسانها يعقد عن الحديث، فلم تستطع قول أي شيء.

فيسألها موسى عليه السلام بحدة:

«- يا أيَّتها المرأة! بحق الله تعالى فالق البحر ومنزل التوراة أجيبي بالحقيقة: هل أعرفك؟ وهل لي أي علاقة بك؟»

فتقول المرأة بندم كبير:

«- يا موسى! لقد أعطاني قارون مالاً كثيراً واحتال علي لكي ألفق إليك هذا الإفتراء.»

فسجد موسى عليه السلام وقال:

«- يا ربي! أعطهم عقابهم!.»

وأمام هذا الدعاء، انشقت الأرض. ووقع في جوفها قارون بخطته السافلة وكل من تبعه بكل ما امتلكوه من خزائن.

يقول الله تعالى:

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾ (القصص، ٨١)

لقد أهلك قارون بميله إلى الدنيا وحسده للآخرين. ولهذا، تحدثنا الآية الكريمة عن ضرورة اللجوء إلى الله تعالى من شر الحاسدين بقوله تعالى في سورة الفلق:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ. مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ. وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ. وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ (الفلق، ١ -٥)

إن عاقبة الحاسدين ليست إلاّ الخسارة. ولهذا، نجد أن الناس بعد رؤيتهم لما آل إليه قارون وأعوانه تندموا على ما ظنوا به من أمر وقالوا بكل ندامة:

﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (القصص، ٨٢)

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص، ٨٣)

وفي عبرة إلى الأمة من خلال قصة قارون هي أن عاقبة وخيمة هي تلك التي تنتظر المتكبرين وأهل الحسد ومن نسي الآخرة وخاض في هذه الدنيا.

وبتعليق منه على حادثة الإفتراء في هذه القصة أيضاً يقول أحد أرباب التصوف:

بعد ما قام به موسى عليه السلام من حركة دون أن يصبر وينتظر الوحي الإلهي، أي ما كان منه من قتل لفاطون بدفعه قليلاً، كان سبباً كافياً له لتردي موضع وجدانه. بل إن الله تعالى خاطبه وقال له بشكل مباشر:

«- **وقتلت نفساً!.**» (طه، ٤٠) أي أن الله تعالى قال له:

«- لقد قتلت ذلك القبطي دون أن تحصل على موافقتنا أو أوامرنا أو وَحْينا!.» في مؤاخذة من الله تعالى له على ذلك. وهكذا، أتت هذه الشوكة؛ وغرست في وجدان موسى عليه السلام تكراراً وتكراراً. علماً أن قصده لم يكن كذلك حينها. ولكن ما قام به من فعل من نفسه جعلت له سبباً أن يكون عرضة للعديد من الأمور والإفتراءات التي لم يقم بها. ولهذا يقول مشايخنا:

«إذا لم تقم بإلقاء محبة فعل الأمور من رأسك دون الاعتماد على الأوامر الإلهية، ينظفون سيفك وتقتل بسيفك أنت، وليس بغيره!.»

والهدف من هذا هو تحسين النيّة قبل كل شيءٍ وعدم الإعتماد على النفس والتفاؤل بالخير

موسى عليه السلام والخضر[1] عليه السلام

بعد أن غرق فرعون في البحر الأحمر، بدأ موسى عليه السلام بإلقاء المواعظ على قومه بشكل فصيح جداً وبليغ ومؤثر. فأعجب القوم بعمق المعرفة والعلم الذي رأوه من موسى عليه السلام؛ وقال أحد هم:

«- يا نبي الله! هل هناك من أحد هو أكثر منك علماً على وجه الأرض؟»

فقال له موسى عليه السلام:

«- لا أعلم أحداً كذلك!»

فينزل عليه الوحي ليخبره:

«هناك عبد من عبادي تجده عند ملتقى البحرين، أعطيته علماً خاصاً من عندي (علماً من لدنا). فاذهب إليه مع رجل متميز تختاره من أمتك!.»

وكان من أشير به إليه هو الخضِر عليه السلام.

«- وهل سأجد هذا الشخص يا ربي؟»

فيأمره الله تعالى أن يضع سمكة ميتة في زنبيله، فإذا ما عادت هذه السمكة إلى الحياة ونزلت الماء عند ملتقى البحرين فإنه سيجد الخضر هناك.

ويروى أن موسى عليه السلام يخرج للقاء الخضر ومعه ابن أخته يوشع بن نون مباشرة.

تتحدث الآية الكريمة عن هذه القصة بقوله تعالى:

﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا**﴾ (الكهف، ٦٠)

ويفسر مولانا قدس الله سره هذه الحادثة المليئة بالعبر والحكم بهذا الشكل فيقول:

«يا صاحب الكرم! شاهد هذا الاشتياق المعنوي عبر «كليم الله» موسى عليه السلام! أنظر ماذا يقول كليم الله موسى عليه السلام:

«- على الرغم من هذا المقام الرفيع الذي أنا عليه إلا أنني لا أشعر وجوداً عندي. فأذهب إلى الخضر لينير ضوءاً في روحي إلى ما هو أبعد.»

وعندما يذهب موسى عليه السلام للقاء الخضر يقول له قومه:

«- يا موسى، لقد تركت قومك، وذهبت تبحث عمن هو أقل مرتبة منك!

مع أنك نبي تخلص من «الخوف» و«الرجاء». فإلى متى ستدور، وإلى أي وقت ستبحث؟

---

١ الخضر عليه السلام: اسمه بليان بن ملكان وكنيته أبو العباس

ما تبحث عنه موجود فيك... وأنت تعلم ذلك. يا نبياً كبيراً كالسماء! إلى متى ستدور على الأرض؟»

فيقول موسى عليه السلام لقومه:

«- رجاءً، لا تقطعوا الطريق بين الشمس والقمر! فأنا هلال النبوة، والخضر شمس الولاية. أي أن هناك أنبياء أعلى رفعة مني. أما الخضر فهو خير الأولياء.»

ويكمل موسى عليه السلام بقوله:

«- أنا ذاهب لصحبة ولي هو سلطان زمانه لألتقيه عند مجمع البحرين. وسأعمل للوصول إلى الحقيقة والمعرفة بصحبة الخضر. ولهذا سأسافر لمدة طويلة. إلى أن ألتقي به.

سأطير سنوات طويلة بأجنحة العزيمة والهمة. فما معنى السنوات، فلو ذهبت سنوات طوال، سأبحث عنه وأجده. ألا تستحق هذه الرحلة أن أجد هذه الجوهرة؟»



﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ (الكهف، ٦١)

والحديث هنا هو عن موسى عليه السلام ويوشع بن نون.

بحسب إحدى الروايات، يأخذ موسى عليه السلام ويوشع بن نون استراحة ينامون فيها. وفي هذه الأثناء تدب الحياة بالسمكة وتقفز إلى الماء. ولكن يوشع ينسى إخبار موسى عليه السلام بذلك. وعندما استفاق موسى قال له:

"- هيا لنكمل مسيرنا؛ لربما ما زال ينتظرنا طريق طويل!"

وأكملا طريقها. وبعد المسير مدة من الزمن جلسا قرب جذع شجرة يستظلان بها.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَيهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هذَا نَصَبًا﴾ (الكهف، ٦٢)

فيتذكر يوشع بن نون فجأة ويقول:

"- لقد نسيته في المكان الذي قفزت فيه السمكة إلى البحر!"

﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ (الكهف، ٦٣)

﴿قَالَ ذلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف، ٦٤)

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ (الكهف، ٦٥)

إن تسمية "علم لدن" الموجود في الطرق الصوفية هو مأخوذ من هذه الآية الكريمة. إن علم التصوف هو مخصص لجزء من أهل الذوات وخلاصته هي الزهد؛ والوصول إلى مشاعر الإحسان. أي أن هذا العلم متعلق بحياة القلب. إضافة إلى ذلك، إن على المرء مسؤولية في هذا الشأن تماماً كقابليته وسداده. فالعبد مكلف باكتشاف هذا السداد حرصاً على سلامته. وهذا الأمر ممكن من خلال تزكية النفس وتصفيتها. أما العلم اللدني فهو علم يهبه الله تعالى للمرء بعد الحصول على التعليم المعنوي في عالم التصوف. ولهذا يقول الله تعالى متحدثاً عن الخضر عليه السلام بقوله:

﴿...**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾ (الكهف، ٦٥)

كما يقول الله تعالى في سورة البقرة أيضاً:

﴿...**وَاتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ**..﴾ (البقرة، ٢٨٢)

يروي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول:

«إن العلم الباطن هو حكم تتألف من عدد من الحكم وسر من أسرار الله جل جلاله، بحيث يعطى هذا العلم إلى قلب من يطلبه من عباده.» (السيوطي، الجامع الصغير،٢، ٥٢)



يجد موسى عليه السلام هذه الشخصية التي حدثه الوحي عنها جالساً على خرقة له على ظهر صخرة هناك فيسلم عليه ويقول:

"- أنا موسى!"

فيجيبه الخضر عليه السلام:

"- مُوسَى بَنِي إِسْرَائِيلَ؟!".

فيقول موسى عليه السلام: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا

"- أأنت من أخبرني الله بأنه أعلم الناس؟"

فيجيبه الخضر عليه السلام:

"-يا موسى إني على علم من علم اللّٰه علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم اللّٰه علم لا أعلمه"[١]

ويخبر موسى عليه السلام الخضر عليه السلام عن رغبته في تلقي هذا العلم منه. فكان يريد أن يتعلم من الخضر حكمة حقيقة بعض الأمور التي تظهر لديه عجيبة وغريبة ولا يمكن فهمها بالعقل الظاهري.

١ أنظر: البخاري، التفسير، ١٨/ ٢، ٣،٤/ ٤٧٢٥؛ الأنبياء، ٢٧؛ مسلم، الفضائل ١٧٠/ ٢٣٨٠

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ (الكهف، ٦٦)

فيجيبه الخضر عليه السلام:

﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا. وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ (الكهف، ٦٧ - ٦٨)

من خلال هذه الكلمات الأولى، أراد الخضر عليه السلام أن يختبر الوضع النفسي لموسى عليه السلام، فكان أن أخبره عن نفسه من خلال هذه الكلمات القصيرة. فحصة موسى عليه السلام من هذا الأمر أن يأخذ درسه في معرفة موقعه وأن يعمل على التحمل والصبر. أي أنه كان كمن يقول لموسى عليه السلام بلسان حاله:

"- صبرك وأنت برفقتي هو أمر لا يمكنك التحكم به. وأنت معذور في هذا الشأن. لأنه كمال هذا العلم لم يعطى بعد إليك"

فيقول له موسى عليه السلام:

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ (الكهف، ٦٩)

فيقول له الخضر عليه السلام:

"- إن كنت ستتبعني، فلا تسأل عن شيء ما لم أخبرك بسره! أي أن يقف نقاشنا عند هذا الحد؛ لا تسأل حتى لمجرد الفهم!."

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (الكهف، ٧٠)

وخرجوا في تلك الرحلة المشهورة. يروي لنا القرآن الكريم تفاصيل هذه الرحلة المليئة بالحكم والعبر بقوله تعالى:

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ (الكهف، ٧١)

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف، ٧٢)

﴿قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (الكهف، ٧٣)

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"وَكَانَتِ الأُولَى مِنْ مُوسَى نِسْيَانًا، قَالَ: وَجَاءَ عُصْفُورٌ فَوَقَعَ عَلَى حَرْفِ السَّفِينَةِ فَنَقَرَ فِي الْبَحْرِ نَقْرَةً، فَقَالَ لَهُ الخَضِرُ:

مَا عِلْمِي وَعِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ اللهِ إِلَّا مِثْلُ مَا نَقَصَ هَذَا العُصْفُورُ مِنْ هَذَا البَحْرِ..." (البخاري، التفسير، ١٨/ ٢- ٤/ ٤٧٢٥)

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ (الكهف، ٧٤)

﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ (الكهف، ٧٥)

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ (الكهف، ٧٦)

وقول موسى عليه السلام بهذا الشكل هو اعتذار منه لنفاد كل ما كان لديه من أعذار وسعيه لتوضيح ذلك.

﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ (الكهف، ٧٧)

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف، ٧٨)

وبعد ذلك كله يوضح الخِضر لسيدنا موسى لماذا قام بهذه الافعال:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف، ٧٩)

﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (الكهف، ٨٠)

﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ (الكهف، ٨١)

﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ (الكهف، ٨٢)

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن ذلك الكنز المخفي تحت الحائط بقوله:

"إن الكنز الذي ذكر اللّه في كتابه: لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه: عجبت لمن أيقن بالقدر لم نصب ؟ وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك ؟ وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل؟ لا إله إلا الله، محمد رسول اللّه" (ابن كثير، قصص الأنبياء، ص ٤٢٤، جـ٥، ص ١٨٦)



إذن، إن السؤال الذي هو نصف المعرفة في العلوم الأخرى هو ممنوع في العلم اللدنّي. فنفس الطالب هنا ستتحضر بالقابلية أكثر بكثير منها في الفعالية.

فعلى سبيل المثال، إن فن المعمار سنان الذي استخدمه في بناء مسجد السليمانية بما لديه من قدرة علمية وقابلية، هي أعلى مرتبة من مختلف الفنانين.

وعدم معرفة المعمار سنان بحرفة الرخام الموجودة لدي العامل الذي عمل في بناء هذا المسجد هو أمر لا ينتقص من علمه. لأن مختلف هؤلاء الفنانين الحرفيين هم عمال يعملون بإمرته. وهم سيتعرفون على تفاصيل حرفية الرخام منه.

بالفعل، إن إرسال موسى عليه السلام الذي هو من الأنبياء أولي العزم إلى الخضر عليه السلام لتلقي العلم اللدني هو أمر ملفت جداً للإنتباه. وأن يسعى موسى عليه السلام لتلقي العلم اللدني من رجل على معرفة به هو أمر لا ينتقص منه عليه السلام.

وهو في الوقت نفسه تبليغ من الله تعالى بأن موسى عليه السلام هو نبي لا يعرف كل شيء، وأنه لا يعرف أكثر مما علمه الله له وأعطاه. كما أن إعطاء هذا العلم إلى الخضر لمن هو أقل مرتبة منه وشأناً هو إشارة أيضاً إلى أنه حتى الأنبياء هم بشر عاجزون أمام العلم والمعرفة الإلهية.

والحكمة الأخرى أيضاً هي أن كلاً من الخضر وموسى عليهما السلام يمتلكان علماً مشتركاً وهو معرفتهم بـ "ذو الجناحين"، أي من يمتلك معرفة من الدنيا والآخرة نبينا محمداً المصطفى ﷺ وعلو قدره ومقامه الذي هو أفضل المقامات.

إن قصة الخضر عليه السلام تضع بشكل مباشر حقيقة أن العقل لا يمكنه إدراك حقيقة الأحداث والوقائع إلا بعد الجلوس والتفكر بأسبابها. فعند زوال الأسباب والأعذار، يبقى العقل في عجزه فلا يدرك الحكمة.

من جهة أخرى، إن موسى عليه السلام هو نبي صاحب شريعة وهو مكلف بتطبيقها. والخضر عليه السلام هو صاحب علم أعطاه الله له من لدنه يتصرف من خلاله.

وما اعتراض موسى عليه السلام على أفعال الخضر إلا بسبب الدقة في تطبيق حدود شريعته. لأن موسى عليه السلام هو مكلف بظاهر الأمور والحال، أي أنه وقف على علم الزمان الذي هو موجود فيه، وهو يحكم على الأمور والأحداث من خلال هذا العلم.

أما العلم الذي يمتلكه الخضر، فهو علم يعتمد على المستقبل، ولهذا فإنه كان يظهر لموسى عليه السلام تجلي القدر. ولهذا، فإن تصرفات الخضر عليه السلام، وتصرفات موسى عليه السلام من اعتراضات على الأول، لم تكن كل منها تعارض الآخر من منظور العلم الإلهي. فالخضر عليه السلام كان يتحرك ضمن حدود تتجاوز شروط الحكم العقلية بناءً للعلم الذي يمتلكه.

إذن، إن هناك من الحقائق ما يمكن التصرف من خلالها بما لا يمكن للعقل أن يقبل به. وبالتالي، فإن الاستناد إلى العقل وحده في البحث عن الحقيقة هو أمر غير صحيح. فكما أن العين لا ترى إلا لمسافة محددة، وكما أن الأذن لا تسمع إلا من مسافة محددة، فالعقل أيضاً هو محدود في فهمه للأحداث والحقائق.

وعندما يتم تخطي حدود هذا العقل، فإن الإدراك يقع في العجز المطلق. وفي هذه الحالة، فإن من الواجب تسليم الفؤاد إلى الحق سبحانه وتعالى.

كذلك الأمر، يتوصل الإمام الغزالي أيضاً إلى قناعة بأنه لا يمكن لأحد الوصول إلى الأسرار الإلهية بالعقل، ووجد ضرورة العبور إلى الحياة القلبية بما وراء العقل، وأنه بهذه الطريقة وحدها يمكن الوصول إلى الحقيقة المطلقة.

كذلك الأمر، تمكن الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه المشهور «تهافت الفلاسفة» أن يقض ويُبطل فلسفة الفلاسفة ويثبت عجز العقل. ويخبر عن حالته المعنوية بهذا الشكل فيقول:

«حصرت عقلي؛ فوصل إلى درجة الإنفلاق وتعرفت بعد نقطة معينة بالعجز المطلق. فأدركت أن لا حيلة لنا إلا الحصول على الفضائل الروحانية من النبي ﷺ لنتمكن من فهم الأسرار الإلهية!

فدعوت الله تعالى والتجأت إليه. وتمكنت بنتيجة التربية المعنوية كالذكر والرياضة والتفكر من الإلتقاء بروحانية رسول الله ﷺ ونجوت.»

ولهذا، فإننا عند تحليل الأحداث في قصة الخضر عقلانياً فإننا سنجد التالي:

إن ثقب السفينة هي من وجهة النظر الظاهرية ظلم وبعيدٌ عن الإنصاف. أما في الحقيقة فإنها منع لغصب هذه السفينة التي هي مصدر رزق هؤلاء الفقراء من الاستيلاء عليها من الظالمين.

كذلك الأمر، إن ظاهر الأمر في قتل الولد هو جريمة. أما حقيقة هذا الأمر فهو حماية للأب والأم الصالحين بل وحماية للطفل نفسه يوم القيامة.

كذلك الأمر، إن إصلاح الحائط الذي كان على وشك الانقضاض في القرية التي طردوا منها، هو في ظاهر الأمر لا يتوافق مع المنطق. أما في حقيقة الأمر فهو المحافظة على الأمانة ليتيمين مظلومين.

إن أسرار هذه الأحوال هو أمر لا يمكن ظهوره إلا من خلال العلم من لدنه ﷻ (القلب). ولهذا السبب، فإن سر القدر لا يمكن إدراكه من خلال العقل وحده. لأن إدراك القدر بشكل كامل هو كيفية تفوق إدراك البشر.

يروي البخاري في سياق المعاني التي تحملها هذه القصة حديثاً شريفاً عن النبي ﷺ يقول فيه:

"يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى لَوْ كَانَ صَبَرَ لَقُصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا" (البخاري، الأنبياء، ٢٧/ ٣٤٠١؛ أحمد بن حنبل، الجزء ٥،١١٨)

أسئلة للتقييم

أ- أجب عن الأسئلة الآتية

١ - كيف كان أهل مدين يعاملون الغرباء الذين يأتون عندهم للبيع أو الشراء؟

٢ - أين قضى شعيب عليه السلام الفترة الآخيرة من عمره؟

٣ - بسبب أي من سلوك أهل مدين قال شعيب عليه السلام:

﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (العنكبوت، ٣٦)؟

٤ - لماذا هدد أهل مدين الذين لم يؤمنوا بشعيب عليه السلام المؤمنين وحاولوا إخراجهم عن الطريق الحق؟

٥ - قم بإحصاء الأشياء التي كانت سببًا لهلاك قوم مدين؟

٦ - قارن بين الطريقة التي هلك بها كل من قومي ثمود ومدين؟

٧ - من أولو العزم من الرسل؟

٨ - أي الأقوام استخدم ألفاظ سبطي وقبطي وفرعون؟

٩ - لماذا أمر فرعون بقتل كل طفل ذكر يولد حديثًا في بني إسرائيل؟

١٠ - كيف ذكر القرآن الكريم فرعون الذي قتّل الأطفال الذكور في بني إسرائيل وتركهم بلا قوة؟

١١ - كيف انتقل موسى عليه السلام إلى قصر فرعون، ومن ثم رُبي ونشأ فيه في الوقت الذي كان فرعون يقتل كل طفل يولد للأسباط؟

١٢ - إذا نظرنا إلى حياة الأنبياء، وجدنا أن كل الأنبياء تقريبًا اشتغلوا برعي الأغنام. تُرَى ما السبب والحكمة من وراء ذلك؟

١٣ - عندما جاء موسى عليه السلام إلى وادي طوى، أُمر أن يخلع نعليه. وضح الحكمة من ذلك؟

١٤ - وضح السبب وراء طلب موسى عليه السلام أن يكون أخوه هارون معاونًا له في أمور الرسالة؟

١٥ - على الرغم من أن الله عز وجل يعلم أن فرعون لن يؤمن عندما ذهب إليه سيدنا موسى وسيدنا هارون، فإن الله أمرهم ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه، ٤٤). علّق على أمر الله بالنظر إلى ما نعيشه في يومنا الحاضر؟

١٦ - بأي الأسباب ربط مولانا جلال الدين الرومي بين إسلام السحرة وتعرضهم للعذاب من قبل فرعون بعد ذلك؟

١٧ - تحدث عن الحالة الروحية للسحرة الذين آمنوا بعدما رأوه من معجزات موسى عليه السلام ونفضوا الخوف عن قلوبهم، على الرغم من أنهم ظلوا طيلة حياتهم لا يؤمنون؟

١٨ - آمن فرعون على الفور عندما رأى أن مياة البحر بدأت تنطبق عليه. و لكن العلماء يقولون إن إيمانه لم يُقبل. وضح سبب ذلك؟

١٩ - أي من الأفكار تثير ذهننا عندما نرى جثة فرعون المعروضة في وضع السجود في المتحف البريطانى بلندن اليوم؟

٢٠ - ما الحكمة وراء عدم شعور سيدنا موسى بالجوع على الإطلاق وهو صائم أربعين يوماً في جبل الطور؛ إلا أنه لم يتحمل الجوع في سفره إلى الخضر الذي استمر نصف يوم؟

٢١ - ما سبب طلب سيدنا موسى أن يرى الله، وما الأسباب التي من أجلها لم يستطع رؤيته؟

٢٢ - ماذا كان رد فعل قارون عندما طلب منه موسى عليه السلام زكاة ماله؟

٢٣ - أي أفكار تثيرها في ذهننا عاقبة قارون الذي رأى أنه أفضل من أي شخص لأنه كان يقرأ التوراة بشكل أفضل؟

٢٤ - ما الدروس التي يمكن أن يستفيد منها طالبوا العلم من سفر موسى عليه السلام وهو أحد أولي العزم من الرسل خلف شخص لا يعرفه كي يستزيد من علمه؟

ب- أكمل مكان النقاط فيما يلي

١ - أُرسل موسى عليه السلام إلى قوم .... ؟

٢ - قام .... بمساعدة أخيه موسى عليه السلام.

٣ - أُطلق اسم .... على أهل مصر المحليين.

٤ - أُطلق على موسى عليه السلام اسم .... لأنه كان يكلم الله.

٥ - أُطلق اسم .... على الكتاب الذي يحتوي على تفسير التوراة والتعليق عليها.

٦ - يُذكر شعيب بين الأنبياء بأنه .... بسبب حديثه المؤثر الجميل وقدرته على الإقناع.

٧ - كثرة بكاء شعيب عليه السلام بسبب .... جعلته يفقد ....

٨ - قلوب العباد المقربين إلى الله .... لدرجة أنها لا تنظر حتى بطرف عينها لا إلى نعم الدنيا ولا إلى نعم الآخرة.

ج- ضع إشارةً علي الإجابات الصحيحة للأسئلة الآتية

١ - أيُّ نتيجة نخرج بها من تحذير شعيب عليه السلام لقومه قائلاً: ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ (هود، ٨٩)؟

أ - أن أهل مدين من نسل قوم لوط.

ب - أنهم يشبهون الأقوام السابقة ذكرها في إنكارهم وعصيانهم.

ج - يجب أخذ العبرة من حال قوم لوط الذين هلكوا في فترة زمنية قريبة من أهل مدين.

د - يجب أن يستفيد العقلاء وأصحاب البصائر مما يتعرض له الآخرون من أحداث بها مواعظ.

٢ - أيٌّ من الأنبياء الآتية أسماؤهم تربطه بشعيب عليه السلام صلة قرابة؟

أ - آدم عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام.

ب - عيسى عليه السلام، وموسى عليه السلام.

ج - صالح عليه السلام، وإبراهيم عليه السلام.

د - أيوب عليه السلام، وموسى عليه السلام.

٣ - أيٌّ اعتقاد سيطر على المشركين عند النظر إلى إجابة شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (هود، ٩٢) **عندما سأله القوم ﴿قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾** (هود، ٩١) **؟**

أ - أنهم وضعوا اعتبارًا للقوة الدنيوية بديلاً عن عظمة الله وقدرته.

ب - أنهم أولوا اهتمامًا أيضًا للقوى البشرية إلى جانب قدرة الله.

ج - أنهم أرادوا أن يؤذوا شعيبا عليه السلام ولكنهم خافوا عذاب الله.

د - أنهم أحبوا كثيرًا كل من ينتمي إلى قبيلة شعيب عليه السلام.

٤ - أيٌّ مما يلي ليس من خصال شعيب عليه السلام الحميدة التي دعا إليها قومه؟

أ - أن يتحروا العدالة ولا يحتالوا في الكيل والميزان.

ب - إيمانهم بالله الواحد وبرسله.

ج - أن لا يأمروا بقتل الضيوف والأجانب.

د - أن يبتعدوا عن السرقة والرشوة والابتزاز.

٥ - على الرغم من أن قوم مدين لم يرغبوا في الاستماع إلى نصائح شعيب عليه السلام فإنهم كانوا يقولون له ﴿....... إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (هود، ٨٧). إلى أيٍّ مفهوم عندهم يشير هذا الموقف؟

أ - على الرغم من أن مظهرهم كان يوحي بعدم إيمانهم، فإنهم كانوا مؤمنين في الداخل.

ب - على الرغم من عدم رغبتهم في قبول العقيدة التي جاء بها شعيب عليه السلام وبمبادئها الإجتماعية، فإنهم بُهروا بشخصيته.

ج - على الرغم من أنهم كانوا لا يحبونه، فإنهم كانوا يمتدحونه.

د - قبلوا من قلوبهم العقيدة التي جاء بها شعيب عليه السلام وبنظامها الإجتماعي.

٦ - أيٌّ مما يلي ليس واحدًا من الإشارات التي حدثت قبل وقوع العذاب الذي أُرسل إلى أصحاب الأيكة؟

أ - هبوب رياح ساخنة.

ب - ظهور ذباب أزرق اللون.

ج - تزايد ارتفاع درجة حرارة الجو.

د - أن السماء تلبدت تمامًا بسحب سوداء اللون.

٧ - قال شعيب عليه السلام:

﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (هود، ٩٢).
أيٌّ مما يأتى لا يمكن استخراجه من الآية السابقة؟

أ - أن شعيباً عليه السلام كان يثق بربه تمام الثقة وليس بقبيلته.

ب - أن قوم مدين أرادوا أن يضربوا شعيبا عليه السلام ولكنهم ترددوا في ذلك بسبب قبيلته.

ج - لم يعتقد قوم مدين بقوة الله ومقدرته.

د - أن شعيباً عليه السلام كان يرغب أن يهلك الله قومه.

٨ - أيٌّ مما يلي ليس من الصفات السيئة لأصحاب الأيكة؟

أ - أنهم طلبوا أجرًا من الأنبياء مقابل إيمانهم.

ب - أنهم كذّبوا أنبياءَهم وظلموهم.

ج - أنهم عصوا الله ولم يتبعوا عقيدة التوحيد.

د - أنهم كانوا يحتالون في التجارة والبيع والشراء.

٩ - أيٌّ مما يلي ليس أحد الأسباب التي أجبرت بني إسرائيل على الهجرة من مصر؟

أ - أنهم تعرضوا لظلم واضطهاد من فرعون والأقباط.

ب - أنهم فقدوا اعتبارهم وحقوقهم الاجتماعية في عيون شعب مصر.

ج - أن الأقباط زادوا من تعذيب الأسباط، الذين شعروا بالقلق من زيادة أعدادهم، وآذوهم.

د - لم يرغب فرعون أن يأوي بنو إسرائيل داخل مصر وقام بطردهم.

١٠ - إلى ماذا يشير أن المصادر الدينية عند اليهود تحكي أنهم اتهموا أنبياءهم بالتهم والأفعال القبيحة التي لا يمكن اتهام الأشخاص العاديين بها، وتسليم اليهود بذلك؟

أ - أن المعلومات الواردة في المصادر الدينية عند اليهود معقولة ومنطقية.

ب - أن اليهودية لم تنقل حقائق الحياة كما هي.

ج - أنهم ألصقوا أهواءهم النفسية ورذائلهم بالأنبياء.

د - أن معتقدات الأنبياء كانت ساذجة ومحدودة

١١ - يمكن استفادة كثير من الدروس من أن فرعون، الذي لم يترك أيٌّ طفل يولد حديثًا سالمًا، هو نفسه الذي ربى موسى عليه السلام في قصره. أيٌّ مما يأتي لا يمكن عده ضمن هذه الدروس المستفادة؟

أ - أن الله جل جلاله يبتلي عباده الذين أراد لهم أن يصيروا أنبياء باختبارات اعتبارًا من سنوات طفولتهم.

ب - أن الله جل جلاله إذا قدر شيئا، فليس لإرادة العبد الجزئية حكم يعارض إرادة الله. لهذا السبب لا يشعر أصحاب الإيمان الحقيقي بخوف من أيٌّ من المخلوقات.

ج - إذا أراد الله جل جلاله أن يحمي أحد عباده، فإنه لا يعين أحدًا على ضره. لذلك تربى موسى عليه السلام في قصر فرعون وهو أكثر الأماكن أمانا في مواجهة ظلم فرعون وتعذيبه.

د - أن الله جل جلاله هو الملجأ الوحيد للعبد في كل الأحوال. وأنه - بكل تأكيد - يصل بكل من يلجأ إليه إلى السلامة.

١٢ - على الرغم من أن سيدنا موسى قد تربى في قصر فرعون، فإنه تربى على عقيدة التوحيد والأخلاق الحميدة، وليس على عقائدهم ومفاهيمهم المختلفة للأخلاق. إلى أيٌّ حقيقة تشير هذه الحادثة في تربية الإنسان؟

أ - أن تربية الأبوين لأولادهما ليصيروا خيرين أو عكس ذلك، مرتبط بشكل كامل برغبات الأبوين.

ب - أن الله جل جلاله جعل عباده الذين لم يؤمنوا يقومون بتهذيب وتربية عقيدة كل الأنبياء وأخلاقهم.

ج - أن الله جل جلاله هو الذي يربي من يختارهم رسلاً ويرعاهم رعاية خاصة.

د - لا يوجد أي تأثير لرؤية الطفل نماذج للعقيدة السليمة والأخلاق الحميدة في تربيته.

١٣ - أيٌّ من التعبيرات الآتية خاطئ، عندما نفكر في المعنى الإشاري للأمر الإلهي "اخلع نعليك" الوارد في الآية الكريمة

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (طه، ١٢)؟

أ - كي يطهر قلبه مما يشغله من أمور الدنيا والآخرة.

ب - كي يتصل بالوحي ينسلخ تمامًا عن الأوصاف البشرية ويسمو إلى عالم الملكوت.

ج - "انسلخ عن طبيعتك وعن نفسك! واترك التفكير في نفسك وما يتعلق بها وأقبل وأنت على هذا الحال"

د - المقصود من النعلين، الدنيا والآخرة.

١٤ - أيٌّ مما يأتي هي بالترتيب صفات الذين ينسون الآخرة ويرغبون في ثراء الحياة الدنيا، والذين يفضلون نعم الآخرة على الثراء في الدنيا؟

أ - أن يكون مغرورًا - أن يكون مُدللاً.

ب - أن يكون فدائيًا - أن يكون صابرًا.

ج - أن يكون حريصًا - أن يكون قانعًا.

د - أن يحب الثراء - أن يحتقر الفقراء.

١٥ - أمر الله ﷻ موسى عليه السلام في الآية الكريمة ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (طه، ٤٤) أن يتحدث بلين وبلسان حلو مع فرعون الذي تخطى حده في الكفر والضلال. أيٌّ مما يلي ليس واحدًا من الدروس التي يمكن استنباطها من تلك الحادثة؟

أ - أوصى الله نبيه أن يستخدم أسلوبًا لينًا في الحديث معه حتى يحفظ نبيه من شر فرعون.

ب - يجب على موسى عليه السلام أن يخاطبه بأسلوب لين وبكلمات جميلة، مهما كان وضع المُخَاطب من ناحية العقيدة والأخلاق.

ج - تؤثر الكلمة اللينة واللسان الحلو والأسلوب السليم إلى حد ما في أن يغير الناس أفكارهم ومعتقداتهم.

د - لو أن موسى تحدث إلى فرعون بأسلوب حاد وتحداه، لربما أصبح ذلك سببًا في زيادة إنكاره وضلاله.

١٦ - أيٌّ مما يلي هو من صفات الأنبياء الموجودة في الإسلام واليهودية عند المقارنة بين مفهوم النبوة في الدينين اليوم؟

أ - الأمانة. ب - الفطنة.

ج - العصمة. د - التبليغ.

١٧ - أيٌّ مما يلي هو السبب غير الصحيح للحالة النفسية التي عاشها السحرة الذين لم يكن يساورهم أيُّ خوف أو قلق دنيوي بعدما آمنوا بالله، على الرغم من أنهم لم يؤمنوا إلا منذ فترة قصيرة؟

أ - أنهم آمنوا بالله إيمانًا صادقًا، ولم يعد في قلوبهم أثر لشك.

ب - أنهم ذاقوا لذة الإيمان، وأنهم أدركوا الأسرار الإلهية فيه.

ج - أنهم كانوا يعتقدون أن فرعون لن يستطيع أن يمسهم بسوء بعد أن آمنوا بالله.

د - أنهم وصلوا إلى الطمأنينة التامة بديلاً عن الخوف والقلق الذي استحوذ قبل ذلك على قلوبهم التي امتلأت بخشية الله وأمله.

١٨ - في ضوء حديثنا عن حاجة موسى عليه السلام إلى تلقي العلم من الخضر، ما أكثر الخصال التي يحتاج إليها من يتلقى العلم؟

أ - أن يكون ذكيًا.

ب - أن يكون مجتهدًا

ج - أن يكون مغتربًا.

د - أن يكون صابرًا.

١٩ - على أيٍّ حقيقية أكد الله ﷻ في الآية الكريمة ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ (الإسراء، ٣٧) كي ندرك جيدًا أن التكبر صفة لا تليق بالإنسان؟

أ - أن الإنسان بجسده الذي يتكون من اللحم والعظام عاجز عن تحدي الأرض أو حتى قطعة صخر فيها.

ب - أن للأرض والجبال قيمة تفوق قيمة الإنسان.

ج - القوة الرحية للإنسان أكثر قوة من القوة البدنية له.

د - ليس للإنسان أي قدرة ولا طاقة كي يتمكن من عبور الجبال وخرق الأرض.

٢٠ - أيٌّ مما يلي ليس من المصائب التي أرسلها الله ﷻ على اليهود؟

أ - تعرضوا لأسراب من الجراد والضفادع.

ب - حدث طوفان وسيول.

ج - تحول نهر النيل ومياه الشرب إلى دم أحمر اللون.

د - تحولت وجوههم بسبب ما ارتكبوا من ذنوب إلى اللون الأسود القاتم.

٢١ - لم يكن قول فرعون، قبل أن يغرق مباشرة أنه آمن برب موسى، كافيًا كي ينجو، فلم يتبقَ منه سوى جسده ظل على حاله حتى يومنا الحاضر. أيٌّ مما يلي لا يمكن أن يكون نتيجة يمكن استخراجها من ذلك؟

أ - آمن فرعون، ولكنه لم ينجُ لأنه لم يعبد الله قط، فرحل بإيمان جاف.

ب - لم يُقبل إيمان فرعون لأنه حدث في إطار حالة من الخوف واليأس.

ج - عندما تعرض فرعون لعدد من المصائب قبل ذلك، قال إنه سيؤمن، ولكنه كان يتراجع مع انقضاء المصيبة. ويمكن تقييم هذه الحاله أنها إشارة إلى أن فرعون سيظل حتى النفس الأخير كافرًا.

د - أن الله ﷻ بحمايتة لجسد فرعون حتى يومنا الحاضر، قدم للإنسانية صورة حية للموعظة ستستمر حتى يوم القيامة.

٢٢ - أيٌّ مما يلي ليس واحدًا من العوامل التي لعبت دورًا في تحريف التوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام؟

أ - أن التوراة حفظت في الأزمنة القديمة في شكل نسخة واحدة.

ب - أن نسخة التوراة الوحيد ضاعت بعد أن عاش بنو إسرائيل سنوات طوال تحت أسر بابل.

ج - أن أكثر بني إسرائيل خانوا الأمانة تجاه كتبهم المقدسة، وغيروا أماكن الكلمات في التوراة.

د - أن المعلومات الواردة في التوراة متضادة بعضها مع بعضها الآخر، وبعيدة عن الحقيقة.

٢٣ - رأينا في رحلة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر أن علاقة السبب والنتيجة ليست موجودة في الحالات التي قابلاها. وأن معرفة ذلك لم يكن عن طريق العقل والعلم، بل كان بالإلهام والحس القلبي، لذلك يجب على كل شخص أراد أن ينال هذا العلم أن يتحلى ببعض السمات. أيٌّ مما يلي ليس واحدًا من هذه السمات؟

أ - أن يزكي نفسه ويصفي قلبه.

ب - أن يصل في العلوم الظاهرية إلى مستوى محدد.

ج - أن يكون تقيًّا وأن يعمل بما عرف.

د - أن يطيع أمر الله حرفيًّا وأن يكون قلبه متعلقًا به.


حضرة داود
عليه السلام
و
حضرة سليمان
عليه السلام

الذي جيش بأذكاره الجبال والحجارة وحتى الحيوانات

حضرة سيدنا داود

عليه السلام

و

الذي لم تستأثر ثروته وجاهه وسلطانه الغظيم في الدنيا على قلبه

حضرة سيدنا سليمان

عليه السلام

داود عليه السلام:

يمتد نسب سيدنا داود إلى يهوذا بن يعقوب عليه السلام. ولد في القدس، يُخمن أنه توفي عن عمر ناهز المائة عام. آتاه الله حُكماً إلى جانب النبوة. ويخمن المؤرخون أن فترة حكم داود عليه السلام كانت ما بين ١٠١٥ إلى ٩٧٥ قبل الميلاد.

ذُكر اسم داود عليه السلام في القرآن الكريم ست عشرة مرة. نُزّل عليه الزبور باللسان العبراني.

طالوت وجالوت والتابوت:

ظل الأنبياء الذين أرسلهم الله إلى بني إسرئيل بعد موسى عليه السلام يعملون بما جاء في التوراة. كان اليهود يتبعون النبي المُرسل إليهم من قِبل الله ليدعوهم إلى طريق الرشاد ما دام حيًّا. إلا انهم كانوا يعودون إلى ضلالهم القديم مرة أخرى بعد وفاة النبي إلى أن يأتي نبي آخر. وكانوا يحرفون الأوامر الإلهية المرسلة إليهم وفق أهوائهم. لهذا السبب فإن اليهود، الذين كانت أحوالهم تنصلح بمجيء النبي، كانوا يعودون إلى الفساد في اول فرصة تسنح أمامهم.

وفي تلك الأثناء كان هناك قوم يطلق عليهم اسم العمالقة يسكنون المنطقة بين مصر والشام. وكان لهم رئيس اسمه جالوت بلغ من القوة والمقدرة شأنًا عَظيماً. لقد سلك الله ﷻ جالوت ليكون على رأس هؤلاء القوم. هزم جالوت بني إسرائيل، وأسر أطفالهم ونساءهم.

وكان لدى بني إسرائيل صندوق قيم تُحتفظ فيه بالأمانات المقدسة من عهد موسى عليه السلام. وقد اطلق القرآن الكريم على هذا الصندوق اسم "التابوت". فقام جالوت احتقارًا لبني إسرائيل بإلقاء القاذورات داخل هذا الصندوق.

أثار تصرف جالوت هذا حفيظة بني إسرائيل. وحزنوا كثيرًا لخروج التابوت من بين أيديهم. وكان مبلغ همهم وتفكيرهم في كيفية استرجاع التابوت مرة أخرى.

في تلك الأثناء كان هناك نبي اسمه أشموئيل. طلب منه اليهود حاكمًا يخلصهم مما هم فيه. فدعا أشموئيل الله وتضرع إليه.

فأوحى الله له أن يعين شخصًا اسمه طالوت ملكًا عليهم. ولكن بعضًا من اليهود كانوا يرفضون تنصيبه عليهم ملكًا، واعترضوا على ذلك قائلين:

"هذا الرجل ليس من نسل الحاكم!"

لأن الأنبياء الذين جاءوا إلى بني إسرائيل حتى ذلك الوقت كانوا من نسل لاوي بن يعقوب عليه السلام؛ اما الحكام فكانوا من نسل يهوذا بن يعقوب عليه السلام أيضًا. أما طالوت فلم يكن من نسل أي من الأخوين. يقول الله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ



وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (البقرة، ٢٤٦)

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة، ٢٤٧)

ففي رأى هؤلاء أن السلطة والثروة ورءوس الأموال يجب لأن تكون في يد بني إسرائيل. والواقع أن تفكيرهم هذا كان مخالفًا للمنفعة العامة والعدالة. كما يجب أن تؤل السلطة إلى من هم أهل لها، وليس إلى الأغنياء. فعند تحديد مدى أهلية الشخص الذي ستنتقل إليه السلطة وهل يليق بهذا أم لا، فيجب النظر إلى قوته المعنوية وعلمه وقوته وشجاعته إلى جانب تجاربه السابقة.

وفي هذه المرة قال المعترضون من بني إسرائيل على زعامة طالوت:

"لو أنه بالفعل حاكم، فاليأت لنا بدليل على ذلك!"

﴿وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة، ٢٤٨)

تذكر الروايات أن التابوت نزل أول ما نزل على آدم عليه السلام وانتقل منه إلى شيت عليه السلام ثم انتقل منه على الترتيب إلى إبراهيم عليه السلام ويعقوب عليه السلام ثم موسى عليه السلام. أما موسى عليه السلام فوضع داخل الصندوق المسمى بالتابوت ألواح التوراة وبعض المقتنيات القيمة. وكان الجنود ينقلون هذا التابوت معهم في حروبهم. فترتفع بوجوده الروح المعنوية للجنود وتزداد قوتهم.

وفي النهاية أرسل الله عز وجل الملائكة فنقلت التابوت أمام منزل طالوت. فلما رأى بنوا إسرائيل هذا فرحوا كثيرًا وقبلوا بحكم طالوت وزعامته.

الإختبار:

بدأ طالوت في إعداد صفوف الجيش بعد أن صار حاكمًا. وبعد مدة سار بجيشه إلى الملك جالوت. وبسبب ارتفاع درجة الحرارة في هذا الفصل من العام، كان الجنود في أمس الحاجة إلى الماء. ولكن الله عز وجل أراد من وراء ذلك أن يختبرهم، وأوحى إلى أشموئيل عليه السلام ذلك. فقال طالوت لجنوده وقد وصله مراد الله تعالى:

"إن الله سيمتحنكم بالماء؛ فمن يشرب الماء حتى الشبع، فلن يكون بين جنودي!".

فأُذن للجنود أن يغرف كل واحد منهم غرفة واحدة بيده من النهر ليشرب. يقول ابن عباس إن هذا النهر هو نهر الأردن، والذي كان يُسمى بنهر شَرى. (انظر: بن كثير، قصص الأنبياء، ص ٥١١)

وفي النهاية وصل طالوت وجنوده إلى شاطئ النهر المذكور. وكان قوام الجيش ثمانين ألفًا. لم يمتثل ٧٦ ألفًا منهم للأمر، وشربوا من الماء حتى شبعوا.

ولم يطع الأمر سوى أربعة آلاف شخص فقط. ظن كثير من هؤلاء أن عددهم قليل وعادوا. ولم يتبق من الجيش سوى ٣١٣ رجلاً. لو أننا أمعنا النظر لرأينا ان هذا العدد هو نفسه عدد المسلمين الذين حاربوا في بدر. رُوي عن البراء بن عازب ﵁:

"كنا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر، ولم يجاوزه معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة". (انظر: البخاري، مغازي، ٦).

ازداد عطش الذين شربوا قدرًا من الماء أكثر من حفنة باليد؛ وجفت شفاههم. وأُرهقوا كثيراً وخارت قواهم. أما من انصاعوا للأمر، فقد قوي إيمانهم، وازدادت شجاعتهم وقوتهم.

يقول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة، ٢٤٩)

يلفت النظر في الآية الكريمة مسألة الانضباط العسكري. فلكي يكون الجيش ناجحًا، فلا بد له قبل أي شيء أن ينصاع لأوامر القائد.

كما أن الإنتصار في الحرب لا يأتى بسبب كثرة في العدد، وإنما يرتبط بأسباب الحرب العادلة وبإيمان المجاهدين ومعنوياتهم. فتاج النصر يوضع على رأس الجيوش صاحبة المعنويات العالية، وليس الجيوش كثيرة العدد. ولعل انتصار جناقْ قلعة هو أروع مثال في التاريخ الحديث على ذلك.

سيدنا داود والنصر:

كان في جيش طالوت شاب يبلغ من العمر ١٨ عامًا. وكان يُدعى داود. يقول المفسر البيضاوي أن داود وإخوته الثلاثة عشرة وأباهم كانوا ضمن جيش طالوت.

فكان داود يسوق الماشية. وكان ماهرًا في الرمي بالمقلاع (الذي يستخدم في الرجم في الحروب). وكان شجاعًا للغاية، وكان يقول لأبيه:

- "إن كل الجبال والحجارة تُسبّح معي!"

فقال له أبوه:

- "يا داود، هذه بشرى لك!"

كان صوت داود عليه السلام قويا وجميلاً. لهذا السبب أخرجوه إلى طالوت. فقربه منه وجعله صديقه الذي يتناجى معه. التحق داود عليه السلام بالجيش الذي جهّزه طالوت للقاء قوم العمالقة. وقال طالوت:

من يقتل جالوت سأزوجه ابنتي!

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾

(البقرة، ٢٥٠)

نفهم من هذه الآية الكريمة أنه لا بد من توافر ثلاث صفات مهمة في الذين يذهبون لحرب العدو ابتغاء مرضاة الله. وهذه الصفات هي؛ الصبر على المحن والشجاعة والثبات وأخيرًا عدم فقدان الأمل في مجيء العون والمدد من الله تعالى.

أوحى الله عز وجل إلى أشموئيل عليه السلام أن داود سيقتل جالوت. لهذا السبب جعلوا داود يشترك معهم في تلك الحرب.

ولما التقى الجيشان، طلب جالوت أن يخرج شخص شجاع لمنازلته. فقبل داود عليه السلام التحدي وخرج له. وتعجب كل شخص لذلك. فقد كان جالوت بالنسبة إلى داود عليه السلام ضخم الجثة وأكثر منه قوة. فاستحقر جالوت داود، وقال له:

- "أنت أيها الحقير، هل أنت من جاء لمنازلتي؟ لماذا جئت؟"

فرد عليه داود، وقال:

- "جئت لقتالك!"

فسخر جالوت من قول داود عليه السلام؛ فأخرج سيدنا داود المقلاع، ووضع حجرًا كان قد جهّزه من قبل في المقلاع، ورمى به ناحية جالوت؛ فأصاب الحجر الذي رمى به داود عليه السلام جبهة جالوت تمامًا وألقى به من فوق فرسه قتيلاً.

كان جالوت قائدًا ضخم الجثة، وكانت قوته الشديدة موضع مدح الجميع. وعلى الرغم من قوته تلك، فقد هُزم أمام داود عليه السلام.

يرينا الله عز وجل من هذه الحادثة أن تحقق الأمور لا يرتبط بالشكل الخارجي فقط، بل تقع بإرادته هو وحده. ويعلمنا - سبحانه وتعالى - أن الضعيف في نظر الناس يصبح قويًّا بعون الله ومساعدته له . وأن الظالمين، الذين ينكرون الله، سيصبحون في الوقت الذي ستتحقق فيه إرادة الله عز وجل أكثر عجزًا حتى من طفل صغير. وهناك حكمٌ أخرى أراد الله عز وجل تحقيقها بهذه الحادثة. فقد أراد الله عز وجل لداود عليه السلام أن يأخذ الحكم بعد طالوت وأن يرثه من بعده ابنه سليمان عليه السلام.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ داود جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة، ٢٥١)

تتحدث الآية الكريمة عن حكمة النظام الإلهي المستمر في الحياة الدنيا. فقد ربط الله عز وجل إقامة توازن اجتماعي بين الناس بمجموعة من الأسباب. من هذه الأسباب أنه جعل بعض الناس أغنياء وبعضهم الآخر فقراء، وجعل بعضهم قويًّا وبعضهم الآخر ضعيفًا، وجعل بعضهم سليمًا مُعافًى وبعضهم الآخر يعاني المرض، كما جعل بعض الناس أيضًا مؤمنين وبعضهم الآخر منكرين، وتؤمن العلاقة بين هؤلاء كلهم نظام الحياة في الدنيا وتضمن له الاستمرار. وقيام الحروب بين الناس هو إحدى الوسائل التي تضمن استمرار نظام المجتمع، تماما مثل انتقال الطاقة بين الأقطاب الموجبة والسالبة.

قام طالوت عليه السلام بحرق كل الغنائم التي حصل عليها بعد انقضاء الحرب. لأن الغنائم التي يُتحصل عليها من العدو كانت تحرق وفق شريعة موسى عليه السلام.

عاد طالوت إلى القدس، وقص على إشموئيل عليه السلام حاله. فقال أشموئيل عليه السلام:

- "أنت أيضًا نَفِّذ ما وعدت به!"

فزوّج طالوت ابنته إلى داود عليه السلام.

وبعد وفاة طالوت، آل الحكم إلى داود عليه السلام. وبعد مدة من حدوث ذلك أعطاه الله عز وجل النبوة. وبذلك يصبح داود عليه السلام أول نبي يحوز السلطة والنبوة معًا. وكان داود دمث الخلق وقد حاز الفضيلة والإستعداد المعنوي. وقد نُزّل عليه الزبور وهو أحد أربعة كتب عظيمة نزلت من عند الله تعالى:

﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا داود زَبُورًا﴾ (الإسراء، ٥٥)

حكم داود عليه السلام الشعب طيلة حياته بالعدل. وكان يبدل ثيابه ويختلط بالناس يسألهم إن كانوا سعداء بإدارته الحكم أم لا، وما رأيهم في الحاكم. ولكنه لم يجد في كل مرة شخصًا يجيب عن اسئلته بالسلب أو أو يشتكي من الحاكم. (القرطبي، التفسير، ص ٢٦٦)

توضح الآية الآتية كيف توكل داود عليه السلام على الله وبذلك حصل على العون الإلهي، ومن ثم أحرز النجاح:

﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا داود ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص، ١٧)

تذكر إحدى الروايات أن داود عليه السلام كان شغوفًا بالعبادة شديد الميل إليها. فكان يصوم يومًا ويفطر يومًا. وكان لا ينام سوى ثلث الليل، ويقضي باقي الليلة في التعبد.

و كان داود عليه السلام يتحرى أفضل الأوقات حتى يتعبد لله. ويُذكر أنه سأل جبريل في يوم من الأيام:

- "يا جبريل، أي الأوقات أفضل للتعبد".

فأجابه جبريل عليه السلام:

- "يا داود! لا أعرف وقتاً أفضل من وقت السحر الذي ترتعد فيه حتى السموات العُلى من رحمة الله". (انظر: أحمد بن حنبل، الزهد، ص. ٧٠)

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص، ١٨-١٩)

لقد انعم الله عز وجل على داود عليه السلام بصوت عذب جميل. فكان إذا قرأ الزبور تجمعت حوله كل الحيوانات المتوحشة كي تستمع إليه.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا داود مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ، ١٠)

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (الأنبياء، ٨٠)

عمل داود عليه السلام في صناعة الدروع لتأمين جنوده ضد الأعداء من ناحية، وحتى يكسب رزقه من عمل يده من جهة أخرى. إن اختيار داود عليه السلام ليتكسب من عمل يده - على الرغم من أنه كان صاحب السلطة السياسية وأنه نبي صاحب إمكانات مادية واسعة - هو أمر جدير بالنظر. لقد كان أسلوب إدارته مثالاً يُحتذى من قبل من تحته في الحكم وللأجيال التي ستأتي من بعده. لذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم:



"مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ" (انظر: البخاري، البيوع، ١٥؛ الأنبياء، ٧٣)

يقول الله تعالى:

﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (سبأ،١١)

﴿يَا داود إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (ص، ٢٦)

تحصن سيدنا داود بعون الله ﷻ له، فجعله قائدًا على جيوش عظيمة. وقد مُنح داود عليه السلام العلم إلى جانب النبوة والزبور. فكان صاحب العمل الصالح والرأي السديد.

وتتحدث الآية الكريمة عن أنه حاز نعم عالية أخرى مثل حديثه العذب الممتلىء بالحكم:

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (ص، ٢٠)

وكان داود النبي الحاكم يستغل وقته أفضل ما يكون، فكان يقسمه إلى أربعة أقسام:

في الجزء الاول من الوقت؛ كان ينشغل بالعبادة.

في الجزء الثاني من الوقت؛ كان يتخذ القرار في مسائل القانون والقضاء.

في الجزء الثالث من الوقت؛ كان يعظ الناس ويسدي إليهم النصيحة.

في الجزء الرابع من الوقت؛ كان يدبر أموره الشخصية.

اختبار داود عليه السلام:

تعرض يعقوب عليه السلام مثله في ذلك مثل باقي الأنبياء إلى بعض الاختبارات من الله تعالى. فتبين إليه ضعفه البشري وما يحتمل ارتكابه من أخطاء. فتاب إلى الله، فتاب الله عليه. وبذلك يكون الله ﷻ قد علمه ما يحف طريق الخلود من مهالك.

كان داود ﷺ يختلي بنفسه في الأوقات التي يذهب فيها إلى المعبد للذكر والعبادة، ولم يكن أحد ليدخل عليه. وفي إحدى المرات، وبينما هو منشغل بالعبادة، إذ به يجد رجلين إلى جواره. فتعجب داود ﷺ لذلك الموقف غير المتوقع. لأن باب المعبد كان موصدًا، ولأنه كان يعتقد أنه ليس بمقدور أحد أن يدلف إلى الداخل. فقال لهم إنه في الوقت المخصص للعبادة فردا عليه:

"ليس هناك يوم للعبادة!" ثم تحدثا إليه عن رغبتيهما قائلين:

- لا تخف! جئنا لحضرتكم كي تحاكمنا. فكل منا يدعي أنه تعدى على حق الآخر. احكم بيننا بالعدل! فقال داود عليه السلام:

- إذن تفضلا.

فقال أحد الرجلين:

- كان لأخي ٩٩ نعجة وكان لي نعجة واحدة. وعلى الرغم من هذا فقد أراد أن يأخذ نعجتي الوحيدة تلك، وغلب علي بحديثه.

اشتاط سيدنا داود غضبًا عندما رأى ما في الحكاية من ظلم، وقال للمدعى عليه دون أن يوجه إليه سؤالاً:

- إذا كنت تريد أن تأخذ نعجة أخيك الوحيدة، فقد ظلمت أخاك. فما يفعل مثل هذا إلا أولئك الذين لا يؤمنون بالله تعالى. والأصل أن أرباب الخير صاروا قليلين للغاية.

فضحك الاثنان وانصرفا.

لقد تسرع داود ﷺ في إصدار الحكم دون أن يستمع إلى الطرف الآخر. والحال أن الوضع قد يتغير كله أو جزء منه عند الإصغاء إلى الطرف الآخر أيضًا؛ فربما اتضح أن الذي كنا نظنه محقًا هو الظالم، وأن من كنا نعده ظالمًا هو المظلوم. لهذا السبب أدرك داود ﷺ على الفور أنه ارتكب خطأً وأدرك أن ذلك كان اختباراً له من الله تعالى، فخر لله ساجداً على الفور. وطلب من الله العفو والمغفرة .

تأتي هذه الأنواع من الحوادث لإختبار الأنبياء، وجعلهم يدركون عجزهم تجاهها. وأن كونهم أنبياء ومعصومين لا يشفع لهم في مقابل موقف كهذا. وقد وقعت هذه الحوادث، والتي بدت أنها خطأ ارتكبه الأنبياء، كي تبين لنا كيف يمكننا أن نتصرف إذا وقعنا نحن أيضًا في الخطأ نفسه.

وهنا دروس مهمة يمكننا الإستفادة منها من خلال هذه الحادثة التي مر بها سيدنا داود عليه السلام؛فبالنظر إلى تلك الحادثة يمكن القول إنه يجب على الأشخاص الذين هم في موقع من يصدر الحكم، أو أولئك الذين يتولون تلك المسئولية، أن يكونوا على أعلى درجة من الحساسية وأن يأتي حكمهم بين الناس حكمًا عادلاً.

وقد جاء في الحديث الشريف تصديقًا لفضيلة الحكم بالعدل:

"المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا... "(انظر: أحمد بن حنبل، المسند، ٢، ١٦٠).

وجاء في الحديث الشريف أيضًا قول النبي ﷺ:

"إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر". (انظر: الترمذي، الأحكام، ٤؛ النسائي، الزكاة، ٧٧).

حادثة أصحاب السبت:

كان هناك قوم يعيشون في مدينة أيلة على ساحل البحر الأحمر بين مصر والمدينة المنورة. وكان يُطلق على هؤلاء القوم اسم أصحاب السبت. وكان عددهم يقدر بسبعين ألفًا. وكان هؤلاء القوم لا ينشغلون في يوم السبت بشيء آخر غير العبادة. لأنه قد حُرِّم عليهم مزاولة أي عمل سوى العبادة. وكانوا - إضافة إلى هذا - قد وعدوا داود عليه السلام بعدم ممارسة الصيد. إلا أن الشيطان وسوس إليهم وجعلهم ينقضون عهدهم مع سيدنا داود وخدعهم بقوله:

"لم يُحرَّم عليكم الصيد، ولكن حُرّم عليكم أكل ما اصطدتم.!"

ولحكمة إلهية كان السمك يتزايد يوم السبت وتقل أعدادة باقي أيام الإسبوع؛ لهذا السبب انجذب بعضهم إلى وسوسة الشيطان. لأجل هذا انقسم قوم مدين في ذلك إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: لم يطيعوا أمر الله واستمروا في صيد السمك. ثم أكلوا منه وباعوا أيضًا. فكانوا ينصبون شباكهم يوم السبت ويسحبونها يوم الأحد.

القسم الثاني: على الرغم من أنهم لم يقعوا في إثم صيد السمك يوم السبت، فإنهم لم يتصدوا للذين لم يلتزموا أمر الله تعالى، وآثروا الصمت.

القسم الثالث: التزموا أمر الله ﷻ، وأسدوا النصيحة إلى الذين لم يلتزموا الأمر. وكانوا يقولون لأولئك الذين آثروا الصمت إنهم لم يفعلوا الصواب بصمتهم هذا، وكانوا يأمرون بالمعروف؛ فقال الذين آثروا الصمت لهم:

"أنتم ترهقون أنفسكم تعظون قومًا سيهلكون؟ واأسفاه على جهدكم الذي تبذلون!..".

أما الذين يأمرون بالمعروف:

"نحن نفعل هذا قدر طاقتنا وانطلاقًا من مسئوليتنا حتى لا نُسأل عن ذلك أمام الله"

بعد ذلك قام الذين سكتوا على إثم الآخرين - على الرغم من أنهم التزموا أمر الله تعالى - ببناء سور بينهم وبين العصاة حتى لا تصل اليهم المصيبة التي ستحل بالعصاة. وفي يوم من الأيام انقطعت الأصوات من خلف السور، فنظر القوم فإذا بالعصاة كلهم قد تحولوا إلى قِردة!

فكانوا يسيرون ويتوقفون إلى جوار أقاربهم وهم في هيئة القرود. وبعد ثلاثة أيام مات الجميع.

جاء في تفسير معالم التنزيل للبغوي:

جاء أن الذين لم يصطادوا، ولكنهم مع ذلك آثروا الصمت ولم يحذروا أو ينصحوا الذين أقدموا على صيد الأسماك يوم السبت، جاء أنهم تحولوا إلى قِردة أيضًا.

يقول الله تعالى:

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف،١٦٣)

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الأعراف،١٦٤)

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف،١٦٥)

﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ (الأعراف،١٦٦)

ويخبر الله ﷻ الناس أن هذه النصيحة كانت عبرة وعظة للناس على النحو الآتي:

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة، ٦٦)

يخبرنا الله ﷻ في الآية الكريمة كيف تحول التعساء العصاة من بني إسرائيل إلى هيئة القرود جزاءً لإصرارهم على السوء، ثم هلكوا بعد ذلك.

ولا يوجد ثمة علاقة بين هذه الحادثة والادعاء بأن "أصل الإنسان قرد" كما لا يمكن اعتبار هذه الحادثة دليلاً على هذا الهذيان.

ذكرى باقية من سيدنا داود: صوم داود:

"صوم داود" أي الصوم يوماً والإفطار يوماً هي ذكرى لعبادة نقلت إلى أمة محمد من داود عليه السلام. وأُطلق على هذا الصوم "صوم داود "لأنه تطبيق خاص كان يقوم به داود عليه السلام.

روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أنه قال:

أُخبر رسول الله ﷺ أني أقول: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت.

فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي،

قال: (فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر ثلاثة أيام، فإن الحسنة بعشرة أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر).

قلت: إني أطيق أفضل من ذلك،

قال: (فصم يوما وأفطر يومين).

قلت إني أطيق أفضل من ذلك،

قال: (فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود عليه السلام، وهو أفضل الصيام).

فقلت: إني أطيق أفضل من ذلك،

فقال النبي ﷺ: (لا أفضل من ذلك). (البخاري، الصوم، ٥٦،٥٥، ٦٦؛ التهجد، ٧، مسلم، الصيام، ١٨١ – ١٩٣)

وفاة داود عليه السلام:

قال رسول الله ﷺ:

«كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع» ، قال: " فخرج ذات يوم، وأغلقت الدار، فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار، والدار مغلقة، والله لتفتضحن بداود، فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار، فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني الحجاب، فقال داود: أنت والله إذن ملك الموت، مرحبا بأمر الله، فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه...

» (أحمد بن حنبل، المسند، ٢، ٤١٩).

استمر حكم داود عليه السلام أربعين سنة، كانت أكثر فترات بني إسرائيل رونقًا. وقد أنعم الله عليه بأن أعطاه النبوة والحكم معًا. وجاء من بعده ابنه سليمان عليه السلام وأُعطي النبوة كذلك.

فضائل داود عليه السلام:

توجه داود في كل أموره إلى الله تعالى.

نُزِّل عليه الزبور وهو أحد أعظم أربعة كتب.

كانت الجبال والطير تذكر الله وتسبحه مع داود عليه السلام.

علمه الله ﷻ منطق الطير.

وهبه الله ﷻ صوتًا شديد العذوبة. فكان إذا قرأ الزبور أمعنت الجبال والحجارة والطير السمع إليه.

على الرغم من أنه كان حاكمًا شديد الثراء، فإنه كان يأكل من عمل يده. وقد ألان الله له الحديد، فكان يصنع منه الدروع.

امتلك القدرة على الفصل بين الحق والباطل، وقد آتاه الله الفراسة والحكمة كذلك.

كانت دولته على عهده أقوى الدول وأكثرها هيبةً. وقد فتح في عهده القُدْسُ، واتخذه عاصمة له.

كان داود عليه السلام عبدًا شكورًا.

كان داود عليه السلام نبيًّا عظيمًا فاستحق قول الله ﷻ:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا داود مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ (سبأ،١٠)

الزبور وما احتوى عليه:

مر ذكر كلمة "الزبور" أو "الزُبُر" في أماكن متفرقة من القرآن الكريم. وكلمة الزبور تعنى الكتاب وجمعها الزُبُر بمعنى الكتب.

و قد مرت كلمة الزبور ذات العلاقة بسيدنا داود ثلاث مرات. أما ذكر كلمة الزُبُر في القرآن الكريم، فلم يكن له علاقة بداود عليه السلام، بل جاء في سياق الحديث عن الكتب التي نزلت من عند الله إلى الأنبياء بصفة عامة. كما في الآية الكريمة:

﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ (الشعراء، ١٩٦)

وتَذكر الآية الكريمة -كذلك - أنه قد مر اسم الرسول ﷺ في الكتب المقدسة التي نزلت على الأنبياء قبله، وتسوق بشرى مجيئه إلى الكون كله وإلى الأنبياء.

يقول الله ﷻ متحدثًا عن الزبور في القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (الأنبياء، ١٠٥)

والحقيقة هي أن القرآن الكريم لم يعط معلومات أكثر عن الزبور. وتتحدث المصادر الإسلامية عن الزبور في معرض حديثها عن سيدنا داود باعتباره من أكثر الخصوصيات التي تميز بها داود عليه السلام.

ويذكر علماء الإسلام أن الله ﷻ لم يضع في الزبور الأحكام التي يريد من العباد تأديتها وتلك التي ينهاهم عنها في الزبور، وأن الزبور كان عبارة عن ابتهالات ودعاء إلتجاء إلى رحمته تعالى).

لهذا السبب ظل سيدنا داود عليه السلام مثله في ذلك مثل باقي الأنبياء الذين جاؤا بعد موسى عليه السلام، ظلوا جميعًا يعملون بما جاء في التوراة من أحكام. أما الزبور الذي نُزِّل على سيدنا داود، فهو كتاب احتوى على ابتهالات للتضرع واللجوء إلى الله ﷻ وُضعت في شكل الشعر، وهي تُظهر ما في قلوب الناس من حب وعشق لله تعالى.

ويوجد الزبور اليوم في جزء من الكتاب المقدس (التوراة) تحت عنوان "المزامير". وعدد هذه المزامير ١٥٠ مزمارًا. سبعون منها يمكن إسنادها إلى سيدنا داود أما الباقي فهو لآخرين.

لهذا السبب فالزبور الموجود بين يدي اليهود اليوم ليس هو الزبور الذي عُلّم لداود وأُعطي له كما ذكر القرآن الكريم. لأن جميع أجزاء الكتاب المقدس لم تُحفظ وتُدون بالشكل الذي نزلت عليه. فقد تعرض لتدخلات كثيرة من جانب البشر، ولم يعد هناك ثمة احتمال لوجود النسخة الأولى الأصلية.

ولم يبدأ أحد في كتابة الزبور الموجود الآن إلا بعد موت داود عليه السلام بنصف قرن. ويُرْوَى أنه قد اُضيف اليه إلى جانب حياته ورسالته أشعار مجهولة المصدر لمائة شاعر معروف.

وقد اعتمدت عقيدة الإله في الزبور مثلها في ذلك مثل الزبور على فكرة التشخيص أو التجسيم. أي أنه أضاف صفات بشرية لا تليق بالذات الإلهية إلى الله تعالى. ويُنسب - كما هو الحال في باقي أجزاء الكتاب المقدس - لله تعالى ابن مخالفًا بذلك المبدأ الأساسي في عقيدة التوحيد؛ فيقول داود عليه السلام في مناجاته وفقًا لما جاء في الزبور الموجود اليوم مزوراً:

"قال لي الرب أنت ابني. أنا اليوم ولدتك!" (المزامير، ٢/ ٧)

نتيجة لما سبق يمكن القول إن الزبور الموجود اليوم ما هو إلا كتاب للشعر. ولا يضم سوى مجموعة من الابتهالات نُسبت إلى سيدنا داود وآخرين. وليس في الإمكان تمييز أي من المعلومات الواردة فيه جاءت عن طريق الوحي الإلهي وأيها إلهامًا شخصيًّا وأيها إضافة أضافها البشر من عندهم.

سليمان عليه السلام:

ولد سليمان عليه السلام في منطقة غزة الواقعة ضمن أراضي فلسطين اليوم. توفي أبوه داود عليه السلام وهو مازال ١٢ - ١٣ عامًا.

عُرف عن سليمان عليه السلام ذكاؤه وتفهمه الواسع حتى وهو مازال طفلاً.

وقد روي أن النبي ﷺ نقل عنه واقعة:

"كانت امرأتان معهما ابناهما، جاء الذئب فذهب بابن إحداهما،

فقالت لصاحبتها: إنما ذهب بابنك،

وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك، فتحاكمتا إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السلام فأخبرتاه، فقال:

ائتوني بالسكين أشقه بينهما،

فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى" (انظر: البخاري، الأنبياء، ٤٠).

لأن شفقة الأمومة لن ترضى بأي حال من الأحوال بموت الولد، حتى إن كان ثمن ذلك هو فقدها إياه.

وهناك حادثة أخرى تُظهر فراسة سليمان عليه السلام:

ذات ليلة نزل قطيع من الأغنام إلى حقل فأتلف ما فيه من زروع. فجاء أصحاب الحقل واشتكوا إلى سيدنا سليمان. ورأى أصحاب الحقل الخرب أن قيمة ما تم تدميره يساوي نفس قيمة الأغنام. لأجل ذلك حكم داود عليه السلام أن تُعطى الأغنام لصاحب الحقل عوضًا عما لحق به. وفي تلك الأثناء قال له سيمان عليه السلام على الرغم من صغر سنه حينها:

- "أبي الحبيب، هناك طريق آخر. لنُقرض الأغنام لصاحب الحقل ليستفيد صاحب الحقل من لبن الأغنام وصوفها. وفي تلك الفترة يقوم صاحب الأغنام بإصلاح ما خربته الأغنام على سبيل التعويض. وستظل الأغنام بحوزة صاحب الحقل إلى أن يعود الحقل إلى ما كان عليه".

أُعجب داود عليه السلام كثيرًا بهذا الاقتراح وحكم به. وقد ذُكرت هذه الحادثة في الآية الكريمة على هذا النحو:

﴿وَداود وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ (الأنبياء، ٧٨)



﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاً آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ داود الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ (الأنبياء، ٧٩)

وقد اختار داود عليه السلام سيدنا سليمان من بين تسعة عشر ولدا له لما يتمتع به من فراسة وتعلق قلبي بالحق تعالى. بيد أن بني إسرائيل عارضوا هذه الخلافة، وقالوا:

- إن سليمان مازال طفلاً؛ ويوجد بيننا من هم أكبر وأعلى منه.

فأمر الله عز وجل داود عليه السلام أن يجري اختبارًا لسليمان في حضور العلماء. وبناءً على هذا توجه إلى سليمان سائلاً:

- ما هو الشيء الذي إذا فسد فسدت سائر الأعضاء وإذا صلح صلحت سائر الأعضاء؟

فقال سليمان عليه السلام:

- هو القلب.

فأُعجب بجوابه هذا من كان هناك.

قام داود عليه السلام بعد ذلك بكتابة أسماء الذين يرغبون في تولي الحكم كل على صولجانه وأودعها غرفة. ونظر إليها بعد مدة فوجد أن عصا سليمان عليه السلام وحدها هي التي اخضرَّت. فحمد داود عليه السلام الله عز وجل على لطفه. وبذلك سعد بنو إسرائيل وقبلوا بسليمان عليه السلام خليفة.

توجه داود عليه السلام الذي توصل بلطف من الله عز وجل إلى حل لمسألة الخلافة، توجه لسليمان عليه السلام بتلك النصائح:

ولدي! احذر المزاح، ففائدته قليلة ولاتجني منه سوى الندم.

احذر الغضب، فالغضب يقل من قدر صاحبه. فإذا غضبت فاترك المكان الذي أنت فيه.

لا تستأنس بكل دنيء حقير!

لا تنتظر شيئًا من الناس. فإمعان النظر فيما أنعم الله على الآخرين دونك، هو فقر بالنسبة إليك!

عَوِّد نفسك ولسانك الصدق!

اجتهد ليكون اليوم خير لك من الغد!

تحلى بالتقوى فهي تسمو بصاحبها!

لا تقنط من رحمة الله تعالى! لأن رحمته وسعت كل شيء.

صار سليمان عليه السلام بعد وفاة داود عليه السلام الحاكم:

﴿وَوَهَبْنَا لِداود سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص، ٣٠)

وهب الله عز وجل سليمان عليه السلام الكثير من النعم مع عدم التبذير:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا داود وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النمل، ١٥)

وكان سليمان عليه السلام يفقه لغة الطير وتسبيحهم.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ داود وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ (النمل، ١٦)

ووُضع الإنس والجن والرياح والعواصف تحت تصرفه. فكانوا لا يعصون لسليمان عليه السلام أمرًا.

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ (الانبياء، ٨١)

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ (سبأ، ١٢)

﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ داود شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ، ١٣)

المقصود بكلمة "التماثيل" الواردة في الآية الكريمة هو الصور أو الهياكل التي تشير إلى موجودات حية أو جامدة وتُصنع من النحاس والطين والزجاج وما شابهها من مواد أخرى. ويُفهم من ذلك أنه كان من الجائز، وفق شريعة سليمان عليه السلام، صنع أشكالٍ مثل التماثيل والصور والرسومات للموجودات الحية والجامدة. وسبب جواز ذلك أن الناس في ذلك العصر كانوا بعيدين عن خطر عبادة الأصنام.

اختبار سليمان عليه السلام:

اختبر الله ﷻ سليمان ﵇ يومًا. فسلبه في لحظة واحدة كل ما يملك من قوة مادية ومعنوية.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (ص، ٣٤)

وكما هو واضح من الآية فقد سُلب سليمان ﵇ كل شيء في لحظة واحدة، ولم يبق منها شيء.

وهناك عدد مختلف من الروايات في تفسير كلمة "فتنّا" وعبارة "وألقينا على كرسيه جسدًا" الواردتين في الآية الكريمة، نسوق هنا بعضها:

١ - فقد اُبتلي سليمان ﵇ بمرض شديد، وظل فوق العرش مع ما أصابه من مرض مثل جسد لا روح فيه.

٢ - أن الله ﷻ قذف خوفًا في قلب سليمان عليه السلام، فحوّله هذا الخوف، وما سببه من قلق خشية وقوع بلاء، إلى جسد كأنه بلا روح.

٣ - دبَّر بعض الأشخاص سيئي النية - الذين جاؤا مع الحرفيين الذين استقدمهم سليمان ﵇ أثناء بناء المسجد الأقصى - ثورة عليه، لهذا السبب فقد سليمان ﵇ نفوذه لفترة من الزمن أو قيل إنه نزل عن عرشه خلال تلك الفترة.

٤ - أراد سليمان ﵇ أن ينجب أطفالاً ذكوراً، وكان مراده أن يجاهدوا في سبيل الله أعداءهم في الدين. بيد أنه نسي أن يقول كلمة "إن شاء الله" ولم يذكر اسم الله. وما حدث أنه لم يولد له أطفال سوى طفل واحد مشلول من زوجة واحدة. (انظر: البخاري، الأنبياء، ٤٠).

يقول الله تعالى:

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا. إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (الكهف، ٢٣ - ٢٤)

إلا أن الله ﷻ منَّ على سليمان ﵇ فعاد إلى حالته القديمة. وكان سليمان ﵇ قد استغفر ربه قائلاً:

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص، ٣٥)

طلب سليمان ﵇ أن يهبه الله ﷻ قوى لا يقدر عليها أحد، ولكن هذا لا للتباهي والتفاخر. بل لإضعاف وإسقاط الحكام الظالمين الذين كانوا في عهده. لأن الحكام في عهده كانوا قد سقطوا في مستنقع الغرور والكبر والظلم.

يقول فخر الدين الرازي في هذا:

"أعطنى ملكًا بهيًّا، ليُقال بعد موتي: "لو كان هناك وفاء لملك الدنيا لكان لسليمان!، ولما وُجد من يرغب في سلطان الدنيا ويحرص عليه!"

يُفهم من هذا أن سليمان ﷺ كان يرغب في مُلك الآخرة، وليس في ملك الدنيا. يقول الله تعالى:

﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ (الشعراء، ٢٠)

فاستجاب الله ﷻ لدعاء سليمان عليه السلام:

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ (ص، ٣٦-٣٨) (أي أننا أخضعنا إليه الجن والقبائل العاصية عبيدًا وأسري!).

يُفهم من هذا الآيات، أن الله ﷻ قد أخضع لأمر سليمان ﷺ الشياطين (الجن) لتقوم بالبناء والغوص. وبعض من هؤلاء الجن كانوا يقومون بأمر من سليمان ﷺ بأشياء لا تقدر عليها قدرة البشر مثل المباني الضخمة والمساجد والقصور وأوانٍ مثل الأحواض وقدور ضخمة ثابتةٍ. أما البعض الآخر فكان يستخرج نعمًا متعددة ومجوهرات من البحار، وأشياء جميلة لا توجد إلا في البحر.

وكان سليمان ﷺ الذي أعطاه الله ﷻ قدرة وعظمة كهذه، على درجة عظيمة من الإقتصاد وعدم التبذير:

﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (ص، ٣٩-٤٠)

بناء المسجد الأقصى:

بدأ داود ﷺ تنفيذًا لأمر الله ﷻ بناء بيت المقدس (البناء المقدس)، ولكنه توفي قبل الانتهاء من البناء. وبناءً على هذا قام سليمان ﷺ بجمع الجان، وأتم معهم بناء بيت المقدس. وقاموا ببناء مدينة حوله تتكون من اثني عشر حيًّا.

في البداية كان اسم هذا المعبد المعروف باسم بيت المقدس، ثم صار بعد ذلك المسجد الأقصى. والمسجد الأقصى هو أحد أكبر وأكثر ثلاثة مساجد ذات فضيلة في التاريخ والثقافة الإسلامية. وأول هذه المساجد هو المسجد الحرام (الكعبة)، والثاني هو المسجد النبوي والثالث هو المسجد الأقصى.

وكان المسجد الأقصى هو المكان الذي وُضع فيه التابوت وهو صندوق قيم كانت تُحفظ فيه الأمانات المقدسة وألواح التوراة منذ عهد موسى عليه السلام. غير أن حاكم بابل بُخْتَ نَصَّرَ دخل القدس وأحرقها وهدَّم مبانيها. فتحولت القدس على إثر ذلك إلى مكان خرب، واستمر الوضع على هذه الحالِ مدة طويلة. وفي عام ١٢٣ قبل الميلاد قام البيزنطيون ومن بعدهم بترميم المسجد الأقصى. أما الوليد، وهو سادس



الخلفاء الأمويين، فقام بإعادة بناء المعبد في شكله الحالي.

وبسبب فضل المسجد الأقصى ظل المسلمون حتى الشهر السادس عشر من الهجرة يتجهون في صلاتهم ناحيته. كما كان المسجد الأقصى نقطة النهاية في "رحلة الإسراء" ونقطة الإنطلاق أو البداية في رحلة المعراج.

روي عن أبو سعيد الخُدري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال:

"لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى". (البخاري، فضائل الصلاة، ٦؛ مسلم، الحج، ٢٨٨/ ٨٢٧).

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ:

" لَمَّا فَرَغَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ مِنْ بِنَاءِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، سَأَلَ اللَّهَ ثَلَاثًا:

(حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ، وَمُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَلَّا يَأْتِيَ هَذَا الْمَسْجِدَ أَحَدٌ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ، إِلَّا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه) فقال النبي ﷺ:

"أَمَّا اثْنَتَانِ فَقَدْ أُعْطِيَهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ قَدْ أُعْطِيَ الثَّالِثَةَ". (البخاري، المساجد، ٦؛ ابن ماجة، إقامة الصلاة، ١٩٦/١٤٠٨)

سليمان ﵇ والنمل:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (النمل، ١٧ – ١٨)

قالت النملة: "إن سلطنة سليمان ﵇ كبيرة للغاية؛ سيحطمونكم! ادخلوا مساكنكم"

سمع سليمان ﵇ حديث النملة، فتوجه إليها قائلاً: "كلا، إن سلطنتي وملكي زائلين! وكذلك حياتي الدنيا محدودة. أما السعادة الإلهية تُكسبها كلمة التوحيد للفرد فهي خالدة"

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ على وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ (النمل، ١٩)

سليمان عليه السلام والهدهد وبلقيس:

خرج سليمان عليه السلام بعد أن أتم بناء المسجد الأقصى إلى مكة بصحبة جيش يتكون من الرياح والجن والطير وسائر الحيوانات المتوحشة الأخرى. وأخبر سيدنا سليمان من معه أن سيدنا محمداً ﷺ سيشرف مكة. ومن هناك مر بمدينة صان. وأراد أن يصلي في واد جميل رآه.

في تلك الأثناء انفصل الهدهد عن الجيش وأراد أن يتجول في المكان لحين انتهاء الصلاة. وهناك اختلط مع عدد آخر من نفس جنسه. ودُهش الهدد مما رأى من مناظر في الأماكن التي ذهب إليها. وقام باقي الطيور من جنس الهدد باصطحابه للتنزه في حدائق قصر بلقيس ملكة سبأ.

في تلك الأثناء كان سليمان عليه السلام يبحث عن الهدهد حتى يجد ماء كي يتوضأ. فقد كانت وظيفة الهدهد هي البحث عن الأماكن التي يوجد بها ماء وإرشاد سيدنا سليمان إليها.

وعندما لم ير الهدهدَ في محيط المكان، قال:

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (النمل، ٢٠)

في البداية بحث سليمان عليه السلام عن الهدهد بشفقة قائلاً :

"ما لي لا أرى الهدهد؟"،

ولكنه عندما علم أنه غادر المكان دون أن يستأذن منه، تحدث بدافع من تأديب الجيش وانضباطه، وقال:

﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ﴾ (النمل، ٢١)

﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ (النمل، ٢٢)

سبأ هي اسم لقبيلة في اليمن. ومدينة سبأ هي عاصمة الدولة التي حكمتها بلقيس.

يقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ (سبأ، ١٥)

بدأ الهدهد يحكي لسيدنا سليمان ما رأى:

﴿إِنِّي وَجدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (النمل، ٢٣)

﴿وَجدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل، ٢٤)

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (النمل، ٢٥ – ٢٦)

﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ (النمل، ٢٧)

كتب سليمان عليه السلام رسالة ابتدأها باسم الله وختم عليها بختمه المشهور ثم أعطاها للهدهد:

﴿اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ (النمل، ٢٨)

أخذ الهدهد الرسالة وتركها فوق عرش بلقيس وبدأ يشاهد ما يجري. رأت بلقيس التي قامت من نومها في الصباح الرسالة فوق العرش وأخذها الفضول لتعرف من أتى بها؛ لأن الأبواب كانت موصدة، فقالت للحراس:

"من أتى بهذه الرسالة إلى هنا؟"

فقالوا لها: "كنا نتناوب الحراسة أمام الباب، ولم يدخل أحد إلى الداخل"

بعد ذلك فتحت بلقيس الرسالة وقد تملكتها الدهشة. وقرأت محتواها ومازالت الحيرة تتملكها. قامت بعد ذلك بجمع وجهاء قومها وقالت لهم :

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ (النمل، ٢٩ – ٣٠)

أشار بعض المفسرين، إزاء ما أبدته بلقيس من إجلال واحترام شفهي لهذه الرسالة، إلى أنها ستُحظى بالهداية.

الشيء نفسه فعله السحرة عندما أظهروا احترامهم وتبجيلهم إزاء موسى عليه السلام قائلين "يا موسى! أتلقي أنت أولاً أم نكون نحن أول من يلقي؟" وكانت النتيجة أنهم تَشرفوا بالإيمان.

وعلى العكس من ذلك لما تلقى كسرى فارس (إيران) رسالة سيدنا رسول الله ﷺ التي دعاه فيها للإيمان، قام بتمزيقها وألقى بها على الأرض محتقرًا إياها، فكانت النتيجة أن مزق الله عز وجل ملكه وسلطنته، وانتهت حياته محرومًا من الإيمان.

كذلك الوضع مع بشر الحافي، وهو من أولياء الله، فقد أخذ ورقة من على الأرض كُتب عليها اسم الله، فقام بتنظيفها وعطرها بعطر جميل ثم علقها في أفضل مكان بالبيت. فكافأه الله ﷻ لإجلاله وتبجيله وألحقه بزمرة الصالحين.

أخذت بلقيس تقرأ الرسالة:

﴿أَلَّا تَعْلُوا علي وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (النمل، ٣١)

قال سليمان عليه السلام في خطابه الذي بدأ باسم الله، أن العبودية لا تكون إلا لله وحده. ووضح لها "عقيدة الحق" بهذا الشكل، قال "لا تتصرفي بتكبر إزائي وأسلمي!" داعيًا إياهم إلى محاسبة النفس. وقوله لهم "ائتوني مسلمين" جاء للتعبير عن أن السعادة الحقيقية في الإسلام.

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ (النمل، ٣٢ - ٣٣)

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل، ٣٤ - ٣٥)

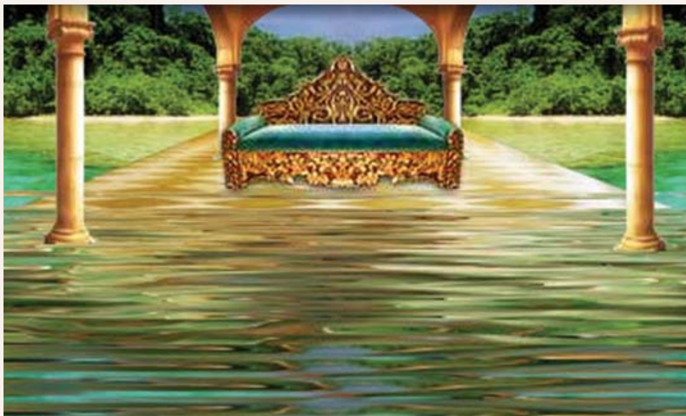
اجتمعت بلقيس - التي استلمت رسالة سيدنا سليمان "أَلَّا تَعْلُوا علي وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ" التي نقلها الهدهد - مع وجهاء القوم؛ أي مع المجلس الاستشاري، وكانت النتيجة أنهم اتخذوا القرار بإرسال رسل إلى سليمان عليه السلام وأن يقدموا هدايا قيمة إليه حتى يكونوا في مأمن من وطأته.

فهم سليمان عليه السلام أن ما أرسلوه من هدايا كان بمثابة الرشوة له، فردها عليهم وأخبرهم أنه عازم على دعواه:

﴿فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (النمل، ٣٦)

﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (النمل، ٣٧)

عاد الرسل إلى الملكة وقصوا عليها ما قاله سليمان عليه السلام. أما هي فقالت:



"لا بد أنك قد فهمت نيتنا ! والله إن هذا ليس مجرد ملك؛ ويجب علينا ألا نقف في وجهه".

ثم قامت بإرسال أحد رسلها مرةً أخرى برسالة قالت فيها: إني قادمة إليك لأنظر إلامَ تدعو.

قامت بلقيس بوضع عرشها أقصى يمين قصرها ووضعت عليه حارسًا ومن وراء ذلك قامت بغلق الأبواب. ثم تحركت بعد ذلك إلى سليمان عليه السلام في موكب عظيم.

في تلك الأثناء كان سليمان عليه السلام قد طلب ممن جاوره أن يأتوه بعرش بلقيس من سبأ إلى القدس. يقول المفسرون إن الهدف من إحضار عرش بلقيس كان للأسباب الآتية:

١ - أراد سليمان عليه السلام أن يصنع بقدرة الله عز وجل معجزة يثبت نبوته، وأن يسوق دليلاً آخر إلى الدلائل الأخرى التي أدركتها بلقيس من قبل.

٢ - أراد أن يرى مدى ذكاء بلقيس في التعرف على عرشها بعد أن قام بعمل بعض التغييرات فيه.

٣ - أراد أن يعلم إلى أي درجة بلغت قوة مملكة بلقيس قبل أن تأتي هي؛ لأن العرش مؤشر عظيم للمملكة.

﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ قَالَ عِفْرِيتٌ[1] مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ (النمل، ٣٨ - ٣٩)

مر سليمان عليه السلام بعد استيقاظه على عرشه، وانشغل بعد ذلك ببعض الأمور الدنيوية بإدارة الدولة. ولما حل وقت الظهيرة نهض عن عرشه. بالنظر إلى هذا يمكن القول إن العفريت سيحضر عرش بلقيس في الفترة بين الصباح والظهر.

﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ (النمل، ٤٠)

وكان آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام هو صاحب العلم الذي أظهر المعجزة؛ أي جاء كما مر في الآية الكريمة بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان عليه السلام.

الكرامة:

١ **العفريت**: كائن غير ملموس، قوي، بارع، يستطيع فعل أشياء لا يتصورها عقل. كما أنه يقوم بأعمال سيئة شريرة. والعفريت كما ورد في الآية الكريمة من جنس الجن العصاة الأكثر ضررًا وشرًّا ورعبًا وقوةً. وقد وردت هذه الكلمة في الآية الكريمة على شكل "عفريت من الجن"، لأنها استخدمت من أجل البشر.

تنقسم الكرامات التي تظهر من أولياء الله ﷻ - أي ما يقع منهم من حوادث ما وراء الطبيعة - إلى قسمين:

الأول: هي المعلومات المرتبطة بذات الله تعالى وصفاته وأفعاله. ويطلق عليها مسمى الكشف. ولا يمكن أن ينال الإنسان هذه المعلومات بالتفكير الذي هو عملية عقلية خالصة. فالله يحسن إلى عباده الصالحين الذين يصطفيهم بهذا العلم.

الثاني: هي الحوادث الخارقة للعادة التي يُحدثها أولياء الله -تعالى - في العالم المادي. ويعطيها الله ﷻ لعباده الذين يصطفيهم.

ويلفت النوع الثاني من الكرامات اهتمام الناس؛ لأن الحوادث الظاهرية تقع أمام أعينهم. والناس يعتبرون بما يرون. بيد أن المقبول هو النوع الأول من الكرامات. لأنه يوجد في هذا العلم معان عميقة ومعلومات قيمة تخاطب عالم الفكر والإحساس لدى الناس.

وقد ظهرت الكرامة أحيانًا بين الصحابة الكرام أيضًا. فعلى سبيل المثال، وقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب على المنبر في المدينة المنورة أثناء الحرب الدائرة بين المسلمين والفرس في السنه الثالثة والعشرين للهجرة، و على الرغم من أن الجيش يحارب على مسافة كيلو مترات من المدينة المنورة؛ فإنه ساعد جيش المسلمين وأرشدهم إلى الاتجاه بقوله: "يا سارية! الجبل، الجبل!"[1] . (انظر: ابن هاجر، الإصابة، ٢، ٣).

مثال آخر تلك الحادثة التي رواها أنس رضي الله عنه:

خرج أُسيد بن خضير وعباد بن بشير، وكانا من صحابة النبي ﷺ، من عند النبي عليه السلام ليلاً وتوجها لبيتيهما، وكانت ليلة مظلمة، وأثناء ذلك رأى كل منهما ضوءين مثل المشعل. أضاءا لهما حتى تفرقا وذهب كل منهما إلى بيته. (انظر: البخاري، الصلاة ٧٩؛ مناقب الأنصار ١٣).

وقد حدثت كثير من الكرامات في حياة أولياء الله الذين اقتدوا بالنبي ﷺ وبصحابته الكرام.

ويمكن أن نسوق هذه الحادثة مثالاً على ذلك: كان الإمام علي رضي الله عنه - يجلس إلى جوار جدار. فجاء إلى جواره طائر وأخذ يغرد. فقال الإمام علي رضي الله عنه إلى من يجلسون إلى جواره:

"هذا الطائر، يقول إن ثعبانًا يقترب من عشه، ويستغيث قائلاً "أنقذوا صغاري!"

فلما ذهبوا إلى المكان الذي يوجد به الطائر، رأوا أن هناك بالفعل ثعبان قد قصد المكان وهو ينتظر هناك. فلما رأوا هذا المنظر، قاموا بقتل الثعبان على الفور حتى يخلصوا صغار الطائر.

---

١ أي: يا سارية الزم الجبل؛ تحمي به ظهرك من الأعداء، وبالفعل حمل الله -تعالى - صوت عمر إلى سارية؛ ونفذه فكان ذلك سببا في نُصرة المؤمنين.

أما اللطف في نقل العرش بكرامة آصف بن برخيا، وليس بمعجزة لسليمان عليه السلام، فإنَّه يُفهم مدى عظمة وقوة سليمان عليه السلام المعنوية. لأن إظهار وزير له يأتمر بأمر من الكرامة بهذا الشكل لهو مؤشر على عظمة سليمان عليه السلام نفسه.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (النمل، ٤١)

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ. وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (النمل، ٤٢-٤٣)

﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (النمل، ٤٤)

يُرْوَى أن سليمان عليه السلام قام قبل مجيء بلقيس ملكة سبأ ببناء قصر. وقد صُنعت باحة القصر من البلور، وكان الماء يجري من تحتها ووُضع في الماء أسماكٌ. فلم تستطع بلقيس أن تميز أن الأرض صُنعت من مادة شفافة، وظنت انها ستعبر من وسط المياه فرفعت ذيل ثوبها.

وكان لكل هذه التدابير والترتيبات الأثر في أن هزت ثقتها بعلمها وعقلها وأعدت قلبها للقبول والتسليم بالأحكام الإلهية. وبذلك أدركت بلقيس أن ماحدث لم يكن من صنع البشر، فقد شاهدت القدرة والعظمة الإلهية وأسلمت لله رب العالمين.

وفاة سليمان عليه السلام:

توفي سليمان عليه السلام متكِئًا على عصاه. ولم يكن أي ممن حوله قد أدرك أنه فارق الحياة. ولم يدرك الجميع موت سليمان عليه السلام إلا بعد ذلك بفترة طويلة عندما أكلت يرقة من عصاه فخر سيدنا سليمان عليه السلام على الأرض. يقول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ[1] مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (سبأ، ١٤)

نفهم من الآية الكريمة أن سليمان عليه السلام لما فارق الحياة ظل واقفًا منتصبًا. أما القول

١ **الغيب**: هو الخفي، المغطى، غير الظاهر. ويطلق مسمى علامة الغيب على الموجودات التي يتعذر على أعضاء الحس والعقل إدراكها،

وعلى العلامة الموجودة في تلك الموجودات.

"ما لبثوا في العذاب المهين"

فهذا لأن الجن كانوا يُستخدمون للقيام بالأعمال الصعبة الشاقة. فقد استمروا في أداء الأعمال الشاقة الموكلة إليهم تمامًا كما لو كان سليمان ﷺ على قيد الحياة، لأنهم لم يكونوا قد أدركوا أن سليمان ﷺ قد مات. يُفهم من هذا أيضًا أن الجن لا يطلعون على الغيب.

إن موت سليمان ﷺ الذي حاز ملكًا وسلطانًا عظيمين، واقفًا على قدميه، هو حادثة تدعو إلى التفكير وأخذ العظة والعبرة. والأصل أن كلمات الأنبياء كلهم وأسلوب حياتهم وما مر بهم من حوادث، هي كلها وسائل تستطيع الأمم التي تأتى بعدهم أن تستقي منها العبرة.

ويعبر يونس آمره عن هذه الحقيقة برباعيته الجميلة تلك:

يا صاحب المال، يا صاحب المُلك،

أين الصاحب الأول لهذا الملك؟

المال كاذب، المُلك أيضًا كاذب،

أنت أيضًا تمتع قليلاً!...

السلطان والتواضع:

كان سليمان ﷺ متواضعًا للغاية. فكان أول شيء يفعله عندما يقوم من نومه، أنه يتوجه إلى الفقراء والغرباء، فيجلس معهم ويقول:

"يليق بالفقير أن يكون مع الفقراء!"

وقد صارت حكاية العصفور مع سليمان ﷺ حادثًا شهيرًا:

ذات يوم عنّف سليمان ﷺ العصفور؛ فهدد العصفور سليمان ﷺ قائلاً:

- "سأمحو سلطنتك وقصرك!"

فقال له سليمان عليه السلام:

- "وكيف ستمحو قصري بجسمك هذا!"

فرد عليه العصفور قائلاً: "سأبلل جناحي وألطخهما بتراب وقف. ثم أحمل التراب الذي تلطخت به أجنحتى إلى سقف قصرك. وبذلك يكفي حتى ذلك الغبار الذي حملته لهدم قصرك!"

نفهم من هذه القصة مدى أهمية أموال الأوقاف، وضرورة أن نراعي الحق والعدل عند التصرف فيها.

فترة ما بعد وفاة سليمان عليه السلام:

انقسم بنو إسرائيل، الذين تكونوا من اثنتي عشرة قبيلة، إلى قسمين. فقامت دولة إسرائيل من عشرة قبائل، ودولة يهوذا من قبيلتين. وقد انهارت دولة إسرائيل التي قامت من اتحاد عشرة قبائل، على يد الآشوريين في عام ٧٢١ قبل الميلاد.

أما دولة يهوذا، التي تأسست من اتحاد قبيلتين، فقد انهارت هي الأخرى على يد حاكم بابل بُخْتَ نَصَّرَ في ٥٨٦ قبل الميلاد. وقام بُخْتَ نَصَّرَ بإحراق القدس. وقتل معظم الشعب، وساق من تبقى منهم إلى بابل. وكان هذا الظالم ثاني ملك كافر يؤل إليه ملك الدنيا بعد نمرود.

عمل بُخْتَ نَصَّرَ على إعمار بابل واتخذ منها مركزًا له. ولم يترك لأحد ثمة فرصة ليقف ضده في الشرق والغرب. فأصابه الغرور والتكبر وأعلن ألوهيته.

وفي النهاية فقد عقله وبدأ يظن نفسه ثورًا. وجال في الغابات مدة سبع سنوات. وفي تلك الأثناء كانت زوجته تدير المملكة. ولكن يُقال إنه استرد عقله قبل وفاته بسنة واحدة ومات سليماً.

هاجم بُخْتَ نَصَّرَ القدس الشريف عدة مرات، وقام بحرق التوراة والزبور فأنهى بذلك أي وجود لهما. ونُسي الأمر بمرور الوقت. وعندما بدأت عملية تدوين ما تبقى في ذاكرة الناس من التوراة، كانت النسخة الأصلية منها قد فُقدت تمامًا، وظهرت بدلاً منها نسخ متعددة للتوارة. وقد قام عزير الذي عاش خلال ٥٠٠ قبل الميلاد، بجمع هذه النسخ المكتوبة.

وعندما هزم كورش ملك الفرس البابليين، أذن لبني إسرائيل بالعودة مرة أخرى إلى القدس. وقام بنو إسرائيل الذين استقروا في القدس مرة أخرى، بتعمير المسجد الأقصى. وعاش بنو إسرائيل تحت حكم الفرس ثم المقدونيين. وفي عام ٦٣ بعد الميلاد استولى الرومان على القدس، وهدِّم المسجد الأقصى مرة أخرى بعدما أُبعد اليهود من هناك.

تعرض بنو إسرائيل بسبب طغيانهم إلى بلاء وظلم كبيرين طوال فترات التاريخ. لأنهم غيروا بسبب طغيانهم الآيات الواردة في التوراة والزبور، والتي لا تتوافق مع أهوائهم أو تتعارض ومصالحهم، وبذلك أفسدوا دين الله تعالى. حتى إنهم قتلوا بلا رحمة الأنبياء أمثال زكريا ويحيى عليهما السلام ممن حاولوا منعهم من فعل هذه الأشياء.

قصة هاروت وماروت:

انتشر السحر بين بني إسرائيل. ولهذا السبب يقولون إن سيدنا سليمان كان ساحرًا عظيمًا وإنه حاز سلطنته بالسحر كما أنه حكم الحيوانات والجن بالسحر. فكان اعتقادهم كبيرًا بالسحر.

أعلن القرآن الكريم لما نزل على الرسول ﷺ أن سليمان عليه السلام كان نبيًّا. لأجل هذا قال اليهود "محمد يظن أن سليمان كان نبيًّا، والحقيقة أنه كان ساحرًا!" فنزلت هذه الآية ردًّا على ادعاءاتهم تلك:

﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَـكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾

(البقرة،١٠٢)

يوضح المفسر فخر الدين الرازي سبب نزول الملكين هاروت وماروت إلى الأرض كما يلي:

مما شك فيه أن عدد السحرة قد ازداد في ذلك العصر. وقد استحدثوا أشياء في موضوع السحر لم تكن موجودة من قبل. حتى إنهم تمادوا بعد ذلك وادعوا النبوة وتحدَّوا أي شخص.

لأجل هذا أرسل الله ﷻ الملكين هاروت وماروت الوارد اسمهما في الآية الكريمة إلى الناس كي يعلموهم السحر حتى يدركوا أن هؤلاء الأشخاص كاذبون وأنهم ليسوا أنبياء. فلا ريب أن الله يعلم ما تخفي الأنفس.

فضائل سيدنا سليمان:

١ - أُعطي سليمان عليه السلام أمر الرياح. فلو أن الملائكة كلها كانت مكلفة بخدمة رسول الله ﷺ، لأطاعت الرياح كذلك أوامره.

٢ - كما هو معروف أن رسول الله ﷺ صعد إلى السماوات العُلى في لحظة واحدة ليلة المعراج. أما سليمان عليه السلام فإذا أمر كان الطريق الذي يستغرق مسيرة شهرين يُطوى، بلطف من الله، لمسيرة يوم واحدة فقط.

٣ - كانت الطيور تظلل سليمان عليه السلام إذا مشى، كما كان الغمام يظلل رسول الله ﷺ.

٤ - كما كانت كل المخلوقات تجتمع تحت إمرة وتصرف سليمان ﷺ لخدمته، فإن الأنبياء كلهم وأولياء الله والشهداء والصالحون سيتجمعون تحت "لواء الحمد"[١] ، وهو خاص بالرسول ﷺ.

٥ - وكما كانت كل نعم الدنيا والآخرة رهن إشارة أو أمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد أُعطي لسليمان ﷺ مُلك وسلطان الدنيا كله.



١ - لواء الحمد : راية الحمد (الشكر). تُبعث المخلوقات يوم القيامة، وعندما يجتمعون في ساحة الحساب، فإن الله ﷻ ينعم على الرسول ﷺ وعلى كل المؤمنين الذين سيتجمعون تحت تلك الراية الشريفة.

أسئلة للتقييم

أ- أجب عن الأسئلة الآتية

١ - لماذا أُرسل عدد كبير من الأنبياء إلى بني إسرائيل؟ وضح ذلك في ضوء ارتباطهم بالدين وبأنبيائهم.

٢ - ما الأشياء الثلاثة التي دعا بها جنود طالوت مع بداية الحرب مع جالوت؟

٣ - نعلم أن داود عليه السلام قسم يومه إلى أربعة أجزاء مقسمة بين العبادة والعدالة والنصيحة وأموره الشخصية. تُرى لو قسمنا نحن أيضًا وقتنا إلى أربعة أقسام، كيف يمكننا وضع هذه الشرائح الزمنية؟

٤ - كيف اختبر الله عز وجل داود عليه السلام؟

٥ - كيف خدع الشيطان أصحاب السبت؟

٦ - تذكر إحدى الروايات أنه على الرغم من أن بعضاً من أصحاب السبت قد أطاعوا أمر الله، فإنهم هلكوا جنبًا إلى جنب مع الذين لم يطيعوا أوامر الله عز وجل جزاءً لهم على التزامهم الصمت أمام عصيان الآخرين. تُرى ما أسباب هلاكهم؟

٧ - كيف يتسنى لنا أن نعرف أن الزبور الموجود اليوم ليس هو الزبور الأصلي؟

٨ - في ضوء القرآن الكريم كيف كان اختبار سليمان عليه السلام؟

٩ - ما النتائج التي استنبطتها بلقيسُ عندما رد عليها سليمان عليه السلام رسولها ومعه الهدايا التي أرسلتها إليه؟

١٠ - لماذا جاء سليمان عليه السلام بعرش بلقيس؟

١١ - وضح الفرق بين المعجزة والكرامة؟

١٢ - تحدث عن أنواع الكرامات؟

١٣ - هل يمكن للجن الاطلاع على الغيب؟

ب- أكمل مكان النقاط فيما يلي

١ - أنزل الله ﷻ .... على داود ﷺ كتابًا مقدسًا؟

٢ - كان .... ﷺ هو أول شخص يحوز المُلك والنبوة في آن واحد.

٣ - على الرغم من أن داود ﷺ كان حاكمًا، فإنه كان يصنع .... ويأكل من عمل يده.

٤ - الصوم يوماً والإفطار يوماً هو .... ، وهي ذكرى لعبادة بقيت لأمة محمد من داود ﷺ.

٥ - بدأ داود ﷺ في بناء "بيت المقدس" الذي أطلق عليه الناس بعد ذلك اسم.........................

٦ - يوجد ثلاثة مساجد حازت أعلى فضيلة في التاريخ والثقافة الإسلامية. هذه المساجد هي .... و......................... و......................... .

٧ - يطلق على الحوادث الخارقة للعادة التي يقوم بها الأنبياء اسم ....

٨ - يُطلق اسم .... على الحوادث الخارقة للعادة التي ينعم بها الله ﷻ على بعض أوليائه.

ج- ضع إشارةً علي الإجابات الصحيحة للأسئلة الآتية

١ - أي مما يلي لا يجوز حتى يسبح الإنسان تسبيحًا يليق بالله ﷻ الذي يذكره ويسبحه كل شيء بين السماء والأرض؟

أ - الوصول إلى رقة القلب عن طريق تزكية النفس.

ب - قراءة كلام الله بصوت عال.

ج - أن يمتلئ القلب كل لحظة بذكر الله.

د - أن يمتلئ القلب بنور القرآن الكريم.

٢ - أي مما يلي ليس من الأشياء التي اعتاد داود ﷺ فعلها كل يوم؟

أ - الانشغال بالعبادة.

ب - التدريس بالمدارس الدينية.

ج - الفصل في مسائل الحقوق.

د - وعظ الناس وإسداء النصائح إليهم.

٣ - أي مما يأتي ليس من العبر التي يمكننا استخراجها من حادثة قتل داود ﷺ لجالوت؟

أ - أن الله ﷻ لا يعطي إذنًا قط كي يُهزم الذين يؤمنون به في أي معركة من المعارك..

ب - إذا شاء الله فستكون الغلبة لعبده مهما كان ضعيفًا أو كان خصمه قويًّا.

ج - مهما بلغت قوة الظالمين أعداء الله ﷻ، فسيظلون عاجزين امام إرادته تعالى.

د - يجب على المؤمن أن يلجا إلى الله وأن يطلب العون منه وحده، وأن يتوكل على الله ﷻ بعدما يفعل كل ما في وسعه.

٤ - أي مما يأتي ليس من النعم التي وهبها الله ﷻ لداود ﷺ؟

أ - أنه حول الحديد الذي أخذه في يده إلى ذهب.

ب - أن الجبال والطير كانت تذكر الله ﷻ معه.

ج - أنه عمل على تقوية سلطنته وعلمهم الحكمة وعذب الحديث.

د - كان يصنع الدروع كي يحتمي من العدو.

٥ - أي مما يأتي لا يُعد نتيجة يمكن استخراجها من حديث سيدنا النبي: "ما أكل أحدٌ طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده "(البخاري، البيوع، ١٥؛ الأنبياء ٧٣)**؟**

أ - أفضل الكسب الحلال، أن يأكل المرء من عمل يده.

ب - أن الإسلام لا يستحسن أن يعيش المرء على نفقة يقدمها له الآخرون.

ج - أن يصبح الإنسان صاحب مال دون بذل أي جهد، أفضل من أن يأكل من كسبه.

د - الكسب الذي يحصل عليه الإنسان من العمل بجسده، أكثر فضيلة من ذلك الذي يحصل عليه الإنسان من العمل خلف مكتب.

٦ - أي مما يأتي لا يُعد دليلا على فقدان الزبور الأصلي؟

أ - عقيدة تجسيد الإله؛ أي إضفاء صفات بشرية على الإله.

ب - لكونه لم يُدون في الأيام الأولى لنزوله.

ج - لأنه لا يحتوي إلا على حكم في شكل أشعار فقط.

د - لأنه لم يبدأ تدوين الزبور إلا بعد وفاة سيدنا داود بنصف قرن تقريبًا.

٧ - انقسم أصحاب السبت الذين خدعهم الشيطان إلى ثلاثة مجموعات مختلفة. أي مما يأتي ليس ضمن هذه المجموعات؟

أ - الذين استمروا في صيد السمك ولم يلتزموا بما أمرهم الله به.

ب - الذين لم يصطادوا السمك ولكنهم التزموا الصمت إزاء من صادوه.

ج - الذيم لم يصطادوا السمك وحذروا الذين صادوه.

د - الذين تركوا مدين لأنهم لم يلتزموا أمر الله.

٨ - أي معنى لا يمكننا استنباطه من التعبير "وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا" الوارد في الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ (ص، ٣٤)؟

أ - أن سليمان عليه السلام فقد قوته السياسية فترة من الزمن بسبب تعرض مملكته للاحتلال .

ب - أن سليمان عليه السلام ترك - في الفترة التي ترك فيها عرشه - جسدًا فوق العرش حتى لا يعرف الجن بأمره، وبذلك حث الجن على العمل.

ج - أصيب سليمان عليه السلام فترة من الزمن بمرض شديد، ولهذا السبب جلس عاجزًا على عرشه.

د - قذف الله عز وجل في قلب سليمان الخوف. فبدا بهذا الخوف والقلق من وقوع البلاء وكأنه جسد بلا روح.

٩ - قام سليمان عليه السلام قبل مجيء بلقيس ملكة سبأ ببناء قصر. وقد صُنعت باحة القصر من البلور، وكان الماء يجري من تحتها ووُضع في الماء أسماكٌ. فلما رأت بلقيس عرشها نفسه تأثرت للغاية. أي مما يأتي ليس واحدا من نتائج هذا التأثر ؟

أ - أن الأشياء التي رأتها هزت ثقتها بعقلها وعلمها وأدرت عجزها أمام سليمان عليه السلام.

ب - أدركت أن ما رأته لا يمكن أن يكون من صنع إنسان بقدرته البشريه.

ج - أنها شاهدت عظمة الله عز وجل وقدرته بما رأته وعايشته من أحداث ومن ثم أصبحت مسلمة.

د - أدركت بلقيس التي رأت أن العرش يشبه عرشها كثيرًا، أن ذلك من عمل الجن.

١٠ - بينما يمر سليمان ﷺ بجيشه من وادي النمل، دار حوار بين رئيسة النمل وباقي النمل. أي مما يأتي لا يمكن أن يكون أحد نتائج هذا الحوار؟

أ - أن عظمة وقيمة مال الدنيا وسلطانها يتغير وفق الشخص.

ب - الثراء الحقيقي ليس بالتباهي بالمال والمُلك، وإنما بثقة الشخص بصاحب المُلك الحقيقي.

ج - لا فائدة يمكن أن يجنيها الإنسان من وراء طلبه أن يكون ثريًّا في تلك الدنيا الفانية.

د - تتباين فائدة وضرر الثراء وفق الشخص الذي يستخدم المال. فالثراء الذي يسوق الإنسان إلى شكر الله والعمل الصالح هو ثراء مطلوب.

١١ - أي مما يأتي ليس من الأسباب التي من أجلها صار المسجد الأقصى مقدسًا؟

أ - عنده انتهت رحلة الإسراء، ومنه انطلقت رحلة المعراج.

ب - لوجود قبري سليمان وداود - عليهما السلام - هناك.

ج - لأن المسلمين ظلوا يتوجهون في صلواتهم إلى هناك حتى العام السادس للهجرة.

د - لأن الأمانات المقدسة وألواح التوراة محفوظة هناك منذ عهد موسى ﷺ.

١٢ - أي مما يأتي ليس سببًا من الأسباب التي جعلت سليمان ﷺ يُحضر عرش بلقيس ملكة سبأ؟

أ - حتى تقبل بلقيس بنبوة سليمان عليه السلام .

ب - حتى يعلم مَن مِن الجن والجنود الآخرين سيمتثل لأمره ومن سيخالفه.

ج - حتى يقيس مستوى ذكاء بلقيس ويرى هل ستدرك أم لا ما أحدثه من تغييرات على عرشها.

د - حتى يثبت بإحضاره عرشها أنه أقوى منها، نظرًا لأن العرش هو المؤشر على قوة المملكة.



حضرة عُزير

عليه السلام

و

حضرة أيوب

عليه السلام

الذي أحياه الله بعد مائة عام ليكون مثالاً لإحياء الموتى يوم القيامة

حضرة سيدنا عُزير

عليه السلام

و

الذي صبر على البلاء بِتَفكُّره العميق

حضرة سيدنا أيوب

عليه السلام

عُزير عليه السلام:

من نسل هارون عليه السلام. عُرف عند اليهود باسم "عِزرا". وكان أحد الذين يحفظون التوراة في العصر الذي عاش فيه.

لم يقدم القرآن الكريم معلومة قاطعة بخصوص كون عزير نبي أم لا، ورُوي عن رسول الله ﷺ أنه قال بخصوص عزير:

"**مَا أَدْرِي أَعُزَيْرٌ نَبِيٌّ أَمْ لَا!...**". (علي المتقي، ٨١/ ٣٤٠٨٧/ ١٥٥٢).

لم يُذكر عُزير عليه السلام سوى مرة واحدةً في القرآن الكريم. جاء فيها أن الله عز وجل أماته مائة عام لحكمة يعلمها - سبحانه وتعالى - ثم أحياه مرة أخرى.

عاش سيدنا عُزير في عصر ازداد فيه طغيان بني إسرائيل وكفرهم. فسلط الله عز وجل عليهم بلاءً ومصيبة تمثلت في بُخْتَ نَصَّرَ . فقد استولى بُخْتَ نَصَّرَ على مناطق الشام والأردن. ليس هذا فحسب، بل هدم المسجد الأقصى، ولم يترك حديقة أو بستانًا إلا وخرَّبه، وقتل الأبرياء بوحشية. ونقل إليه الشباب وكل من رآه يصلح للعمل. وكان سيدنا عُزير من بين هؤلاء الأسرى.

يُرْوَى أن عزيراً عليه السلام قد فر من الأسر وهو في الخمسينيات من عمره. وتوجه راكبًا حمارًا إلى القدس. حزن عزير عليه السلام كثيرًا وهو ينظر والحمار يقترب من القدس إلى مباني المدينة المهدمة والحدائق والبساتين الخربة. وعندما شعر بالجوع قام بربط حماره بشجرة وقطف بعض ثمرات التين وأكلها، وعصر عنبًا وشرب. ثم جلس تحت شجرة، ونظر بعظة إلى المدينة الخربة وإلى العظام المكدسة، وتفكّر في قدرة الله متسائلاً كيف سيحيي الله عز وجل كل شيء في هذه المدينة من جديد.

يقول الله تعالى:

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِـي هَـٰذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة، ٢٥٩)

وكان الوقت صباحًا عندما دخل عزير في نومه. وعندما استيقظ لم تكن الشمس قد غربت بعد. ولكن الحقيقة أنه ظل نائمًا مدة مائة عام. وكان بُخْتَ نَصَّرَ قد توفي، وتحرر كل الأسرى وعادوا إلى القدس. رأى عزير عليه السلام أن المسجد الأقصى قد رُمِّم وعُمِّرت المدينة كلها مرة أخرى.

دخل عزيرٌ بعد التجلي العظيم من الله عز وجل إلى مدينة القدس، ووجد كل شيء قد تغير؛ فلم يكن الناس هم الناس الذين يعرفهم، ولم تكن المباني هي تلك المباني التي يعرفها. وبدأ وسط كل هذه الأشياء التي تغيرت يبحث عن حيه الذي كان يسكن به. فوقف أمام بيت معتمدًا على التخمين. فتوجه إلى سيدة عمياء مُقْعدة رآها أمام باب البيت، وسألها:



- "أين بيت عزيرٍ هنا؟"

فقالت له:

- "بيت عزير ها هنا أما عزير نفسه فقد اختفى قبل مائة عام، أنا جاريته"

فعرَّف عزير بنفسه قائلاً:

- "أنا عزيرٌ!" وحكى لها ما كان من أمره. سعدت جاريته كثيرًا لما سمعته منه وطلبت منه أن يدعو الله لها ان تعود إلى حالتها القديمة. فشكر عزير عليه السلام الله عز وجل على ما أنعم عليه من نعم، ودعا للمرأة؛ فرُدت إليها عافيتها وعادت إلى ما كانت عليه قديمًا.

عندما دخل سيدنا عزير في نومه كان له ولد وكان عمره حينذاك ١٨ سنةً. أما الآن فهو شيخ كبير له لحية بيضاء يبلغ من العمر ١١٨ سنةً؛ أما أبوه فيبلغ من العمر ٥٠ عامًا. لم يستطع الابن أن يتعرف على أبيه بعد ما مر من زمن، وقال:

- "كان لدى أبي في ظهره شامة سوداء اللون لها شكل الهلال".

فكشف عزير عليه السلام عن ظهره، ورأوا تلك الشامة السوداء، وقد أخذت شكل الهلال. ولم يعد أحد يشك في كون هذا الرجل هو سيدنا عزير.

كان بُخْتَ نَصَّرَ لدى احتلاله القدس وسلب ونهب كل ما فيها، قد قام بحرق كل نسخ التوراة. لأجل هذا فإن عزير عليه السلام هو الذي أحيا الدين من جديد ونظم أحكامه الإلهية بما كان يعرفه من قبل.

روي عن ابن عباس أن الله عز وجل أخذ التوراة من بني إسرائيل لما تركوها واتبعوا أهواءهم، ليس هذا فحسب، بل أنساهم ما جاء بها. فحزن بنو إسرئيل كثيراُ لهذا وعلى الأخص عزيراً عليه السلام الذي كان يعبد الله عز وجل كثيرًا؛ وكان يتضرع إلى الله عز وجل ويدعوه. فأنزل الله عز وجل نورًا من عنده ودخل في قلبه. فتذكر على إثر ذلك ما نساه من التوراة. وبدأ يُعلم بني إسرائيل التوراة من جديد.

وعندما وُجد الصندوق الذي يُحتفظ فيه بالتوراة، رأى القوم أن التوراة التي كان عزير يعلمهم إياها متطابقة مع النسخة الأصلية للتوراة فأحبوا عزيرًا عليه السلام كثيرًا. إلا أنهم انزلقوا إلى عقيدة الباطل بعد ذلك وزعموا أن عُزيرا عليه السلام "ابن الله". (انظر: الطبري. جامع البيان، ٣، ١٤٣).

وتحكي الآية الكريمة عن هذا الموقف على النحو الآتي:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة، ٣٠)

﴿اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (التوبة، ٣١)

وإن لم يكن اليهود اليوم يقبلون بأن أحدًا منهم قال "إن عزيرا ابن الله"، فالحقيقة أن مجموعة من يهود ذلك الزمان قد أظهرت حياله تبجيلاً وحبًّا شديدًا وأسندت مجموعة أخرى منهم إليه الألوهية.

أيوب عليه السلام:

من نسل العيص أخي يعقوب عليه السلام. عاش في المنطقة المجاورة للشام ولم يؤمن به سوى عدد قليل من الناس.

وأعطى الله ﷻ سيدنا أيوب بدعاء جده إسحاق عليه السلام مالاً ومُلكًا وأولادًا كثيرين. فكان يملك مقدارًا كبيرًا من الأراضي والحيوانات، وكان له عدد كبير للغاية يخدمونه. دأب أيوب عليه السلام على مساعدة الفقراء والأرامل، وكان لا يأكل إذا لم يجد فقيرًا على مائدته، وكان يحب إكرام الضيف كثيرًا مما أنعم الله ﷻ عليه من نعم.

عاش أيوب عليه السلام غنيًّا في مطلع حياته، وتحول إلى الفقر وعاش وحيدًا في أواسط عمره. وعندما شارف عمره على الانتهاء نال إحسان الله ﷻ مرة أخرى جزاءً لشكره وصبره. وقد امتدَح القرآن الكريم تحمله وصبره على النحو الآتي:

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (ص، ٤٤)

أرسل الله ﷻ أيوب عليه السلام نبيًّا للقوم الذين عاشوا في منطقة الشام. يقول الله تعالى:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إبراهيم وإسماعيل وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا داود زَبُورًا﴾ (النساء، ١٦٣)

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاً هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ داود وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأنعام، ٨٤)

الاختبار والصبر والمكافأة:

ابتلى الله ﷻ أيوب عليه السلام فأخذ منه ثراءه الدنيوي وأولاده وكل النعم الأخرى واحدة تلو الأخرى، وأُصيب من بعد ذلك بمرض شديد. إلا أن أيوب عليه السلام قابل كل هذه المصائب التي حلت به في بدنه وماله وولده بصبر وتوكل وتسليم عظيم لأمر الله تعالى، ورضا بما قسم الله له. وقد تناقلت الألسنة صبر أيوب عليه السلام وخضوعه لأمر الله ﷻ وصار مثلاً وعبرة في تاريخ الإنسانية.

تعود اختبارات أيوب عليه السلام إلى عهد النبوة. وأي مصيبة أو اختبار يتعرض له الإنسان يكون بسبب إبليس الذي لم يستطع أن ينال الفضيلة؛ أي بسبب الشيطان الملعون. فقد تمثل الشيطان في سورة إنسان وسار بين الناس يحاول أن يحط من قدر أيوب عليه السلام قائلاً:

"من السهل على أي أحد حاز هذا القدر من النعمة ورغد العيش أن يخلص العبودية لله. انظروا إلى أيوب عليه السلام لو تعرض لضيق أو بلاء!..".

لأجل هذا ابتلى الله عز وجل أيوب عليه السلام بأشياء مختلفة حتى يُظهر للناس توكل سيدنا أيوب وايمانه.

وعندما أراد الحق -تعالى - أن يختبر أيوب عليه السلام أخذ منه أول ما أخذ ماله. وأتى بسيل فقضى على ماشيته، أما زرعه فدمرته الرياح، فانتهز الشيطان هذه الفرصة وأسرع إلى أيوب عليه السلام راكضًا، وأخبره بما حدث باكيًا:

- "يا أيوب! لقد وقعت كارثة عظيمة. لقد تلف كل مالك ومُلكك"

لم يتأثر سيدنا أيوب على الإطلاق لدى سماعه الخبر، بل حمد ربه وهو ساكن مطمئن وتوجه إلى الشيطان وهو في صورة البشر، وقال له:

- "الله هو من وهبني المال والمُلك. والآن هو أخذه مني. لا أحد يملك المال والمُلك إلا هو؛ إن شاء أعطى وإن شاء منع!" كانت هذه الكلمات وذلك التصرف من جانب أيوب عليه السلام كفيلين أن توقع الشيطان في حالة يُرثى لها.

عقب هذا حدثت زلزلة توفي على إثرها أطفال أيوب عليه السلام وهم يستذكرون دروسهم. فجاء الشيطان إلى أيوب عليه السلام من جديد وهو ينوح. وقال له محرضًا على العصيان وقد فاضت عيونه بسيل من الدموع:

- "يا أيوب! لقد هدم الله بيتك بالزلزلة. وأخذ أطفالك من بين يديك. لم تكن صرخاتهم التي تمزق القلوب، أمرًا يحتمله أحد".

قص الشيطان الحادثة بشكل مؤلم لدرجة جعلت مشاعر الرحمة - التي تفيض من قلبه المطمئن بالتوكل على الله والخضوع لقدرته - تُسيل الدمع من عيني أيوب عليه السلام المباركتين. إلا أنه مع ذلك أظهر رضاه بالقدر الإلهي وصبر صبرًا عظيماً على هذا الابتلاء.

اشتاط الشيطان الذي لم يستطع الوصول إلى مأربه غضبًا. وهمَّ أن يقول شيئًا آخر، إلا أن سيدنا أيوب قال له:

- "أيها الملعون! أنت إبليس وتريد أن تحرضني على عصيان ربي! اعلم أن أولادي أمانة عندي. وقد استرد صاحب الأمانة أمانته! هو من أعطى وهو من أخذ؛ فلماذا أحزن؟ أنا عبدٌ حامدٌ لربي على كل حال!"

ويتحدث سيدنا عزيز محمود هدائي خضوع عبد صالح لأمر الله في هذا البيت الجميل:

أنت من أخذ، أنت من أعطى، أنت من صيّر الأمور

مهما أعطيت فهو كما أعطيت؛ ليس لي دخل بهذا!..

روي عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال:

اشتكى[١] ابنٌ لأبي طلحة ، قال: فمات وأبو طلحة خارج، فلما رأت امرأته أنه قد مات، هيأت شيئا، ونحته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة

قال: كيف الغلام؟

قالت: قد هدأت نفسه، وأرجو أن يكون قد استراح. وظن أبو طلحة أنها صادقة.

قال: فبات، فلما أصبح اغتسل، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات، فصلى مع النبي ﷺ، ثم أخبر النبي ﷺ بما كان منها، فقال رسول الله ﷺ:

"لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما" (البخاري، الجنائز، ٤٢؛ الأدب، ١١٦).

تُبين هذه الحادثة، التي قصها سيدنا مالك، ما تتمتع به أم سُليم من فراسة وتقوى وتسليم وخضوع لأمر الله على وجه الخصوص. توضح هذه الحادثة كذلك أن كل موجود مثل الأبوين والأولاد والمال والمُلك هو أمانة وأن صاحب هذه الأمانات يسترد أمانته عندما يستدعي الأمر. وكأن أم سُليم تقول لأبي طلحة بلسان الحال:

لقد نودي ابننا من قبل القدرة التي كانت قد أرسلته إلينا من قبل. وسوف نلتقي به مرة أخرى يوم القيامة. لا تحزن لا تُنح! ارضَ بما قسمه الله!....

لقد أنعم الله ﷻ على أم سُليم بعد فترة قصيرة من تلك الحادثة بابن كالبدر. وسماه سيدنا الرسول ﷺ عبد الله.

واُبتلي أيوب ﵇ بالاختبار الأخير، وهو إصابته بمرض شديد.

واشتد به المرض ولم يبقَ إلى جواره أحد يخدمه سوى زوجته رحيمة، التي صارت مثالاً للشفقة ونموذجًا منقطع النظير للصدق والوفاء؛ فأخذت تعمل بيدها كي تؤمن العيش لهما. وكانت لا تتوانى عن خدمة سيدنا أيوب.

١ أي اشتكى المرض

لم يشتكِ أيوب عليه السلام وهو في مرضه. فقط لجأ إلى الله عز وجل وصبر، وداوم لسانه على الحمد والثناء؛ فأظهر بذلك أدبًا نبويًّا. أما مرضه وإجهاده فكان ينسبهما إلى الشيطان:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص، ٤١)

لأن الشيطان حسد أيوب عليه السلام على معيشته الكريمة، وأراد أن يُسلط عليه ما هو فيه. ولكن أيوب عليه السلام كان يدرك أن كل شيء يأتي من الله، وكان متوكلاً عليه خاضعًا لقدره.

بدأ الشيطان، الذي باءت كل جهوده للوسوسة لأيوب عليه السلام بالفشل، يوسوس للناس قائلاً:

- "انتبهوا! لا أحد منكم يلتقي برحيمة أو يقدم لها يد العون! وإلا انتقل لكم مرض أيوب! اطردوها على الفور من المدينة!"

مال القوم لوسوسة الشيطان، وتوجهوا إلى رحيمة وهددوها قائلين:

- "غادري أنتِ وأيوب هذا المكان! وإلا سنرجمك حتى الموت!"

لم تجد السيدة رحيمة أي حيلة تفعلها سوى أن حملت أيوب عليه السلام على ظهرها وغادرت المكان، واتخذت لهما مكانًا خارج المدينة، وصنعت لأيوب عليه السلام سريرًا من الرمل، ووضعت تحت رأسه وسادة من الحجر. وبعد ذلك قامت ببناء كوخ صغير، وعكفت على خدمة أيوب عليه السلام.

وكان نبي الله الصابر أيوب عليه السلام يؤدي رسالة النبوة حتى وهو في هذا الحال، فكان يتوجه إلى كل من يجيء أو يذهب و"يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر".

أما السيدة رحيمة فكانت تؤمن معيشتهما بغزل الخيط لنساء المدينة. وفي مرة من المرات توجهت إلى أيوب عليه السلام وقالت له:

- "أنت نبي! ليتك تطلب من الله عز وجل أن يرد إليك صحتك وعافيتك، وأن يرفع عنك هذا الحزن!"

فسألها أيوب عليه السلام قائلاً:

- "كم عاماً مر علينا ونحن في صحة وعافية؟"

فقالت له:

- "ثمانون عامًا"

فرد عليها قائلاً:

- "يا رحيمة! إني أستحيي أن أطلب من الله رفع بلائي وما قضيت فيه مدّة رخائي. لماذا لا نصبر على بلاء هو من عند الله وقد أنعم الله علينا بنعم لا تحصى؟!"

لقد مُدح سيدنا أيوب عليه السلام بصبره الذي فاق التحمل في الحديث أيضًا مثلما مُدح في القرآن الكريم:

"...**كَانَ أَيُّوبُ أَحْلَمَ النَّاسِ وَأَصْبَرَ النَّاسِ وَأَكْظَمَهُمْ لِلْغَيْظِ**". (انظر: ابن أبي شيبة، ٣، ٢٠١/ ٣٤٢٥٥).

فكان رضاه بقدر ربه كاملاً غير منقوص. ويعبر هذا الشعر بشكل جميل عن خضوع سيدنا يعقوب عليه السلام وصبره الذي لا يمكن إدراكه:

كم هو جميل ذلك الذي يأتيني منك،

سواء أكان حلة الشرف أم كان الكفن

سواء أكان برعم الورد أم كان الشوك

لطفك جميل، قهرك أيضًا جميل!

لم يستطع الشيطان أن ينال بوسوسته من أيوب عليه السلام فذهب هذه المرة إلى السيدة رحيمة؛ فكان يُظهر أمامها نصفه فقط ويحاول تشويش عقلها. ولما حكت السيدة رحيمة ذلك لأيوب عليه السلام حذرها قائلاً:

"أيتها السيدة! إن الذي ظهر في طريقك هو إبليس. انتبهي، إنه يريد بوسوسته أن يجعلك تنفصلين عني".

كانت رحيمة من نسل يوسف عليه السلام، وكانت قد أخذت نصيبًا من جمال سيدنا يوسف، ولم يكن هناك من هو أجمل منها من النساء في المناطق المجاورة. لهذا السبب ظهر لها الشيطان ذات يوم في صورة رجل مهندم الثياب، وقال لها:

"لم أرَ من هي أجمل منك. أنا من تلك القرية القريبة، ولا حدود لثروتي".

فلجأت رُحيمة إلى ربها وقالت له:

- "أنا زوجة النبي أيوب المريض، وأقوم على خدمته. ولن يميل قلبي إلى أحد قط سوى ذلك النبي الشريف..." ثم انصرفت.

حكت السيدة رحيمة ما جرى إلى سيدنا أيوب عندما رجعت إليه؛ فشعر سيدنا أيوب بالضيق من حديثها، وأقسم عليها محتدًا:

"يا رحيمه! ألم أُحذرك منه وأقل لك أن تبتعدي عنه؟!" وأقسم لإن شفاه الله ليضربنها مائة ضربة بالعصا!

كان مرض أيوب عليه السلام يزداد شدةً كلما مرت الأيام؛ ففتح كفيه إلى الله عز وجل طلبًا للشفاء، وقال:

﴿...... **أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ (الأنبياء، ٨٣)

وتوجه بقلبه حتى تتجلى عليه رحمة الله العلي.

عن ابن شهاب أن رسول الله ﷺ ذكر يوماً أيوب عليه السلام وما أصابه من البلاء، وفيه أن بعض إخوانه ممن صابره ولازمه قال: يا نبي الله لقد أعجبني أمرك وذكرته إلى أخيك وصاحبك، أنه قد ابتلاك بذهاب الأهل والمال وفي جسدك منذ ثمانية عشرة سنة حتى بلغت ما ترى ألا يرحمك فيكشف عنك! لقد أذنبت ذنبا ما أظن أحدا بلغه! فقال أيوب عليه السلام:" ما أدري ما يقولان غير أن ربي عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتزاعمان وكل يحلف بالله- أو على النفر يتزاعمون- فأنقلب إلى أهلي فأكفر عن أيمانهم إرادة ألا يأثم أحد ذكره ولا يذكره أحد إلا بالحق" فنادى ربه" أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين" إنما كان دعاؤه عرضاً عرضه على الله تبارك وتعالى يخبره بالذي بلغه، صابرا لما يكون من الله تبارك وتعالى فيه (انظر: القرطبي، التفسير ١١، ٣٢٣).

وإن بدت كلمات سيدنا أيوب أنها مثل الشكوى، فهي في الأصل دعاء؛ لأن الشكوى تكون من شخص ضد شخص مثله. فالتوجه واللجوء إلى الله ليس شكوى. نفس الموقف حدث مع سيدنا يعقوب عندما انفصل عن يوسف عليه السلام وقال بألم عظيم تملأه الحسرة:

﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف، ٨٦)

براءة أيوب عليه السلام من المرض:

خرجت السيدة رحيمة يوماً من الأيام بحثًا عن الطعام. فجاء جبريل إلى أيوب - عليه السلام - وحدثه قائلاً:

- "يا أيوب! لقد ابتليتك، فصبرت، والآن أهبك الصحة والنعمة!" ثم أمره:

﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ (ص، ٤٢)

امتثل أيوب عليه السلام لأمر الله وضرب برجليه الأرض. فانفجرت من الأرض على الفور عين ماء. فاغتسل من مائها فبرأ من كل الأمراض الظاهرة منها والباطنة. وفي رواية أخرى، أن أيوب عليه السلام لما ضرب الأرض برجليه انفجرت عينان بإحداهما مياه ساخنة وبالأخرى مياه باردة؛ فاغتسل بالماء الساخن وشرب من الماء البارد.

من اللافت للنظر هنا أنه حتى في تحقيق المعجزة أمره الله عز وجل أن يبذل الجهد بقول تعالى "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ".

وهذا يعنى أن المحاولة الأولى في العمل لا بد أن تأتي من قبل العبد دائمًا. فلا يجوز أن يُقصر العبد في اتباع الأسباب وأن يجلس مكتفيًا بالدعاء فحسب، بل يجب عليه أن يحقق جميع الشروط اللازمة لإجابة دعوته بدلاً من ذلك.

وهكذا فعل أيوب عليه السلام فتوجه إلى الحق -تعالى- بأدب ولطف فاستجاب الله لدعائه، وتتفتحت أمامه أبواب الشفاء والرحمة واللطف:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾

(الأنبياء، ٨٤)

وجاء جبريل إلى جوار أيوب عليه السلام وقد عادت إليه صحته، ووضع بأمر من الله تاجًا على رأسه وألبسه ملابس جميلة. وأرسل الله عز وجل بإحسان منه سحابة نثرت فوقه قطعًا صغيرة من الذهب.

في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"(بينا أيوب يغتسل عريانا، فخر عليه جراد من ذهب، فجعل أيوب يحتثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوب، ألم أكن أغنيتك عما ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى بي عن بركتك". (لأن العاطي هو أنت! فكيف لي أن أرد شيئًا أنت أعطيتني إياه؟!) (انظر: البخاري، الغُسل، ٢٠؛ الأنبياء، ٢٠؛ النسائي، الغُسل، ٧)

في تلك الأثناء عادت السيدة رحيمة من المدينة؛ فلم تتعرف على سيدنا أيوب. وأخذت تجري مرة صوب اليمين ومرة أخرى صوب اليسار؛ ظنا منها أنه قد فُقد. وأخذت تبكي وتنتحب. فناداها أيوب عليه السلام قائلاً:

- أيتها السيدة! عمن تبحثين؟

فقالت له:

- كان هنا رجل مريض، كان رفيق حياتي. كنت أقوم على خدمته سعيدةً راضيةً وإن سبب لى ذلك التعب. والآن فقدت ذلك الكنز الذي أستمد منه الطمانينة لقلبي.

فسألها ثانية:

- و كيف كان هذا الرجل؟

فردت عليه وقالت:

- كان إنسانًا صابرًا. وكان يشبهك عندما كان في صحته.

هنا قال لها:

- يا رحيمة! هذا هو أنا الرجل الذي تبحثين عنه. لقد رد الله إلي صحتي.

انخرط الاثنان في البكاء فرحًا، وتوجها إلى الله ﷻ بالشكر.

استرد أيوب عليه السلام قوته وشبابه القديم، وأنعم الله ﷻ عليه بمال وأولاد أكثر من ذي قبل، واجتمع مرة أخرى مع أفراد عائلته التي كانت قد تفرقت، وأصبح مظهرًا من مظاهر الإحسان الإلهي أكثر من ذي قبل.

صرخ أيوب عليه السلام في وقت السحر من أول ليلة بعد أن برأ من المرض، وتحول إلى الصحة. ولما سُئل عن سبب ذلك، قال:

كنت أسمع صوتًا كل ليلة في وقت السحر يقول "كيف حالك يا مريضنا ؟". والآن قد جاء وقت السحر، ولكني لم أسمع ذلك الصوت يقول "كيف حالك يا عبدنا المُعافى السليم؟"، لأجل هذا توجعت وقلت آآآه.



أسئلة للتقييم

أ- أجب عن الأسئلة الآتية

١ - ما الآية الكريمة التي ذُكر فيها أن اليهود أطلقوا على عزير عليه السلام وصف "ابن الله"؟

٢ - أكتب ثلاثًا من فضائل أيوب عليه السلام التي تحدثت عنها الآيات الكريمة؟

٣ - أي مشاعر وأحاسيس استحوذت على أيوب عليه السلام وهو يقول لزوجته "يا رحيمة! إني أستحيي أن أطلب من الله رفع بلائي". عندما أرادت منه أن يدعو الله كي يشفيه؟

٤ - ما هو السبب الذي من أجله اُختبر أيوب عليه السلام في ماله وأولاده وبدنه؟

٥ - كيف تصرف أيوب عليه السلام إزاء فقده ثروته وأولاده وصحته؟

٦ - أي الطرق لجأ إليها الشيطان كي يحض أيوب عليه السلام الذي فقد ماله وولده، على العصيان؟ وكيف كان رد فعل سيدنا أيوب؟

٧ - من كان يؤمن لأيوب عليه السلام معيشته بعدما حُسد وفقد كل ثروته، ومن كان يعتني به أثناء فترة مرضه؟

٨ - وضح سبب كون الإنسان على قمة كل المخلوقات التي خلقها الله تعالى؟

٩ - لماذا يجب على العباد ألا يطلبوا البلاء من الله جل جلاله على الرغم أن الله يكافئ من يصبر على البلاء والمصائب بلا حدود؟

ب- أكمل مكان النقاط فيما يلي

١ - عزير ﷺ من نسل .... عليه السلام. ويُعرف عند اليهود باسم.

٢ - يتحدث القرآن الكريم أن الله ﷻ أمات عزيراً ثم أحياه مرة أخرى بعد مرور .... عام.

٣ - احتل .... القدس، وقام بأعمال السلب والنهب، وحرق نسخ ....

٤ - سقط اليهود في الشرك عندما أطلقوا صفة "....................."على .... عليه السلام، وأشرك المسيحيون كذلك عندما أطلقوا نفس الصفة على .... عليه السلام.

٥ - كانت السيدة .... زوجة أيوب ﷺ تعنى به بشفقة أثناء فترة مرضه.

٦ - حال .... للعبد، هي آخر وأفضل فاكهة سينالها من المحبة التي سيشعر بها تجاه ربه.

٧ - عاش أيوب ﷺ إلى جوار ....

٨ - ابتلاء أيوب ﷺ بأخذ ولده وماله وصحته، جاء بعد أن أُعطي ....

ج- ضع إشارةً على الإجابات الصحيحة للأسئلة الآتية

١ - أي مما يلي ليس واحدًا من العبر التي يمكن استنباطها نوم عزير ﷺ مائة عام واستيقاظه مرةً أخرى؟

أ - أن الله ﷻ لا يعجزه أن يميت أو أن يُحيي.

ب - أن الله ﷻ قادر حتى على إحياء العظام التي فنيت.

ج - أي عبد يمكنه بإذن الله أن يحتمي من أعدائه بالنوم.

د - الأصل أن أي إنسان يعيش الموت والبعث عندما ينام بالليل ويستيقظ بالنهار.

٢ - أي مما يلي لا يمكن أن يكون مصدرًا للمحبة والفدائية والاحترام المتبادل بين أيوب ﷺ وزوجته السيدة رحيمة؟

أ - أنهما حاولا أن يقاوما وسوسة الشيطان.

ب - أنهما صبرا معًا في أوقات الضيق والمحن .

ج - أنهما لم يتخليا قط عن الصدق والتضحية.

د - أنهما توكلا على الله وخضعا لقدره.

٣ - قال أيوب عليه السلام عندما فقد كل ثروته "الله هو من وهبني المال والمُلك. والآن هو أخذه مني. لا أحد يملك المال والمُلك إلا هو؛ إن شاء أعطى وإن شاء منع!" أي مما يلي لا يعد إشارة لامتلاك أيوب عليه السلام لهذه الفضيلة؟

أ - لأنه امتلك القناعة التي لا تقدر بمال الدنيا.

ب - لأنه كان شخصًا سخيًّا يستطيع أن يوزع كل ما أعطاه الله عز وجل من نعم.

ج - لعلمه أن الله عز وجل سيأخذ النعم التي أعطاها إليه ورضاه بذلك.

د - لأنه كان مستسلماً لقضاء الله ومستعدًا لتحمل أي ابتلاء يأتي من قبل الله تعالى.

٤ - عندما وصلت الآلام التي عاناها أيوب عليه السلام في الاختبار الصعب الذي تعرض له، حمّل الشيطان ما هو فيه من ألم وتعب بقوله ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (ص،٤١). **أي من النتائج الآتية لا يمكن استنباطه من قول سيدنا أيوب هذا ؟**

أ - أنه يعلم أن هذا اختبار من عند الله، وأن نفسه غير قادرة على تحمل ذلك، وأنه يحب ربه كثيرًا.

ب - أنه يرى أن الشيطان هو سبب هذه الاختبارات الصعبة التي تعرض لها، وأنه يربط بين عدم صبره والشيطان. ج - أنه كان سعيدًا من الموقف الذي وُضع فيه، وأنه كان راضيًا بأن يصبر على الرغم من كل شيء.

د - أنه تخطى حدود الصبر، ويخاف من ألا يستطيع الصبر بعد ذلك.

٥ - أي مما يلي ليس واحدًا من الابتلاءات التي تعرض لها أيوب عليه السلام؟

أ - أنه مرض مرضًا شديدًا.

ب - أن زوجته عذبته وهجرته.

ج - أن أبناءه ماتوا الواحد تلو الآخر.

د - أنه فقد كل ما يملكه من نعم.





حضرة يونس

عليه السلام

و

حضرة إلياس

عليه السلام

و

حضرة اليسع

عليه السلام

الذي جاشت نفسه فتحطى الظلمات وتعمق في حقيقة الذكر والدعاء

حضرة سيدنا يونس

عليه السلام

و

الذي خلَّف من بعد شهرة بقول الله عز وجل عنه"سلام على إلياس"

حضرة سيدنا إلياس

عليه السلام

و

الذي رُفع على العالمين

حضرة سيدنا اليسع

عليه السلام

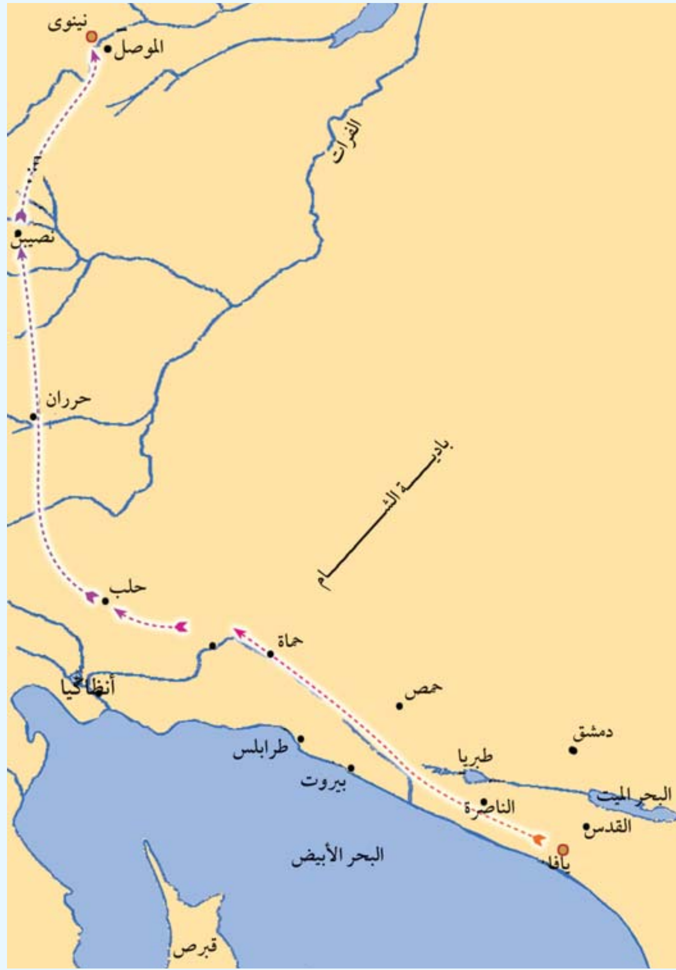
يونس عليه السلام:

أُرسل يونس عليه السلام إلى أهل نينوى[١] عاصمة الدولة الآشورية. ويُخمن أنه عاش في القرن الثامن قبل الميلاد. وكان أبوه رجلا صالحا اسمه متَّى. ولد يونس عليه السلام وتربى في نينوى. وعندما بلغ سن الثلاثين كلفه الله عز وجل بأعباء الرسالة. نزلت باسمه سورة في القرآن الكريم.

قال عنه سيدنا علي رضي الله عنه:

"أصبح يونس عليه السلام نبيًّا في سن الثلاثين ودعا قومه للإيمان لسنوات".

١ - أهل نينوى: هم الشعب الذي يعيش اليوم في منطقة الموصل على ضفاف نهر دجلة في شمال العراق.



وتحدث القرآن الكريم عن نبوته على النحو الآتي:

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات، ١٣٩)

﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (الصافات، ٧٤١)

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبراهيم وَإِسماعيل وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا داود زَبُورًا﴾ (النساء، ٣٦١)

أهل نينوى:

كان أهل نينوى يعبدون الهياكل والأصنام. وكانوا قومًا ظالمين. ولم يؤمن بيونس ﷺ عندما بدأ يدعوهم إلى التوحيد سوى اثنين فقط. أحدهما عالم تعمق في العلم وأدرك وجه الحوادث الخفي، اما الآخر فكان شخصًا كثير العبادة، ولا يهتم بأمور الدنيا كثيرًا. أما الذين لم يؤمنوا فقد تحدثوا مع يونس قائلين:

"رغم أن بيننا قدرًا كبيرًا من الكهنة والعلماء وأرباب الحرف، فإنك تظهر علينا وحيدًا، وتقول إن أجدادنا سلكوا الطريق الخطأ! أنت تنكر آلهتنا! هل تريد أن نقيد أرجلنا بأحكام لم يتعود عليه أحد؟!"

ولم يكتفوا بما قالوا، فبدؤا يؤذونه ويعذبونه بصنوف العذاب المختلفة. أما سيدنا يونس، فكان يتحمل ما يصنعونه، ويصبر عليه، وكان يدعوهم إلى التوحيد متألمًا لحالهم. وكان يُذكّرهم باستمرار بعذاب الله الشديد. ولكنهم في المقابل كانوا يضحكون من تحذيراته، ويقولون:

"إذا كان العذاب سيأتي من أجل شخص واحد ويمحو الجميع، إذن فَأْذَنْ لهذا العذاب أن يأتي!"

حزن يونس عليه السلام حزنًا عظيمًا لإصرار قومه على الإنكار. ولم يعد يطيق أفعالهم أكثر من ذلك وغادر قومه دون أن يأذن الله له بذلك. وبينما هو في الطريق، أوحى الله تعالى إليه :

"يا يونس! ارجع إليهم، وادعُهم للإيمان أربعين يومًا إضافية.!"

فعاد يونس إلى قومه تنفيذًا لأمر الله تعالى، وحدّث قومه مرة أخرى عن العذاب الإلهي والمدة التي حددها الله عز وجل لهم. إلا أنهم ظلوا على عنادهم، ولم يؤمن أحد من قومه على الرغم من مرور سبع وثلاثين يومًا من المهلة التي أمهلهم الله عز وجل إياها. فقال لهم يونس عليه السلام:

"انتظروا العذاب الذي سيقع بعد ثلاثة أيام! وسوف ترون علامة لوقوع العذاب، وهي أن لون وجوهكم سيتحول إلى اللون الأصفر!" وتركهم حزين وذهب مرةً أخرى دون أن ينتظر كي يأذن الله له بذلك.

لم يكن تصرف يونس عليه السلام هروبًا من مهمته الإلهية أو تمردًا على من أسند إليه تلك المهمة. فقد ابتعد فقط عن قوم عُصاة لا يؤمنون بالدعوة السامية.

الإيمان بالله والتوبة والعفو:

جاء اليوم الذي أخبر يونس عليه السلام به قومه، فاصفرت جلود أهل نينوى كلهم منذرة بحلول العذاب والتهبت شفاههم. عندها فهموا كل شيء وقال بعضهم لبعض:

- هذه هي علامة العذاب الذي حدثنا يونس عنه. فلم نر أنه قال الكذب حتى اليوم.

وانتابهم خوف عظيم مما سيلحق بهم من عذاب، ولم تلبث السماء إلا أن تلبدت بسحب سوداء قاتمه. فظل كل واحد منهم يصرخ باحثًا عن باب للأمل. وقال بعضهم لبعض:

- لو كان يونس بيننا الآن فلا تخافوا. أما إذا كان قد رحل فسوف يهلكنا العذاب لا محالة!

بلغ توترهم أقصاه، وكانت قلوبهم تتقد نارًا ندمًا على ما اقترفوا؛ لأن العذاب الإلهي قد صار قريبًا للغاية. وعجزوا عن فعل أي شيء؛ فجروا إلى صالح فقد يستطيعون التوبة قبل وقوع العذاب بلحظة، فقال لهم:

- ما زال هناك يومان على وقوع العذاب. اعتلوا الآن تلك التبة العالية (تبة التوبة)! وأعيدوا الحقوق التي اغتصبتموها إلى أهلها وليسامح كل منكم الآخر! ثم اذبحوا من بعد ذلك القرابين لرب يونس، ثم ليأكل من لحومها الفقير والغنى قطعًا صغيرةً! ثم تضرعوا إلى الله بعجز، وقولوا:

"يا رب يونس! لقد تبنا إليك، وآمنا بك، وقبلنا بنبوة يونس كذلك، وسوف نتعلم من يونس لحظة لقائنا به أوامرك ونواهيك وننفذها جميعًا!..".

نفذ أهل نينوى كل ما قيل لهم وهم يبكون؛ فقبل الله ﷻ وهو "الرحمن" توبتهم، ورفع عنهم العذاب. يقول الله تعالى:

﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (يونس، ٩٨)

فكان قوم يونس عليه السلام بذلك هم الوحيدون الذين نجوا من العذاب لما تابوا إلى الله تعالى. ونجاتهم تلك هي تجلٍّ مختلف للطف الإلهي. وتحتوي سورة يونس على عدد كثير جداً من الآيات الكريمة التي توضح أن رحمة الله قد تجاوزت غضبه.

عندما غادر سيدنا يونس نينوى:

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ... ﴾ (الأنبياء، ٨٧)

وذو النون هو لقب يونس عليه السلام وتعنى "صاحب الحوت". وأُطلق عليه هذا اللقب نظرًا لأن الحوت ابتلعه.

ركب يونس عليه السلام بعد أن غادر المدينة سفينةً. يقول الله تعالى:

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الصافات، ١٤٠).

ومعنى الفعل "أبق" الوارد في الآية الكريمة بخصوص يونس عليه السلام "هرب"، وتستخدم مع العبد الذي يفر من سيده. وقد اُستخدمت بهذا المعنى المجازي لأن يونس عليه السلام احتد على قومه، ثم ابتعد عنهم دون أن ينتظر أمر الله بذلك.



تحركت السفينة بعد ما ركب يونس عليه السلام. وتوقفت بعد مدة في وسط المياة، ولم يستطيعوا إعادة تشغيلها مرة أخرى. وبدأ من بداخلها يشعرون بالقلق لأن السفينة ستغرق، وفكروا في أن سوء الطالع الذي ألم بهم ربما يكون سببه وجود أحد العصاة على متن السفينة؛ فاقترعوا فيما بينهم كي يعرفوا

من هو هذا العاصي، فخرجت القرعة تشير إلى أنه يونس عليه السلام. فأدرك يونس عليه السلام هو الآخر أن هذا ابتلاء من عند الله؛ لأنه ترك قومه دون أن ينتظر أمرًا من الله بذلك. لأجل هذا قال لهم، وقد توكل على ربه:

- نعم، أنا هو ذلك العبد العاصي.

إلا أن كل من في السفينة كانوا قد أدركوا أن يونس عليه السلام رجل صالحٌ، لأجل ذلك اقترعوا فيما بينهم عدة مرات أخرى. غير أن القرعة كانت تخرج في كل مرة على يونس عليه السلام.

فقاموا في النهاية بإلقاء سيدنا يونس في الماء قائلين "على أية حال لا بد وأن يكون ذلك العبد قد ارتكب إثمًا!". يقول الله تعالى:

﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ (الصافات، ١٤١)

﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ..... ﴾ (الأنبياء، ٨٧)

﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (الصافات، ١٤٢)

إذن أصبح سيدنا يونس في بطن الحوت. ما زال على قيد الحياة في مكان مظلم، ما زال سليم العقل. لقد أمر الله عز وجل الحوت ألا تجرح يونس أو تؤذي عظامه. رضي يونس عليه السلام بقدر الله، وخضع لمولاه وعرض حاله على ربه وقد انفطر قلبه حزنًا في الظلمات في بطن الحوت، وقال:

﴿........ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء، ٨٧)

وفي أثناء ذلك سمع بعض الأصوات في بطن الحوت. فتعجب لما يحدث. فأوحى الله عز وجل له أنه في بطن الحوت، وقال تعالى:

"يا يونس! هذه الأصوات هي أصوات الذاكرين في البحر".

فأخذ سيدنا يونس يسبح الله عز وجل كما تعود في ظل تلك الظروف الصعبة التي يمر بها وبذل الجهد كي لا يتوقف عن الذكر. فانشغل بالاستغفار والدعاء. فلما علمت الملائكة بحال يونس عليه السلام تضرعت إلى الله عز وجل كي يعفو عنه. فغفر الله عز وجل ليونس زلّته بعد أن سبح الله واستغفره كثيرًا:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء، ٨٨)

وكان إكثار يونس عليه السلام في التسبيح هو السبب الوحيد لعفو الله تعالى:

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ س(الصافات، ١٤٣-١٤٤)

نجا يونس ﵇ من الموقف الصعب الذي وقع فيه، بفضل ذكره لربه، وإدراكه للخطأ الذي ارتكبه وتوكله. وكان هذا رحمة ونعمة عظيمة بالنسبة إليه.

ومما يجدر ذكره هنا؛ أن يونس ﵇ صبر مدة ٣٧ يومًا من أربعين يومًا أمهلها الله ﷻ لقومه قبل أن يهلكهم، بيد أنه لم يستطع أن يصبر ثلاثة أيام. فابتلاه الله ﷻ باختبار عظيم وعلمه الصبر في بطن الحوت.

لفظ الحوت، الذي كان يخفي داخله يونس ﵇ مثل الأمانة الغالية، لفظ سيدنا يونس ﵇ على الساحل:

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ (الصافات، ١٤٥-١٤٦)



كان يونس ﵇ ضعيفًا هزيلاً عندما أخرجه الحوت من بطنه وألقى به على الساحل. وكان جسده هلامي الشكل. وكان الجو وقتها حارًّا إلى حد ما. فأنبت الله ﷻ إلى جواره نباتًا عريض الأوراق كي يقيه حرارة الشمس الحارقة. ولم يكن هناك ثعابين أو حشرات يمكن أن تضر يونس ﵇ في ظل هذا النبات. وكانت ثمار ذلك النبات تقطر لبنًا في فم سيدنا يونس فكانت تُشبعه.

توجه يونس ﵇ بعدما استجمع قواه إلى نينوى. وبالقرب من نينوى التقي بأحد الرعاة، فقص الراعي له ما حدث. أخبره أن قومه آمنوا وتابوا إلى الله تعالى، فعفا الله عنهم. وأخبره أن الجميع ينتظرون قدوم يونس ﵇ كي يخبرهم بأوامر الله.

علم القوم برجوع سيدنا يونس، فتجمعوا إلى جواره. وكان هو يصلي حينها. وبعدما انتهى من صلاته، توجهوا إليه جميعًا واحتضنوه وطلبوا منه الصفح عما فعلوه. فعفا سيدنا يونس، وأخذ يعلمهم أوامر الله ونواهيه. فعاش القوم بعدما أطاعوا الله ﷻ ونبيه حياةً ملؤها السعادة والخير.

﴿فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (الصافات، ١٤٨)

لقد غادر يونس ﵇ قومه دون أن ينتظر أمر الله له بذلك لأنه سئم منهم وشعر بالألم من أفعالهم. وكان هذا وجهًا من وجود التسرع ونفاد الصبر. فسلوك مثل هذا هو زلّة بالنسبة إلى يونس ﵇ حتى ولو كان يعيش ظروفًا صعبة.

فكما هو معلوم لدينا أن الرسول ﷺ قد تحمل من المشركين مالا يتحمله أحد من ظلم وأذى وجفاء، وصبر على الرغم من كل ذلك إلى أن جاءه الأمر الإلهي بالهجرة. فجاء إذن الله ﷻ إلى سيدنا الرسول ﷺ كما ورد في الآية ٨٠ من سورة الإسراء في شكل دعاء:

﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾

لقد طلب الحق تعالى من سيدنا النبي ﷺ أن يصبر على المحن التي تقابله في تأدية الرسالة وضرب من يونس عليه السلام وتركه قومه دون إذن الله مثالاً على ذلك:

﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ. لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ. فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (القلم، ٤٨ – ٥٠)

الدروس المستفادة من قصة يونس عليه السلام:

أهمية التزام الدقة والثبات والصبر عند تبليغ أحكام الله للناس.

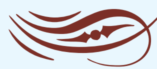
ضرورة أن يذكر الإنسان الله في كل حين وأن يلزم الاستغفار بعد إدراك الذنب.

ضرورة أن يلجأ الإنسان إلى الله ولا يفقد الأمل وأن الله ﷻ يقبل التوبة الخالصة.

قَبول توبة قوم يونس بعدما علموا أن الموت قد أحاط بهم، هو أمر خاص بهم فقط؛ لأن قوم يونس عليه السلام عندما تابوا لم يكن العذاب قد جاءهم بعد، فلم يظهر سوى مؤشرات العذاب فقط. هم أيضًا أدركوا أن سيدنا يونس لم يكذب عليهم، وأن العذاب الذي وعدهم به سيتحقق لا محالة، فتابوا إلى الله ﷻ على الفور. بيد أن الوضع لم يكن على هذا الشكل بالنسبة إلى الأقوام الآخرين الذين هلكوا. فعلى سبيل المثال ندم فرعون وإيمانه جاء بعدما بدأ عذاب الله ﷻ يقع بالفعل. فلم يقبل الله ﷻ إيمانه وتوبته هنا لأنها كانت نابعة من حالة نفسية وهي الخوف.

اللهم أدم ذكرك في قلوبنا، ولا تجعلنا نلجأ إلا إليك أنت وحدك في أوقات الضيق والسعة!

آمين!...



إلياس عليه السلام:

يقول الله تعالى:

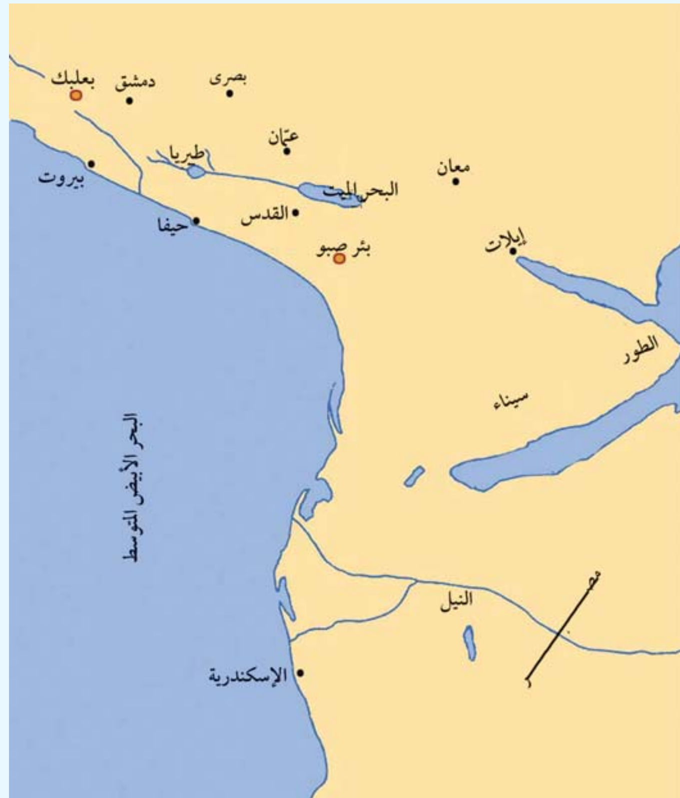
﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الصافات، ١٢٣)

عندما آلت فلسطين إلى بني إسرائيل استقرت قبيلة منهم في منطقة بَعلْبك . وكان على رأس هذه القبيلة حاكم ظالم. ويُرْوَى أن هذا الحاكم الظالم صنع صنماً أطلق عليه اسم بَعل، وأنه أجبر الناس على عبادة ذلك الصنم. وأن اسم هذه المدينة كان بَعل من قبل ذلك. وأنهم أطلقوا عليها فيما بعد بَعلْبك بعد أن ألحقوا إلى اسمها الأصلي كلمة بَك. لأجل ذلك أُرسل إلياس عليه السلام نبيًّا على هذه البلدة كي يدعو الذين أشركوا وابتعدوا عن التوحيد إلى الحق.

صُنع الصنم الذي عبدوه من الذهب وبلغ طوله حوالي عشرة أمتار. وكان إلياس عليه السلام يقول لقومه: "ارجعوا عن عبادتكم للصنم بعل! وآمنوا بالله الذي خلق كل شيء واعبدوه!"

يقول الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُون. أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِين. الله رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِين﴾ (الصافات، ١٢٤-١٢٦)



ولكن بني إسرائيل لم يستمعوا إلى نصائح إلياس عليه السلام. وأخرجوه من المدينة. لهذا السبب جاءهم البلاء والمصائب المختلفة. ولكنهم لم يلبثوا أن فهموا الحقيقة؛ فبحثوا عن إلياس عليه السلام حتى وجدوه وآمنوا به. وبذلك نجوا من المصائب التي حلت بهم.

ولكن هؤلاء القوم كانوا طغاة، فما لبثوا أن نقضوا عهدهم. فتراجعوا عن إيمانهم وانجروا إلى العصيان مرة أخرى فحادوا عن طريق الحق. وكلما توجه إليهم سيدنا إلياس بالنصح لم يستمعوا

إليه. فانفصل عنهم إلياس ﷺ بأمر من الله تعالى؛ فحُرم هؤلاء القوم الذي انفصل عنهم نبي الله، من الرحمة والمغفرة؛ فاستحقوا بذلك عذاب الله، ونالوا الجزاء الذي يستحقونه في الدنيا والآخرة:

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات، ١٢٧-١٢٨)

مر إلياس ﷺ بعد ترك بعلبك، على قرية. فدعا من فيها للإيمان، فقبلوا بهذه الدعوة الإلهية وآمنوا، وطلبوا من سيدنا إلياس أن يظل معهم؛ فقبل دعوتهم وحل ضيفًا في منزل سيدة عجوز. وكان لهذه السيدة طفل مريض، فصلى إلياس ﷺ ركعتين ودعا الله ﷻ كي يشفي ابنها؛ فقبل الله ﷻ دعاءه وتعافى ابنها. ولم يكن يترك إلياس ﷺ قط. فتعلم من إلياس ﷺ التوراة. وكان اسم هذا الطفل اليسع.

أمضى إلياس ﷺ ما تبقى من عمره في الدعوة إلى دين الله ﷻ وحث الناس على فعل الخير وإبعادهم عن الشر.

يُرْوَى أن إلياس ﷺ رأى يومًا ملك الموت، ففزع لذلك، فتعجب ملك الموت من ذلك وسأله عن سبب فزعه، وقال:

- "يا نبي الله! هل خفت من الموت؟"

فرد إلياس عليه السلام:

- "لا، ليس هو الموت الذي خوّفني، بل كان خوفي من أنني سأودع الحياة الدنيا وأنا على هذه الحالة".

واستطرد في حديثه قائلاً:

- "لقد كنت أجتهد في الحياة الدنيا كي أكون عبدًا لله، وأن آمر الناس بالخير وأنهاهم عن المنكر. أمضيت وقتي في عبادة الله ﷻ وقمت بصالح الأعمال، وحاولت أن أعيش متمسكًا بالأخلاق الحميدة. وكان كل ذلك سببًا لشعوري بالطمأنينة. كان قلبي ممتلئاً بالطمأنينة والنشوة المعنوية، وإن ما يحزنني الآن أنني بعد موتي لن أتمكن من عيش هذه الملذات وسأظل رهين قبري حتى قيام الساعة!"

الخلاصة أن إلياس ﷺ أدرك جوار ربه وترك "صداه جميلاً في السموات العُلى"، وكان مظهرًا للطف الله ومدحه:

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ.إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾

(الصافات، ١٢٩-١٣٢)

اللهم اجعلنا من المقربين إليك، ولا تجعلنا ننخدع بالملذات الفانية في الحياة الدنيا وارزقنا السعادة في الآخرة واجعل الاستقامة طريقًا لنا!...

آمين!...

اليسع عليه السلام:

كان من الأنبياء الذين أرسلهم الله ﷻ إلى بني إسرائيل. أُصيب بمرض شديد في طفولته، وشفاه الله منه ببركة دعاء إلياس عليه السلام؛ فلزم جوار إلياس عليه السلام بعدها، ولم يفارقه، وتعلم منه التوراة.

عمل اليسع عليه السلام - مثله في ذلك مثل باقي أنبياء بني إسرائيل - على هداية قومه الطغاة. فكانوا يوافقونه أحيانًا ويخالفونه أحيانًا أخرى.

ويتحدث القرآن الكريم في آيتين عن اليسع عليه السلام بقوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْ إِسماعيل وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ﴾ (ص، ٨٤)

ووردت في الآية كلمة "اذكر" كي تبين أن هؤلاء الأنبياء قد بذلوا - مثلهم في هذا مثل باقي الأنبياء - جهدًا يستحق التقدير في نشر دين الله.

وهناك آية أخرى في القرآن الكريم لها علاقة باليسع عليه السلام وهي:

﴿وَإِسماعيل وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام، ٦٨)

حدث على عهد اليسع عليه السلام تنافس بين قبائل بني إسرائيل للفوز بالحكم والوصول إلى رأس الدولة.

ولم تستمع أي من هذه القبائل إلى نصائح سيدنا اليسع؛ فدب الشقاق بينهم، وحدث ما لا يحمد عقباه نتيجة للفتنة والتصارع والجدال فيما بينهم. وسلَّط الله ﷻ عليهم الآشوريين يحكمونهم. فانهزموا أمام الآشوريين وصاروا أذلة تعساء. فكانت الشرور التى ارتكبوها هي السبب في ابتعادهم عن رحمة الله تعالى.

يتحدث محي الدين نيشانجي زاده في كتابه مرآة الكائنات، عن معجزات اليسع عليه السلام على النحو الآتي:

أصبحت عين الماء التي يشرب منها الناس في مدينة أريحا مُرةً. فأسرع الناس إلى اليسع عليه السلام وطلبوا منه أن يساعدهم في هذا.

فقام برمي مقدار من الملح في الماء المر،

وقال له:

"كُن حلوًا "فتحول الماء وصار عذبًا حلوًا أكثر من ذي قبل.

يُروى أيضًا أن امرأة أرملةفي المدينة قد جاءت إلياس عليه السلام وأخذت تحكي له عن فقرها. فسألها إلياس عليه السلام:

- "ماذا في بيتك؟"

المرأة:

- "لدي حفنة من الزبدة في بيتي!"

فقال لها:

- "اذهبي، وضعي ذلك الزبد داخل أوعيتك التي في البيت!"

توجهت المرأة بعدها إلى بيتها، وفعلت ما قيل لها؛ فرأت أن الآواني قد امتلأت بعد فترة بالزبدة عن آخرها فاستطاعت أن تسدد بفضل هذه المعجزة كل ديونها. وعلى الرغم من كل ذلك لم ينفد الزبدة.

نادى اليسع عليه السلام على ذي الكفل عليه السلام لما اقتربت نهايته، وعينه عنده تنفيذا لأمر الله تعالى، كي يقوم بواجبات النبوة على أكمل وجه من بعده.

ربي كما رفعت النبيين مكانًا عليًّا فوق العالمين، فاجعل لنا نحن أيضًا نصيبا كي نصل إلى مرتبة عليا في عبوديتك!...

آمين!



أسئلة للتقييم

أ- أجب عن الأسئلة الآتية

١ - لماذا قبل الله ﷻ توبة قوم يونس عليه السلام على الرغم من أن الله ﷻ لا يقبل توبة من ييأس من فعل أي شيء أمام عذاب الله؟

٢ - أي الدروس يمكن استفادتها من التزام يونس عليه السلام ذكر الله والاستغفار حتى وهو في بطن الحوت؟

٣ - على أي شيء يدل ترك يونس عليه السلام قومه قبل أن تنتهي المدة التي حددها لهم الله، وعصيانه أمر الله، أو هروبه من مهمته؟

٤ - بماذا أوصى يونس عليه السلام قوم نينوى حتى ينجوا من العذاب؟

٥ - لماذا لم يعترض يونس عليه السلام على إلقائه في البحر، بل قال لمن على السفينة "أنا هو العبد العاصي الذي تبحثون عنه"؟

٦ - كيف نجا يونس عليه السلام بعد أن ألقوا به إلى البحر؟

٧ - ما الذي نفهمه من قوله تعالى "وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ "الواردة في الآيات الكريمة ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ. إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ. إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصافات، ١٢٩ - ١٣٢)؟

٨ - تحدث عن نمط حياة القوم الذين أُرسل إليهم إلياس عليه السلام؟

٩ - كيف استقبل قوم إلياس عليه السلام دعوته لهم باتباع طريق الحق؟

١٠ - كيف كان رد فعل إلياس عليه السلام لما رأى ملك الموت؟

١١ - ناقش النتائج التي أفضى إليها الصراع السياسي والفتنة التي وقع فيها قوم اليسع عليه السلام؟

١٢ - إلى جوار مَن من الأنبياء تربى اليسع عليه السلام وعمن تلقي التوراة؟

١٣ - كيف أطلت الفتنة برأسها بين بني إسرائيل في عهد نبوة اليسع عليه السلام؟

ب- أكمل مكان النقاط فيما يلي

١ - أُرسل يونس عليه السلام إلى قوم ....

٢ - لم يتم يونس عليه السلام المدة التي أمهل الله عز وجل قومه إياها وتركهم مرة أخرى في اليوم ....

٣ - لُقّب يونس عليه السلام ....

٤ - كان .... الله عز وجل وتسبيحها هما السبب في نجاة يونس الذي أُلقي إلى البحر وابتلعه الحوت في بطنه.

٥ - سمع يونس عليه السلام وهو في بطن الحوت أصوات .... في البحر.

٦ - يمتد نسب إلياس عليه السلام إلى .... عليه السلام.

٧ - أرسل الله عز وجل إلياسَ كي يدعوَ الناس الذين عاشوا في مدينة .... إلى الحق.

٨ - أُصيب اليسع عليه السلام بمرض شديد، وهو لا يزال طفلا، فدعا .... عليه السلام له فبرأ من مرضه.

٩ - سلط الله عز وجل .... على بني إسرائيل عندما لم يستمعوا لنصائح اليسع عليه السلام.

ج- ضع إشارةً علي الإجابات الصحيحة للأسئلة الآتية

١ - أي مما يلي لا يمكن اعتباره درسًا من الدروس المستفادة من حياة يونس عليه السلام؟

أ - إذا ارتكب الإنسان الخطأ فلا بد أن يلجأ إلى الله و لا يفقد الأمل..

ب - أن التوبة تُقبل بالتأكيد حتى لو كان ذلك في لحظة الموت.

ج - ضرورة الاهتمام بتعريف الناس أحكام الله تعالى.

د - ضرورة الاستغفار فور اكتشاف الإثم

٢ - أي مما يأتى هو سبب لترك يونس عليه السلام لقومه الذين لم يؤمنوا بأي حال من الأحوال؟

أ - أنهم وصلوا إلى درجة من الكفر والعصيان لن يمكنهم معها الرجوع عن كفرهم وعصيانهم.

ب - أنهم أجبروا يونس عليه السلام على الخروج من وطنه.

ج - أنهم أذنوا ليونس عليه السلام كي يخرج .

د - أن قوم يونس عليه السلام استمروا على عنادهم رغم جهده وصبره عليهم.

٣ - أي مما يلي ليس أحد أسباب العفو عن يونس عليه السلام وهو مازال في بطن الحوت؟

أ - تاب إلى الله كثيرًا واستغفره .

ب - أدرك أنه ظلم قومه وندم على ذلك.

ج - ذكر الله كثيرًا وأخذ يسبحه.

د - كان دائم الدعاء واللجوء إلى الله تعالى

٤ - أي مما يلي ليس واحدًا من السبل التي اتبعها قوم يونس عليه السلام حتى ينجوا من العذاب الإلهي؟

أ - أنهم أعادوا الحقوق التي اغتصبوها قبل ذلك إلى أصحابها.

ب - أنهم ذبحوا القرابين لله تعالى حتى يتقربوا منه، وقاموا بتوزيع لحومها على كل شخص.

ج - أنهم طلبوا العون من عدد كبير من الناس كي يساعدوهم.

د - تضرعوا إلى الله وقد شعروا بالندم وقطعوا على أنفسهم العهود أن يعبدوا الله ويطيعوه.

٥ - أي مما يلي ليس واحدًا من الدروس المستفادة من نجاة قوم يونس عليه السلام من العذاب الإلهي؟

أ - أن قوم يونس هم الوحيدين الذين أخر الله لهم العذاب. ولو أنهم عادوا إلى الخطأ نفسه، لجاءهم العذاب من جديد.

ب - أن المجتمعات التي لا تطيع أنبياءها ولا تقبل بتوجهاتهم، ستُجر إلى العذاب.

ج - لا يجب أن يقنط المرء من رحمة الله ومغفرته حتى في ظل أسوء الظروف.

د - أن وجود أناس صالحين في أي مجتمع من المجتمعات هو أمر مهم لدرجة أنه قد يؤثر في قدر ذلك المجتمع.

٦ - في أي معنى اُستخدمت كلمة "أَبَقَ" الواردة في الآية الكريمة ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ (الصافات،١٤٠)؟

أ - الفرار.
ب - الإعراض عن ممارسة العمل.

ج - المغادرة من دون إذن.
د - الهجر.

٧ - أي مما يلي لا يمكن أن يصبح واحدًا من الأوصاف الرئيسة لداعي الإسلام؟

أ - أن يبذل الجهد في الأمور التي يصعب النجاح فيها، وأن يرهق نفسه عبثًا.

ب - أن يعقد العزيمة على مواجهة الصعوبات وأن يستمر في الكفاح وأن يلتزم الصبر دون كلل أو ملل.

ج - أن يلتزم الإنسان بالهدوء والسكينة أمام سلوك الناس وكلماتهم التي قد تكون رد فعل للدعوة.

د - ألا يشعر بالشك في أن الإسلام سيفوز في الأرض.

٨ - قال القوم ليونس عليه السلام الذي دعا الناس لعقيدة التوحيد: "على الرغم من أن بيننا قدرًا كبيرًا من الكهنة والعلماء وأرباب الحرف، فإنك تظهر علينا وحيدًا، وتقول إن أجدادنا سلكوا الطريق الخطأ.! أنت تنكر آلهتنا! هل تريد أن نقيد أرجلنا بأحكام لم يتعود عليه أحد؟!". في ضوء ما سبق أي مما يلي ليس واحدًا من العوامل المهمة لقبول أي مجتمع من المجتمعات للعقيدة السليمة؟

أ - عقيدة وآراء رجال العلم وأرباب الحرف والمفكرين الذين تربوا داخل المجتمع.

ب - عقيدة وعادات القوم التي اعتنقوها قبل مجيء العقيدة السليمة.

ج - أن قوة الإنسان على التصور تزداد عندما يتخطى عقيدة التوحيد إلى عقيدة الثالوث المقدس.

د - أنهم رأوا أن العقائد والأحكام القديمة التي اعتادوا عليها فترة من الزمن أكثر يسرًا. وأن هذه الأحكام هي التي جاء بها الأنبياء الذين أُرسلوا إلى بني إسرائيل من نسل هارون عليه السلام.

٩ - لو وضعنا في الاعتبار التشابه بين توجه قوم إلياس إلى عبادة صنم صنعوه من الذهب؛ وهوس قوم موسى عليه السلام بالعجل الذي صنعه السامري من الذهب، فإلى أي نتيجة يمكننا أن نصل فيما يتعلق بهذا المعدن؟

أ - أن الذهب معدن سيئ لأنه كان السبب في نشوب المعارك خلال فترات التاريخ المختلفة.

ب - أن الذهب معدن يؤثر على الناس بشكله وقيمته.

ج - أن صنع الأصنام من الذهب، هو إشارة إلى القوة المعنوية لتلك الأصنام.

د - أن الناس جميعهم كانوا يؤمنون عبر فترات التاريخ أن للذهب قوة خفية.

١٠ - أيٌّ مما يلي ليس واحدًا من سمات القوم الذين أُرسل إليهم إلياس عليه السلام؟

أ - أنهم كانوا يعيشون في مكان يسمى بعلْبك.

ب - أنهم آمنوا بإلياس عليه السلام بعد أن أدركوا أنه نبي ولم يعصوا الله عز وجل بعد ذلك.

ج - أنهم كانوا يعبدون صنمًا يُقال له بَعل.

د - كان يحكمهم ملك ظالم وثني.

١١ - ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (الصافات، ١٢٧ - ١٢٨) في الوقت الذي تؤكد فيه الآية الكريمة أن الذين كذبوا عقيدة التوحيد التي جاء بها إلياس عليه السلام سيئول مصيرهم إلى جهنم، نجد أنها تبين في الوقت نفسه أن الذين سيدخلون الجنة هم "المُخلَصون" وليس "المؤمنون" الذين يقولون آمنا فقط. أي مما يلي هو نتيجة يمكن استخلاصها من ذلك؟

أ - أن الذين يؤمنون وقليلو الإخلاص سيدخلون جهنم.

ب - أن المُخلصين من الذين قبلوا بعقيدة التوحيد سيدخلون الجنة.

ج - أن الذين لم يؤمنوا من العباد المخلصين سيدخلون جهنم.

د - أن العباد المخلصين الذين يؤمنون ويفعلون صالح الأعمال سيدخلون الجنة.

١٢ - ما سبب اضطراب إلياس عليه السلام عندما جاء ملك الموت؟

أ - لأنه كان يخاف من الموت والآخرة.

ب - كان يظن أن أمته ستهلك.

ج - كان يظن أن الله سيسوق العذاب.

د - كان يرى أن بموته سيُحرم أداء العبادة وتبليغ الرسالة والعمل الصالح.

١٣ - أي مما يلي ليس واحدًا من المعاني التي تشير إليها كلمة "اذكر" الواردة في الآية الكريمة ﴿وَاذْكُرْ إسماعيل وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ﴾ (ص، ٤٨)؟

أ - أن إسماعيل واليسع وذا الكفل عليهم السلام قد عاشوا في نفس العصر.

ب - أن الانبياء السابق ذكرهم كانوا مثل باقي الأنبياء يوصون بعمل الخير وينهون عن الشر.

ج - أن هؤلاء الأنبياء، مثلهم في ذلك مثل باقي الأنبياء، قد جاهدوا أمام ما قابلهم من صعوبات وأنهم نشروا عقيدة التوحيد.

د - الأنبياء السابق ذكرهم في الآية الكريمة هم العباد الصالحون الذين أحبهم الله.

١٤ - أيد الله عز وجل اليسع عليه السلام مثل كثير من الأنبياء، ببعض المعجزات. أي مما يلي ليس معلومة صحيحة عن المعجزة؟

أ - المعجزة تُسهل من تحول المتشككين إلى الإيمان بما يرونه من أمر هذه المعجزة.

ب - المعجزة هي وسيلة يهلك الله بها كل من يظل على كفره بعد وقوعها.

ج - المعجزة تُقوِّي إيمان المؤمن وتزيد من خضوعه لله تعالى.

د - المعجزة هي أحوال خارقة للعادة ليس باستطاعة أي بشر عدا الأنبياء القيام بها.



حضرة ذو الكفل

عليه السلام

و

حضرة لقمان الحكيم

عليه السلام

النبي الصالح الذي استحق رحمة الله

حضرة سيدنا ذو الكفل

عليه السلام

و

شيخ الحكماء ظاهرهم وباطنهم

حضرة سيدنا لقمان الحكيم

عليه السلام

ذو الكفل عليه السلام

هو أحد الأنبياء الذين أرسلهم الله ﷻ إلى بني إسرائيل. يُرْوَى أنه ابن أيوب عليه السلام.

(انظر: الحكيم، المُستدرك، ٢، ٦٣٦)

تذكر الروايات أن اسمه الأصلي هو بِشر، أما لقبه فهو ذو الكِفل. وقد أُطلق عليه هذا اللقب، لأنه تكفل تعليم بني إسرائيل أوامر الدين بعد اليسع عليه السلام وكان يعمل بعمل كل الأنبياء الذين عاشوا في زمنه فنال بذلك نصيبًا مضاعفًا من الثواب. و"ذو" في اللغة العربية بمعنى "صاحب"، أما "الكِفل" فلها عدة معان مثل التكفل والكفالة والنصيب والقسمة وضِعف الشيء. ويُستخدم هذا اللقب للدلالة على الدرجة الرفيعة في الآخرة وليس للثراء الدنيوي.

روي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله:

"أنعم الله ﷻ على أحد انبياء بني إسرائيل (اليسع) بالمُلك والسلطان إلى جانب النبوة. وعندما دنا أجل هذا النبي، أوحى الله ﷻ إليه أنه سيسلم الروح إليه، خوطب بالقول:

"أعطِ ملكي إلى شخص من بني إسرائيل يصلي الليل حتى يطلع النهار ويصوم نهاره ويحكم بين الناس حليماً".

قص هذا النبي أمر الوحي على بني إسرائيل؛ فنهض شاب من بين القوم وقال:

- أنا أتكفل بهذا الأمر! سأتحمل هذه المهمة!

فقال النبي لذلك الشاب: - ولكن هناك من هو أكبر منك سنًّا بين القوم، فلتجلس أنت!

وقدم هذا النبي عرضه مرة أخرى، فقام الشاب مرةً أخرى، وقال: "أنا أتكفل به". وعندما كرر عرضه للمرة الثالثة ولم يجد ردًّا إلا من ذلك الشاب. فقام النبي الذي قدم العرض بترك مكانه للكفيل، وأعطاه ملكه. وكان اسم ذلك الشاب بِشر".

ولكن الشيطان حسد هذا الشاب على ما آل إليه. فقام بنسج الحيل المختلفة للحيلولة دون قيامه بمهمته على أكمل وجه. ولكن الشاب لم يستمع لوسوسة إبليس، وحمل الأمانة التي تكفل بها على أكمل وجه. لهذا السبب أُطلق عليه اسم "ذو الكفل".

وذُكر ذو الكفل مرتين في القرآن الكريم على النحو الآتي:

﴿وَاذْكُرْ إِسماعيل وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الْأَخْيَارِ﴾ (ص، ٤٨)

﴿وَإِسماعيل وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الأنبياء، ٨٥ - ٨٦)

عمل ذو الكفل عليه السلام بشريعة سيدنا موسى عليه السلام، مثله في ذلك مثل أنبياء بني إسرائيل الذين جاؤا قبله، فقام ببيان ما جاء في التوراة من أوامر ونواهٍ. ورُوي أنه توفي في إحدى بلاد الشام.

ربي! أعطنا العزم والثبات كي نقوم بما أمرتنا به أفضل قيام وأن يكون لنا من الفضائل ما امتدحت منها!... آمين!

لقمان الحكيم عليه السلام

تذكر الروايات فيما يتعلق بنسب لقمان الحكيم عليه السلام أن له صلة قرابة بأيوب عليه السلام. وتذكر رواية أخرى أنه ابن أخت سيدنا أيوب أو ابن خالته .



كان لقمان الحكيم عليه السلام نبيًّا أو وليًّا صالحًا، وهو شيخ الحكماء. غير أن كثيرًا من علماء الإسلام يرون أن لقمان الحكيم لم يكن نبيًا، وإنما هو شخص آتاه الله الحكمة. ولفظ الحكمة هنا هو مَلَكَةٌ يستطيع الإنسان بعد تحصيل العلوم النظرية (الميتافيزيقا والمنطق...الخ) أن يستشف السمو المعنوي والنضوج الروحي المكتسب، يستطيع أن يتحدث ويتصرف بشكل سليم باستمرار.

ويذكر القرآن الكريم في سورة سميت باسمه "سورة لقمان" أنه أحد أولئك الذين أوتوا الحكمة، على النحو الآتي:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (لقمان، ١٢)

ويبين الحق ﷻ أن من أوتي الحكمة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا:

﴿يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ (البقرة، ٢٦٩)

الحكمة هي القدرة على إدراك حقيقة الشيء وسره. ويصير هذا ممكنًا أيضًا بتجلي النور الإلهي في القلب. وينقل الزمخشري تلك الحادثة مثالاً على حكمة لُقمان عليه السلام قائلاً:

طُلب من لُقمان يومًا أن يذبح شاة، وأن يأتي بقطعتين من أطيب ما فيها. فجاء لقمان بقلب الحيوان الذي ذبحه ولسانه. وبعد فترة من الوقت ذبح شاة أخرى وطُلب منه أن يأتي بقطعتين من أخبث مكان فيه. فذهب لُقمان وجاء بقلب الشاة ولسانها من جديد. ولما سُئل عن سبب هذا، قال:

- إنه ليس بشيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. (انظر: الزمخشري، الكشاف، ٣، ١٨)

وتذكر إحدى الروايات عن الحادثة السابقة، التى أوردها الإمام مالك في كتابه "الموطّأ"، أن لُقمان الحكيم سُئل: "من أين حصلت على هذه الفضائل التي نراها لديك؟

فقال: من التحدث بالصدق، وأداء الأمانة، وترك التدخل فيما لا يعنيني، ومن الوفاء بالوعد".

(انظر: الموطأ، الكلام ١٧).

وقد تحدث القرآن الكريم عن النصائح التي أعطاها لقمان الحكيم لابنه:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان، ١٣)

ولأن الظلم ضد العدل. أما العدل فهو أن تعطي كل شخص ما يستحقه وأن يأخذ كل ذي حق حقه. لذا فالشرك بالله الذي خلق العالمين ويملك كل شيء، هو عدم إعطاء الله ما يستحقه. لهذا السبب كان الشرك السبب في الخلود في جهنم أبدًا.

ويستمر لقمان في نصحه لابنه على النحو الآتي:

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان، ١٦)

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (لقمان، ١٧)

لأن الصلاة معراج المؤمن، وهي من أهم ما كُلّف به العبد. ولا تُترك الصلاة حتى أثناء الحرب مع العدو. ويبشر الله ﷻ من يسجدون له في قوله تعالى:

﴿... سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ...﴾ (الفتح، ٢٩).

ويقول الله في آية أخرى:

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق، ١٩)

وتروي السيدة عائشة ﵂:

"كان رسول الله ﷺ إذا صلَّى سُمع لصدره أزيزٌ كأزيز المرجل (غليان القدر)" (أبو داود، الصلاة، ١٥٧)

إن "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لهو من أهم مهام المؤمن. ومن شأنه أن يشكر المؤمن الله على ما أنعم به عليه من نعم معنوية دافعًا إلى الآخرين هذه النعم.

ويبين الله ﷻ للمؤمنين في شخص الرسول ﷺ كيفية الدعوة على النحو الآتي:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران، ١٥٩)

ويبين الحق تعالى لنا في آية أخرى سبيل الدعوة إلى الخير، على النحو الآتي:

﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ...﴾ (النحل، ١٢٩)

وعندما نأتي إلى الصبر، نجد أنها من أكثر الكلمات تداولاً في القرآن الكريم. وربما تكون النتائج الدنيوية للصبر مريرة للغاية؛ ولكن المكافأة الأخروية للصبر حلوة جدًّا. لأن كل الأنبياء مروا من مصفاة الصبر. يقول الله تعالى:

﴿... وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة، ١٥٥)

يروي عبد الله بن مُغَفّل ﷺ أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: يا رسول الله! والله إني لأحبك،

قال ﷺ: "انظر ماذا تقول"،

قال: والله إني لأحبك،

قال ﷺ: "انظر ماذا تقول،

قال: والله إني لأحبك (ثلاث مرات)

فقال ﷺ: "إِنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا؛ فَإِنَّ الْفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُنْتَهَاهُ" (انظر: الترمذي، الزهد، ٣٦).

أراد سيدنا رسول الله ﷺ من كلماته تلك:

ما دمت تحبني من أجل الله؛ إذن فاستعد وأعِدّ العُدة لتحمل البلاء والمصائب والمحن كمقابل لهذه المحبة وارضَ بما قسم الله لك!...

يستمر لقمان الحكيم في إسداء نصائحه:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان، ١٨)

إن التكبر والغرور والإعجاب بالذات هي بمثابة أغصان شجرة تمتد جذورها حتى جهنم. إن صفة التكبر هي صفة خاصة بالله ﷻ وحده.

وكذلك كان غرور إبليس وتكبره على آدم عليه السلام وعدم امتثاله لأمر ربّه، السبب وراء إخراج إبليس من الجنه وتعهده بغواية بني آدم. وعلى الرغم من أن قارون قد أُعطي العلوم المعنوية، فإنه حسد سيدنا موسى وهلك بسبب سلوكه هذا.

وها هو سيدنا لقمان يوجه لابنه المزيد من النصائح:

﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (لقمان، ١٩)

تضع هذه الآية الكريمة معايير التأدب واللباقة في حال المؤمنين وحركتهم. وتبين أن تصرفات المؤمن التي تبدو بسيطة للغاية وبلا أهمية، ستأتي يوم القيامة -حيث يقتص الناس كل من الآخر - وقد اكتسبت تلك الأهمية.

وقد وردت آيتانِ - ستُذكران فيما بعد- لم تحتويا أي منهما على أي نصائح للقمان الحكيم على الرغم من وجودهما بين الآيات التي تتحدث عن تلك النصائح، وكان لوجودهما دور في توجيهنا أيضًا. وتذكر إحدى الروايات أن هاتين الآيتين قد نزلتا في حق سعد بن أبى وقاص وأمه. فيُرْوَى أن سعد بن أبي وقاص كان ولدًا طائعًا لأمه، ولكنه لما اعتنق الإسلام، قالت له:

- "يا سعد! ماذا فعلت؟ أقسمت لإن لم تترك هذا الدين الجديد، فلن آكل أو أشرب حتى أموت، وستظل بسبب ذلك تُعَيَّر بأنك "قاتل أمه "....." فقال لها سعد:

- "لا تفعلي هذا يا أمي، فأنا لن أترك هذا الدين من أجل أي شيء!" فلما قال ذلك صامت أمه عن الأكل يومين وليلتين حتى هزل جسمها وضعفت قوتها. فلما رأى سيدنا سعد منها هذا، قال لها:

- "أمي الحبيبة! لتعلمي أنه لو كان لك مائة روح وخرجت واحدة تلو الأخرى، فلن أترك هذا الدين لأى سبب! فإن أردتي فكلي واشربي!"

فرجعت أمه إلى حالها وبدأت تتناول الطعام، وهاتان الآيتان هما:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرُ﴾ (لقمان، ١٤)

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (لقمان، ١٥)

(انظر: مسلم، فضائل الصحابة، ٤٣ - ٤٤، ابن الأثير، أُسد الغابة، المجلد الثاني، ص. ٣٦٨).

وقد تحدث لقمان الحكيم في إحدى نصائحه، وقال:

لقد خدمت عددًا من الأنبياء، وقد استخلصت من حديثهم كله ثماني كلمات. من ملك هذه الخصال الثمانية فقد نجا.

١ - احفظ قلبك في الصلاة.

٢ - احفظ لسانك في مجالس الناس.

٣ - وإن كنت على الطعام فاحفظ يدك.

٤ - احفظ نظرك في بيت الغير.

٥ - اذكر الله دائمًا، فلا يغيب عن ذاكرتك.

٦ - تذكر الموت دائمًا، فلا تنساه.

٧ - انس خيرًا فعلته للآخرين.

٨ - انس شرًّا فعله الآخرون لك...

وها هي هذه بعض من نصائح لقمان الحكيم أيضًا التي وردت في بعض الكتب القيمة:

يا بني! لتكن التقوى رأس مالك في الآخرة! لأن التقوى تجارة لا تؤتى بالمال والمُلك.

يا بني! اتبع الجنائز! لأنها تذكرك بالآخرة. أما الحرام والذنوب فهي تزيد ميلك إلى الدنيا.

يا بني! إن الرجل الكاذب يذهب نوره! ويزداد غم وحزن سيئ الطباع.

يا بني! لا ترسل رسولك جاهلاً،. فإن لم تجد حكيمًا فكن رسول نفسك!

يا بني! إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ﷻ وحشوها الإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله ﷻ فإن نجوت فبرحمة من الله، وإن غرقت فبذنوبك.

يا بني! لا يكن الديك أكيس منك، ينادي بالأسحار وأنت نائم.

يا بني! تخير الصديق، فإن غبت عنه لا تذكر منه شيئا ولا يذكر عنك شيئا.

يا بني! احفظ صديقك! حافظ على زيارة أقاربك.

يا بني! ثلاثة لا يُعرفون إلا بثلاثة الشجاعة عند الحرب الحلم عند الغضب أخوك عند حاجتك إليه.



أسئلة للتقييم

أ- أجب عن الأسئلة الآتية

١ - إلى أي قوم أُرسل ذو الكفل عليه السلام؟

٢ - تُرى ما السبب في إرسال عدد كبير من الأنبياء إلى بني إسرائيل؟

٣ - لماذا لُقّب ذو الكفل عليه السلام "ذو الكفل"؟

٤ - أي من نصائح لقمان عليه السلام لابنه كانت أكثر تأثيرًا لديكم؟ ولماذا؟

٥ - ما الأحوال التي لا يطيع الابن أبويه فيها؟ وضح ذلك في ضوء الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة؟

٦ - اذكر خمسًا من نصائح لقمان الحكيم الثمانية؟

٧ - وضح السبب الذي من أجله أتى لقمان الحكيم باللسان والقلب لما طُلب منه إحضار أفضل وأخبث ما في الحيوان المذبوح؟

٨ - تحدث عن ماهية الصبر الذي يريده الله عز وجل من عباده وما المكافأة التي أعدها الله لهم لقاء ذلك؟

ب- أكمل مكان النقاط فيما يلي

١ - ذو الكفل - عليه السلام - هو ابن .... عليه السلام.

٢ - اسم ذو الكفل عليه السلام الحقيقي هو ....

٣ - حكم ذو الكفل - عليه السلام - بشريعة .... عليه السلام.

٤ - ....، هي إدراك حقيقة الشيء وسره بفضل تجلي النور الإلهي في القلب.

٥ - قال لقمان عليه السلام لابنه: "يا بني! اجعل .... رأس مالك في الآخرة".

ج- ضع إشارةً علي الإجابات الصحيحة للأسئلة الآتية

١ - **بحث اليسع عليه السلام عن بعض الصفات التي يجب توافرها في الشخص الذي سيترك له ماله وسلطانه. أي مما يلي ليس واحدًا من تلك الصفات؟**

أ - يقضي الليل في الصلاة.

ب - يقضي النهار صائمًا.

ج - أن يعوض كل من يتعرض للظلم في ماله.

د - أن تتوافر فيه صفة الحلم وهو يحكم بين الناس.

٢ - **أي مما يلي ليس واحدًا من الأسباب التي من أجلها أُطلق على ذي الكفل عليه السلام لقب "ذو الكفل"؟**

أ - أنه حاز فضائل حميدة في الدنيا ومنزلة عالية في الآخرة.

ب - أنه حمل على عاتقه مسئولية إبلاغ بني إسرائيل أوامر الدين.

ج - أنه حاز ثراءً دنيويًّا عظيمًا في وقت قصير لأنه قدر له ذلك.

د - أنه كان يقوم بكل الأعمال الصالحة، فاستحق ثوابًا مُضاعفًا.

٣ - **أي مما يلي هو من أسباب تولي ذو الكفل عليه السلام مهمة الرسالة؟**

أ - أنه طلب أن يُبعث مع الأنبياء، ويكون أول من يدخل الجنة.

ب - أنه رأى أن تبليغ دين الله للناس هو مسئوليته هو.

ج - أنه طلب من الناس أن يجلونه ويحترمونه.

د - أنه اعتقد لن يواجه أي صعوبة وهو يدعو الناس إلى طريق الرشاد.

٤ - **أي مما يلي ليس من النصائح التي أسداها لقمان عليه السلام لابنه والتي تدور عن كيفية حماية الشخص لنفسه؟**

أ - أن يحفظ بصره في منزل الغير.

ب - أن يحفظ ماله في الأسواق.

ج - أن يحفظ يده على الطعام.

د - أن يحفظ لسانه بين الناس.

٥ - أي مما يلي ليس واحدًا من النصائح التي أسداها لقمان عليه السلام لابنه وتتعلق بالتذكر والنسيان؟

أ - أن يذكر الله دائمًا فلا يغيب عن ذاكرته.

ب - أن ينسَى الخير الذي فعله للآخرين.

ج - أن يتذكر الموت دائماً ولا ينساه.

د - ألا ينسَى ما اقترفه الناس في حقه من شرور.

٦ - في رأي لقمان عليه السلام أن هناك ثلاثة أشياء لا تظهر إلا في ثلاثة مواضع. أي مما يلي ليس واحدًا من هذه الأشياء الثلاثة؟

أ - الحلم وقت الغضب.

ب - الشجاعة في ميدان المعركة.

ج - التعقل وقت البيع والشراء.

د - الأخوة وقت الضيق.

٧ - أي مما يلي ليس واحدًا من سمات أي شخص حاز الحكمة؟

أ - أنه يصل إلى الكمال الروحي بعد تحصيل العلوم النظرية.

ب - أن وجهة نظره دائمًا ما تلقى القبول في المناظرات الدينية.

ج - أنه يزكي نفسه، ويتجلى النور الإلهي في قلبه.

د - أنه يتحدث بالصدق في علاقاته مع الناس، ويصيب في سلوكه.

٨ - أي مما يلي ليس واحدًا من الأمور التي فعلها لقمان عليه السلام حتى ينال كل ما لديه من فضائل؟

أ - يفي بالعهد.

ب - لا يتدخل فيما لا يعنيه.

ج - أنه أصلح عيوبه وأخطاءه.

د - أنه يؤدي الأمانة، ويصدق في حديثة.

٩ - "كان رسول الله ﷺ إذا صلّى سُمع لصدره أزيزٌ كأزيز المرجل (غليان القدر)" (أبو داود، الصلاة، ١٥٧؛ النسائي، السهو، ١٨). **في ضوء الحديث الشريف أي مما يلي ليس نتيجة يمكن استنباطها فيما يتعلق بصلاة النبي؟**

أ - أنه كان ينقطع عمن حوله إذا قام للصلاة ويخشع في صلاته.

ب - أنه كان يستغرق في التفكر في المدة بين الآذان وإقامة الصلاة.

ج - أن قلبه كان يرتعد أثناء الصلاة من خشوعه ورقته.

د - كان يترنح وهو يصلي، ويسلم مع من جواره.

١٠ - أي مما يلي ليس واحدًا من السلوكيات المُحرمة في هذه الآية الكريمة؟

أ - التعالي على من هم أقل في مستوى التعليم والوضع المالي.

ب - التفاخر بما فعل، والاعتقاد أن الشخص الآخر ليس باستطاعته أن يفعل أكثر مما فعل هو.

ج - ألاَّ يشعر بالذلة والمسكنة عند الملحدين، وهو يعلم أن إيمانه هو لطف ورحمة به من الله تعالى.

د - أن يعتقد أن علمه وعبادته قد صعدت به إلى منزلة أسمى من أي شخص.

١١ - "يا بني! إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيه تقوى الله ﷻ وحشوها الإيمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله ﷻ فإن نجوت فبرحمة من الله، وإن غرقت فبذنوبك". أي مما يلي لا يمكن استنباطه نتيجةً من كلمة لقمان عليه السلام تلك؟

أ - أن الخوف من الله واللجوء إليه يُنجي الإنسان من الغرق في دوامات المعصية.

ب - يجب على الإنسان أن يتوكل على الله قبل الشروع في أي عمل، وأن ينتظر تجلي التقدير الإلهي.

ج - يجب على كل إنسان أن يدرك أن كل نجاح يصل إليه الإنسان هو لطف من عند الله؛ اما الإخفاق، فهو نتيجة نقص أو خلل عنده هو.

د - أن الإيمان هو الشيء الوحيد الذي يمكن للإنسان أن يصطحبه معه من الدنيا إلى الآخرة، وهو يقوى بالأخلاق الحميدة وصالح الأعمال.





حضرة زكريا

عليه السلام

و

حضرة يحي

عليه السلام

و

حضرة عيسى

عليه السلام

النبيُّ الذي ظُلم وشُقّ بالمنشار

حضرة سيدنا زكريا

عليه السلام

و

الذي لقي الشهادة مثل أبيه

حضرة سيدنا يحيى

عليه السلام

و

الذل يبرئ المرضى ويحي الموتى بِإذن الله عز وجل

حضرة سيدنا عيسى

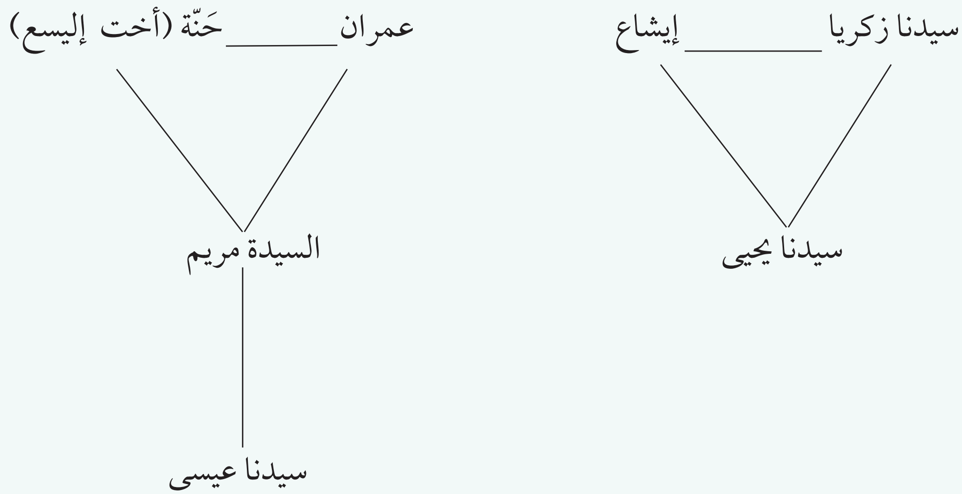
عليه السلام

يوجد قاسم مشترك بين هؤلاء الأنبياء الثلاثة من حيث كم وكثرة المعاناة و الألم الذي تعرضوا له، و جهادهم لنشر عقيدة التوحيد.

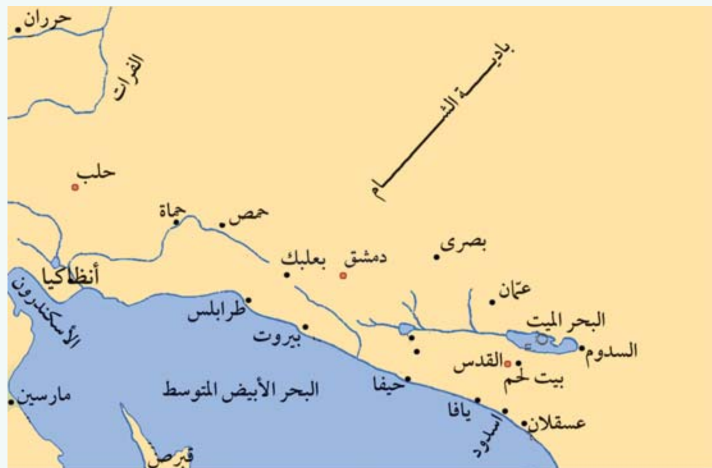
بذل هؤلاء الأنبياء جهوداً عظيمة حتى يُعيدوا اليهود العصاة الذين طغوا كثيراً بعد موسى عليه السلام، إلى طريق الرشاد مرة أخرى، غير أنهم لاقوا أذى كبيرًا و احتقارًا مستمرًا من عدد كبير ممن لم يؤمنوا، و قضوا حياتهم يعانون آلاف المحن و الآلام.

فقتل زكريا و يحيى بلا رحمة و شربوا شراباً حلواً ابتهاجاً بموتهم، أما عيسى عليه السلام فكان هو الآخر على وشك القتل، لولا أن رفعه الله تعالى إلى السماء.

وإلى جانب التشابه بين هؤلاء الأنبياء الثلاثة من ناحية ما تعرضوا له من محن أثناء تأديتهم أعباء الرسالة، فهناك وجه آخر للتشابه هو وجود صلة قرابة بينهم، يمكن توضيحها بالشكل التالي:



زكريا عليه السلام:





من أنبياء بني إسرائيل، يمتد نسبه حتى سليمان عليه السلام، كان يدون نسخ التوراة الموجودة في بيت المقدس بالقدس و كان يدير عبادة نحر القرابين لله تعالى، و كان يحكم وفق شريعة موسى عليه السلام، و يعمل على نشر الدين.

كان زكريا عليه السلام يعمل بالنجارة و يتكسب من عمل يده، مات شهيداً بعد أن قتله قومه، و يوجد قبره الآن في مدينة حلب قُرب الحدود التركية وهي ثاني المدن السورية.

كانت الشام و القدس في عصر زكريا عليه السلام تحت حكم

البطالمة، و كانوا يجلون بيت المقدس، و يعاملون بني إسرائيل معاملة حسنةً، و كان عظماء هؤلاء القوم لا يخرجون من المعبد على الإطلاق، و كانوا يتعبدون في بيت المقدس.

و لم يكن بين بني إسرائيل في ذلك الوقت نبي؛ فدعوا الله تعالى كي يرسل لهم نبياً؛ فاستجاب الله تعالى لهم و أرسل زكريا عليه السلام نبياً، و كان في بيت المقدس أربعمئة " عابد حر " يعبد الله، وكان كل شخص من بني إسرائيل تحمل امرأته، يدعو ربه و يقول:

- " ربي! إذا وضعت غلاماً، فسأكرسه لعبادتك في بيت المقدس."،

رغبة منه في أن ترتفع منزلته و يعلو قدره عند الله تعالى، و بهذا الشكل كان يُدفع بالأطفال الذكور إلى بيت المقدس. و يرجع هذا التقليد إلى عهد موسى عليه السلام.

قال الله جلَّ جلاله مخاطباً سيدنا موسى:

" يا موسى! إني أحب عبدي الذي يُفْني عمره كلَّه من شبابه إلى شيخوخته في عبادتي؛ فإن لم يرتكب ذلك العبد إثماً في شبابه، و تعلق قلبه بي وحدي، نال محبتي."



تزوج زكريا عليه السلام من إيشاع، و هي من نسل سليمان عليه السلام، و ايشاع هي أخت حنّة أم مريم، أما زوج حنّة فكان عمران.

رُزق سيدنا زكريا من إيشاع بيحيى عليه السلام.

عاش زكريا عليه السلام نبياً صادقاً صالحاً، و استشهد، بعد أن قتله اليهود بشكل بشع. وسيرد بعد ذلك بالتفصيل.

يحيى عليه السلام:

يحيى عليه السلام و السيدة مريم أبناء خاله، تعلم يحيى عليه السلام التوراة و هو مازال حديث السن، و كلفه الله تعالى بالنبوة و هو في سن الرشد.

تتحدث لآية الكريمة التالية إنعام الله تعالى علي سيدنا زكريا بيحيى عليه السلام:

﴿هنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء﴾ (آل عمران، ٣٨)

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً. وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً﴾

(مريم، ٤ – ٦)

فاستجاب الله تعالى لدعاء زكريا عليه السلام الذي أخلص الدعاء:

﴿فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران، ٣٩)

﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً﴾ (مريم، ٧). (أي أننا لم نطلق هذا الاسم علي أي شخص من قبل).

إن قول الله تعالي لزكريا " لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً"، هو رفع من مكانة يحيى و تكريم له؛ لأن الله تعالى نفسه هو الذي أنعم على زكريا بهذا الاسم الذي لم يطلق على أحد من قبل، و تضم هذه الكلمة أيضاً فضائل استثنائية أخرى من الله تعالي من بها على يحيى عليه السلام؛ فكلمة يحيى تعنى " الحي" فمجئ ولد من زوجين كبيرين في السن، هو بمثابة البعث من الموت:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (آل عمران، ٤٠)

﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً﴾ (مريم، ٩)

و كان مؤشر قبول استجابة الله تعالى لزكريا عليه السلام، أنه ظل مدة ثلاثة أيام لا يتكلم مع الناس إلا رمزاً، و أنه صار يعبد الله بلا توقف.

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (آل عمران، ٤١)

ظل زكريا عليه السلام لا يتحدث إلى الناس مدة ثلاثة أيام، و كان يتفاهم معهم بالرمز و الكتابة علي الأرض:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾ (مريم، ١١)

و يقول الله تعالى في سورة الأنبياء:

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء، ٩٠)

و لما بلغ يحيى عليه السلام سن الرشد، علمه الله تعالى أحكام التوراة و أمره بالعمل بها:

﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً. وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً. وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً﴾ (مريم، ٢١ – ٤١)

ظل سيدنا يحيى عليه السلام و كان قد حمل أعباء النبوة يعمل بشريعة موسى عليه السلام، و استمر الأمر كذلك إلى أن جاء عيسى عليه السلام بالإنجيل.

و كانت شريعة موسى عليه السلام تحرم أن يتزوج الأخ بأخته، و كان جزاء من يفعل ذلك أن يجعلوه عقيماً. (الألواح، ١٨/ ٦-١٨; ٢٠/ ١٩-٢١). و في الوقت الذي كانوا يحكمون فيه وفقا لما جاء بالتوراة بالموت على من يزني بامرأة غريبة، نجد أن العقوبة مختلفة تماماً بالنسبة لمن يزني بمن حُرّم عليه الزواج بها. (التثنية، ٢٢/ ٢٢-٢٧; أصحاب لاوي، ٢٠/ ١١، ١٢، ١٤، ١٧) من أجل هذا رُوي أن الحادثة الآتية هي التي أدت إلى استشهاد يحيى عليه السلام:

أنه في عهد نبوة يحيى عليه السلام زنى الملك هيروديس بزوجة أخيه، و عندما اعترض يحيى عليه السلام قائلاً إن هذا يخالف القوانين الإلهية، أودعه الملك السجن، و بعد ذلك شاركت المرأة التي زنى بها مع ابنتها في حفل أقامه الملك بمناسبة عيد ميلاده، فتنت الفتاة الملك بعروضها أثناء الحفل؛ فأصدر الملك قراراً بأن يتم تلبية أية رغبة تريدها تلك الفتاة؛ فطلبت البنت التي غررت بها أمها وخدعتها، طلبت رأس يحيى عليه السلام، حزن الملك كثيراً لطلبها هذا، و لكنه وجد نفسه مضطراً إلى تنفيذ رغبتها، فقام بقطع رأس سيدنا يحيى، ففارق الحياة شهيداً، و تزوجت هذه الطفلة بعد ذلك بهيروديس و خسف الله بهما الأرض. (لوقا ٣/ ١٩-٢٠; متّى ١٤/ ١-١٢).

و تزامن رفع سيدنا عيسى إلى السماء مع هذا الوقت؛ لأن يهود ذلك الزمان كانوا قد استعروا و أخذوا يقتلون أنبياءهم، و قد لعنهم الله تعالى جزاء ما اقترفوا من جرائم مشابهة مع أنبيائهم:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (النساء،١٥٥)



بلغ يحيى عليه السلام في الوقت الذي استشهد فيه ثلاثين عاماً ونيف، و تبين الآية الكريمة الآتية أنه نال رحمة الله تعالى و رعايته في ثلاثة أيام عصيبة في حياته:

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾ (مريم، ٥١)

يقول الإمام البيضاوي في معرض تفسيره لهذه الآية: إن الله تعالى قد أنجاه بذلك من الشيطان الذي سلط على البشر، فبذلك لا يضره في الدنيا، و يسلم من عذاب القبر و لا يخاف من الحساب و لا يرى عذاب جهنم.

عيسى عليه السلام:

جاء عيسى عليه السلام إلى الدنيا مشرفاً بيت المقدس بعد ميلاد يحيى عليه السلام بستة أشهر، و هو آخر الأنبياء الذين أرسلهم الله تعالى إلى بني إسرائيل.

و عيسى عليه السلام هو صاحب أعلى درجة بين الأنبياء، و رابع أولو العزم من الرسل و عددهم خمسة، أما سبب تسميته بـ" بروح الله " فهي تشريف له من ناحية، و من ناحية أخرى؛ لأن الله تعالى خلقه كما خلق آدم عليه السلام عندما نفخ فيه من روحه.

حمل عيسى عليه السلام أعباء النبوة و هو ابن الثلاثين، و أنزل الله تعالى عليه الإنجيل، و عندما بلغ سن الثالثة و الثلاثين رفعه الله تعالى إلى السماء حياً.



أم عيسى، هي السيدة مريم التي يمتد نسبها حتى داود عليه السلام، و أم السيدة مريم هي حَنّة و أبوها هو عمران.

و تذكر المصادر أن حَنّة لم تُرزق بأطفال، لهذا السبب دعت الله تعالى قائلة:

"ربي! لو صار لي ولد، سأجعله خادماً في بيت المقدس!".

و بعد تضرعها إلى الله اكتشفت حملها، يقول الله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (آل عمران، ٣٥)

و بعد فترة من الزمن وضعت حَنّة طفلة، و سمتها مريم:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران، ٣٦)

و كان الأطفال الذكور يُنذرون لبيت المقدس حتى ذلك الوقت و كان يُعد هذا ثواباً عظيماً، و كان هؤلاء الأطفال الذكور يستمرون في الخدمة هناك منذ الميلاد و حتى البلوغ. و بعد ذلك يمكنهم البقاء في بيت المقدس و الاستمرار في الخدمة هناك إن أرادوا ذلك، أو الذهاب إلى أي مكان آخر يرغبون الذهاب إليه، و لا يجوز أن ينفصل الطفل عن بيت المقدس قبل البلوغ. وكان الناس ينذرون الأطفال الذكور فقط؛ لقد لجأت حنّة إلى ربها، فوهبها الله تعالى طفلة بعد أن نذرت، فجاز بعد ذلك أن يُنذر بأطفال بنات.

سلّمت حنّة ابنتها مريم إلى الموظفين في بيت المقدس؛ فاقترعوا لاختيار من يكفلها و يحميها، يقول الله تعالى:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران، ٤٤)

فخرجت القرعة التي اقترعوها على زوج أخت حنّة زكريا عليه السلام، فقال زكريا عليه السلام أنا زوج خالتها، و تكفل بكل احتياجاتها.

وعندما أتمت مريم الرضاعة، خُصص لها غرفة في بيت المقدس، و قد أُطلق على هذه الغرفة كما ورد في الآية الكريمة اسم " المحراب "، و هو مكان مخصص للعبادة، أي يعادل في معناه " المعبد ".

و لم يكن أحد يدخل عليها المحراب سوى زكريا عليه السلام، و استمر هذا الحال حتى بلغت سن الثانية عشر، و كان زكريا عليه السلام في كل مرة يدخل إليها يستخدم المفتاح ليفتح الباب ثم يدخل، و في الخروج كان يعاود غلق الباب بالمفتاح، و كان يترك لها كل يوم ما يكفيها من الطعام ليوم واحد، و لكنه كان يتعجب عندما يرى أنواعا مختلفة أخرى من الفواكه، و لما سألها عن مصدر هذه الفواكه، كانت تقول له إن الله جل جلاله قد أرسلها إليها، و كان من بين تلك الأطعمة فواكه صيفية و أخرى شتوية، يقول الله تعالى:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران، ٣٧)



و فيما يلي عرض لصور كرم الله تعالى العظيم للسيدة مريم:

* علي الرغم من أن الأطفال الذكور هم فقط الذين كانوا يُنذرون للخدمة في بيت المقدس حتى عصر السيدة مريم، فإن الله تعالى تقبل مريم بدعاء أمها حنّة.

* أنها تربت في كفالة زوج خالتها زكريا عليه السلام.

* أن الله ﷻ أحسن إليها بنعم من الجنة و هي ما زالت في الدنيا.

* أن الله تعالى أكرمها بلقاء جبريل عليه السلام.

* أن الله تعالي حماها و ابنها سيدنا عيسى من شر الشيطان.

* أن ابنها تكلم و هو ما يزال في المهد، و رد عن أمه ما افتروا عليها به.

قال رسول الله ﷺ:

"خير نسائها مريم بنت عمران، وخير نسائها خديجة بنت خويلد" (مسلم، فضائل الصحابة، ٩٦)

(أي أن مريم بنت عمران هي خير النساء في زمانها و خديجة بنت خويلد هي خير نساء هذه الأمة).

كانت السيدة مريم تواظب على العبادة ليل نهار؛ فعرفت بتقواها بين بني إسرائيل؛ فكانت من عباد الله الذين اصطفاهم و أعطاهم من الكرامات، و امتدحها الله تعالى في القرآن الكريم بـ" الصِدّيقة " أي التي وصلت إلى درجة عالية للغاية في العبودية لله و التعلق به. يقول الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران، ٤٢-٤٣)

لقد امتثلت السيدة مريم لأوامر ربها، فأصبحت تقية لدرجة أنها كانت تصلي حتى تتورم قدماها.

الذي أَوجد من العدم، يخلق دون أب!

وعندما بلغت السيدة مريم سن الخامسة عشرة، خُطبت إلى شخص يسمى يوسف النجار، و لكن الله تعالى بشرها قبل أن تتزوج بأنه سيهبها طفلاً دون الحاجة لوجود أب:

﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّٰهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ[1] عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ (آل عمران، ٤٥)

و استطردت الملائكة حديثها مع مريم قائلة:

---

١ - المسيح: هي كلمة عبرية و تعني " المُبارك ". و هي لقب سيدنا عيسى؛ فقد أُطلق لقب " المسيح " عليه لبيان شرفه و رفعة فضيلته.

﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران، ٤٦)

و بناءً على ذلك:

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران، ٤٧)

و استمرت الملائكة تحدث السيدة مريم عن عيسى عليه السلام:

﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾ (آل عمران، ٤٨)

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾ (مريم، ١٦)

و لم يمر وقت كثير حتى أرسل الله تعالى سيدنا جبريل إلى مريم:

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً﴾ (مريم، ١٧)

لكن السيدة مريم شعرت بالخوف لما رأت أمامها شخصاً غريباً؛ لأنها لم تكن تعلم أنه هو سيدنا جبريل:

﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً. قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً. قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً. قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً﴾ (مريم، ١٨-٢١)

و بالشكل الذي أراده الحق تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً﴾ (مريم، ٢٢)

بدأت آلام الولادة تتزايد على السيدة مريم، و كانت قد جاءت إلى جوار نخلة جف تمرها، و تشبثت بها، يقول الله تعالى:

﴿ فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً﴾ (مريم، ٢٣)

و في النهاية جاء إلى الدنيا عيسى عليه السلام تحت النخلة، و قد خلقه الله تعالى دون أب.

لقد خلق الله تعالى بقدرته التي لا تحدها حدود آدم عليه السلام من تراب دون أب و لا أم، و خلق والدتنا حواء من سيدنا آدم بلا أم، و خلق عيسى عليه السلام من السيدة مريم بلا أب.

وهناك نوع من التشابه بين ميلاد سيدنا عيسى و خلق آدم عليه السلام، كما أن كلاً منهما خُلق بالأمر الإلهي " كُنْ ":

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران، ٥٩)

وهذه الآية الكريمة دليل على قدرة الله تعالى التي لا حدود لها، كما أنها دليل على عفة السيدة مريم أمام الإفتراءات التي سيلقى بها القوم الذين ستتملكهم الدهشة في البداية.

و لم تذكر أي من المصادر تاريخاً محدداً يتعلق بتاريخ ميلاد عيسى عليه السلام، و لا يحتوي أي إنجيل على معلومة في هذا الخصوص، و إن كان هناك إنجيل واحد يذكر أن عيسى عليه السلام قد ولد في زمن ملك يهودي؛ (متّي، ٢/ ١) غير أن المصادر الرومانية تشير إلى أن هذا الملك قد توفي قبل الميلاد، و لهذا السبب جاءت المعلومات الواردة في هذا الموضوع متناقضة، و إذا كان الأمر كذلك، إذًا فالاحتفال بعيد الميلاد لا يستند إلا على التخمينات التاريخية.

لهذا السبب نجد أن الكاثوليك يحتفلون في يومي ٢٤ -٢٥ من شهر ديسمبر (كانون الأول)، في حين تحتفل الكنائس الأرمينية في ٦ يناير (كانون الثاني). أما البروتستانت فلا يحتفلون من الأساس زاعمين أن هذا التاريخ لم يذكر بشكل قاطع في النصوص المقدسة.





و بعد أن وضعت مريم عيسى عليه السلام:

﴿فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً﴾

(مريم، ٢٤)

و استمر الصوت الذي خاطب السيدة مريم في التحدث قائلاً:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾

(مريم، ٢٥)

جذبت السيدة مريم جذع النخلة إليها و هزته، و علي الرغم أن ذلك كان في موسم الشتاء فإن النخلة أخذت تُساقط عليها البلح الرطب؛ فأخذت تأكل من البلح الذي سقط أمامها و تشرب الماء، و قد سري عن السيدة مريم ما أدرته النخلة من بلح على الرغم من أن ذلك كان في موسم الشتاء، و قيل لها:

﴿فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً﴾ (مريم، ٢٦)

يُفهم من ذلك أن الفترة التي عاشتها السيدة مريم صائمة لا تأكل و لا تشرب، كانت تُمسك أيضاً عن التحدث مع الناس، أو أنها كانت تعرض الحديث فترة صيامها عن الطعام.

بدأت الإشاعات و الإفتراءات تنتشر بدءً من ميلاد عيسى عليه السلام:

﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً. يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً﴾ (مريم، ٢٧-٢٨)

و هارون المذكور في الآية الكريمة ليس هو سيدنا هارون أخو موسى عليه السلام؛ فتذكر أقرب الروايات إلى الصحة أنه الأخ الحقيقي للسيدة مريم؛ لأنهم كانوا يعطون أسماء أناس صالحين لأولادهم. (انظر. مسلم، الأدب ٩) و كان عفيفاً صالحاً مثل أبويها، من أجل هذا أعلن القوم أنه لا يليق بأخت رجل كهارون أن تزني وفق ادعائهم.

ظل بنو إسرائيل يحتقرون مريم، أما هي فكانت تستمع إلي ما يقولونه بصبر، و كانت لا تتحدث إليهم قط كما أُمرت أن تفعل، و لكن عندما زادت سلوكياتهم الخرقاء سوءاً، جاءها الأمر من الله تعالى.

﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً﴾ (مريم، ٢٩)

أعطى الله ﷻ عيسى الذي سيصير رسولاً لله في المستقبل القدرة على التحدث فنطق و هو مازال في المهد قال:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً. وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَمَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً. وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً. وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً﴾

(مريم، ٣٠-٣١)

وقف الجميع مشدوهين لما رأوا من أمر حديث سيدنا عيسى و هو ما زال في المهد. فبرأت السيدة مريم في أعين الناس من العيب و الآثام، و جاء إليها الناس يباركون لها.

و كانت السيدة مريم تشير إلى طفلها في كل مرة تُسأل فيها " من أين جئتِ بهذا الطفل؟ "، و تقول " ليجب الطفل عن هذا! "، أما سيدنا عيسى فكان يقول و هو ما يزال طفلاً رضيعاً:

- " أمي امرأة ذات شرف وعفة! أيها الجهلة لا تعيبوا علي أمي و هي مثال للعفة و الحياء! اعلموا أن الله تعالى، قد جاء بي إلى الدنيا بلا أب، و هذه معجزة إلهية!"

فقال عدد كبير من الناس على إثر ذلك:

- " إن هذا لمعجزة من عند الله، فليس في استطاعة طفل حديث الولادة أن يتكلم في مهده، إن هذا الأمر من عند الله; إن هذه حادثة تدل على عظمة الحق تعالى."

و علي الرغم من هذا، ظل بعضهم يكذب و يدعي عليهم الخيانة، يقول الله تعالى:

﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ (مريم، ٣٤)

إن قول عيسى عليه السلام في الآية الكريمة إن هذا هو الحق، هو أثر للأمر الإلهي " كُنْ"، و تتحدث آية أخرى عن تلك الحقيقة على النحو التالي:

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء، ١٩)

لقد دحض تحدث سيدنا عيسى و هو ما يزال طفلاً رضيعاً عدداً كبيراً من الإفتراءات، و لكن ما لبثت الفتن و الإفتراءات أن بدأت من جديد بعد مدة قصيرة؛

فقال القوم الغافلون: -" و هل كان طفل دون أب؟!"

ثم قالوا أيضاً: - " إن كان الزنا قد وقع فلا أحد فعل ذلك غير زكريا!" و جاؤا إلى زكريا و كان وحيداً في بيت المقدس، و هجموا عليه قائلين:

- " أنت من زنى بمريم!"

فاختفى زكريا عليه السلام في نُقرة بشجرة اتقاء لشرهم؛ فجاءهم الشيطان في صورة بشرية و دل القوم الذين يبحثون عن زكريا عليه السلام على الشجرة التي يختبئ فيها، و قال لهم:

- " اقسموا هذه الشجرة بالمنشار إلى نصفين! إنكم لن تخسروا شيئاً؛ إن زكريا بداخلها"

بدأ التعساء يقطعون في الشجرة، و كاد النبي المظلوم زكريا عليه السلام يتأوه قائلاً "آه!" عندما بدؤا يقسمون رأسه بالمنشار، و لكنه سمع نداءً يقول له: - "يا زكريا! لا تشكو!"

توكل زكريا عليه السلام و صبر صبراً عظيماً، فاستشهد دون أن يقول " آه" واحدة و هم يقسمونه بالمنشار إلى جزءين؛ فرفعه الله تعالى مراتب عليا.

و قد حمى الله تعالى السيدة مريم و ابنها عيسى عليهما السلام، من أذى اليهود الذين قتلوا زكريا عليه السلام:

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ (المؤمنون، ٥٠)

ويروى أن هذا المكان كان مصر، و ظلت السيدة مريم و سيدنا عيسى هناك اثنتي عشرة سنة، وقعت خلال تلك الفترة أحداث خارقة للعادة:

كانت السيدة مريم و عيسى عليهما السلام يقيمان في بيت يسكنه مُعدمين، و في يوم من الأيام فقد صاحب البيت الذي يقيمون فيه مقداراً من المال، و لم يستطع تحديد الشخص الذي أخذ هذا المال، و ظل يتهم كل شخص بأنه هو من سرق المال، حزنت السيدة مريم كثيراً من هذا الموقف، و كان من بين الذين يقيمون هناك سيدة عمياء و أخرى مُقعدة؛ فلما رأى سيدنا عيسى أن أمه قد حزنت لذلك، تحدث إلى هاتين السيدتين، و قال:

- " أخرجا المال من المكان الذي أخفيتماهُ فيه!"

فاضطرا مع هذه المعجزة الواضحة أن يعيدا المال الذي أخذاه؛ فارتفع قدر سيدنا عيسى عليه السلام بين الناس بعد هذه الواقعة.

نبوة سيدنا عيسى

عاد سيدنا عيسى إلى القدس مرة أخرى بعد اثنتي عشرة سنة قضاها في مصر، و استقر في مدينة الناصرة، و لأجل هذا أُطلق اسم " نصراني " على المسيحيين نسبة إلى هذه المدينة.

حصل سيدنا عيسى على النبوة و هو في سن الثلاثين، و بدأ على الفور يدعو الناس إلى عقيدة التوحيد.

يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

(الحديد، ٢٦)

يُفهم من ذلك أن الكتب الأربعة العظيمة الواردة في الآية الكريمة، قد نزلت على الأنبياء الذين انحدروا من نوح و إبراهيم عليهما السلام:

﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (الحديد، ٢٧)

الرهبانية: هي فهم و نمط حياة ظهر بعد ذلك في المسيحية؛ تذكر الروايات أن المستبدين المنكرين حاولوا بعد عيسى عليه السلام أن يتخلصوا من المؤمنين؛ فاندلعت ثلاثة حروب بين المؤمنين و الكفار تكبد فيها المؤمنون خسائر كبيرة؛ فقرر من بقي سالما بعد نهاية الحرب ألا يحارب خشية أن يُقتل ولم يتبق أحد يدعو للدين الحق، و بدءوا ينشغلون بالعبادة وحدها؛ لهذا السبب أعرض هؤلاء الأشخاص الذين فروا من الفتنة و أخلصوا لله بعيدًا عن الإسراف في الطعام و الزواج و كل متاع الدنيا؛ فانقطعوا للعبادة في الجبال و الكهوف و الحجرات، أما باقي القوم عدا هؤلاء فقد فقدوا هويتهم بمرور الزمن، و أنكروا دين عيسى عليه السلام و دخلوا في دين حكامهم، و ظهرت مع الوقت عقيدة الثالوث المقدس (الأب = الابن = روح القُدُس) بين الذين يؤمنون بتعدد الآلهة، كما أنهم لما شَرُفَت الأرض بقدوم سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، أنكروا نبوته و انساقوا وراء الضلال نفسه.

و كان عيسى عليه السلام مستمراً في تبليغ دين الله، و لكن كثيراً من الناس كانوا يعاندون في كفرهم.

فأراهم عيسى عليه السلام كثيرًا من المعجزات، و أبلغ قومه أنه يُصدق التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام، غير أن الله تعالى قد غيّر بعض الأحكام:

﴿وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ. إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران، ٥٠ - ٥١)

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (الصف، ٦)

و يروى أن عيسى عليه السلام قال كما ورد في الإصحاح ١٤ من إنجيل يوحنا:

"وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ." (يوحنا، ١٤/ ١٦-١٧).

و قال في الجزء السادس عشر أيضاً: "لكني أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم، إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية." (يوحنا ١٦/ ٧-٩، ١٢-١٣).

و تعبر كلمة " مُعَزِّيًا" هنا عن " الحمد "، و يفسر بعض المسيحيين هذه الكلمة كذلك على معنى " المُخَلّص "، و يفسرها البعض الآخر بمعنى " حمّاد " و " حامد " بمعنى الذي يشكر الله كثيراً، و يشير هذا إلى أن كلمة " مُعَزِّيًا " مناسبة من حيث المعنى لكلمتي أحمد و محمود.

و هناك حوار آخر في الفصل التاسع و الثلاثين من إنجيل برنابا يدور عن الموضوع ذاته: حيث يقول الحواريون لسيدنا عيسى " ماذا يعنى اسم المسيح الذي تحدثت عنه؟ و كيف سنعلم بقدومه؟" و سيدنا عيسى يرد عليهم " المسيح هو اسم لرسول، جماله يحير الألباب. و قد أعطاه الله تعالى اسمه هذا لما خلق نوره و رفعه مكانا عالياً في السماء، و بعد ذلك خاطبه الله تعالى قائلاً:

" خلقت لأجلك الجنة و الدنيا و كثيرًا من المخلوقات، أهديهم إليك جميعاً، من يُقدّرك، سيجد مني النعمة؛ و من ينكرك لن يجد مني سوى اللعنة، سأرسلك رسولاً لي إلى الدنيا، ما ستقوله سيكون الحقيقة بعينها، ربما تفنى السموات و الأرض، و لكن إيمانك سيستمر إلى الأبد" و اسمه أحمد.

هنالك ارتفعت أصوات المؤمنين المحيطين بعيسى عليه السلام، و نادوا بتضرع:

يا أحمد! تعالَ إلى الدنيا بسرعة!

كان غضب المنكرين وحقدهم يزداد يوماً بعد يوم على عيسى عليه السلام؛ فتوجه عيسى عليه السلام الذي أدرك ما كان من الكافرين بالسؤال إلى اثني عشر من المؤمنين؛ أي الحواريين الذين اختارهم من بين المؤمنين، و قال:

- " من سيكون عوناً لي في خدمة دين الله تعالى و المحافظة عليه؟"

فرد عليه الحواريون في وقت واحد:

- " نحن نعينك على هذا، سنقدم العون في سبيل الله بكل ما نملك؛ لأن قلوبنا تعلقت بدينه، و اشهد أننا مسلمون حقاً مرتبطين بدينك."

يقول الله تعالى:

﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران، ٥٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ الله كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى الله قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ الله فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ (الصف، ١٤)

و كلمة حواري هي كلمة حبشية الأصل انتقلت إلى اللغة العربية و أصلها " حواريا " و تعني " الذي يعين علي فعل الشئ ".

الحواري هي اسم خاص أُطلق على من سبقوا بالإيمان و علي اثني عشرة مؤمنًا مخلصاً طاهراً ساعدوا عيسى عليه السلام، و أطلق عليهم في القرآن الكريم اسم " أنصار الله "، و الحواريون هم أشخاص اختارهم عيسى عليه السلام للعمل على نشر المسيحية، و كان برنابا الذي دون إنجيل برنابا الشهير أحد هؤلاء الحواريون.

نزول المائدة من السماء

طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن يدعو الله كي يُنَزّل عليهم مائدة من السماء.

﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة، ١١٢)

قال عيسى عليه السلام:

- " و هل تشكون في قدرة الله تعالى؟ كيف تجرؤون على طلب شئ كهذا؟"

قال الحواريون:

- " ليس لدينا هدف آخر من طلبنا هذا؛ لقد طلبنا هذا حتى ننال من لطف الله و حتى تدخل تلك المائدة السرور على قلوبنا!":

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة، ١١٣)

فقام عيسى عليه السلام و اغتسل و توضأ و صلى ركعتين، و دعا الله بخضوع و طمأنينة عظيمة، تضرع إلى الله تعالى أن يكون يوم نزول المائدة عليهم عيداً لهم:

﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (المائدة، ١١٤)

استجاب الله تعالى لدعاء سيدنا عيسى عليه السلام وأنزل مائدةً من السماء، و يُروي أن المائدة التي نُزّلت كانت تحوي سمكاً مشوياً و خلاً و ملحاً. كما حوت إلى جانب الخبز زيتوناً و جبناً ...الخ. و قد زُينت في الوسط بالخضرة.

ذَهَابُ الحواريين و عيسى عليه السلام إلى نوسابين

روي عن سلمان الفارسي أنه قال:

كلف الله عيسى عليه السلام بدعوة حاكم عُرف بظلمه في نصيبين، للإيمان؛ ففكر سيدنا عيسى أن يرسل قبله بعض الحواريين، و قال لهم:

- " من سيذهب؟"

فقال يعقوب:

- " أنا أذهب."

و شاركه في ذلك كل من تمان و شمعون، و رجا شمعون سيدنا عيسى قائلاً:

- " يا رسول الله! ائذن لي أن أذهب أنا أيضاً، و لكن إذا وقعت في ضيق و ناديتك، فلا تحرمنا عونك!"



و خرج الثلاثة، و ظل شمعون خارج المدينة و قال لرفيقيه:

- "سآتي لمساعدتكما لو احتَجتُما لذلك."

فدخل كل من يعقوب و تمان إلى المدينة، و هناك جمعا الناس و دعواهم لعقيدة التوحيد، فرد عليهما الناس دعوتهما، لأنهم كانوا يظنون السوء في السيدة مريم و عيسى عليه السلام، و لم يكتفوا بذلك بل إنهم لعنوهما، و قام القوم بأخذ تمان إلى الحاكم؛ فكسّر الحاكم أيديهما و أرجلهما، و وضعوا عموداً ملتهباً أمام أعينهما ففقدا البصر، ثم ألقوا بهما إلى السجن.

في تلك الأثناء دخل شمعون إلى المدينة متخفياً، و تقرّب إلى الحاكم، فأقام معه صداقة و أصبح ممن يتسامر معهم، و في يوم من الأيام طلب شمعون من الملك أن يلتقي بتمان لأنه يريد أن يسأله عن بعض الأمور، فدخل على تمان و تظاهر كل منهما أنه لا يعرف الآخر.

شمعون:

- ما خطبك أيها الرجل؟

تمان:

- عيسى عليه السلام هو عبد الله و رسوله.

و استمر الحديث بينهما على هذا النحو:

- ما الدليل على صدق ما تقول؟

- إنه يبرئ المرضى من أي مرض يصيبهم.

- هذا يفعله الأطباء، هل لديك دليل آخر؟

- إنه يخبر الناس بما يأكلون و يدخرون في بيوتهم.

- الكهنة يفعلون ذلك، أريد شيئاً آخر.

- يصنع من الطير كهيئة الطير و يجعلها تطير.

- السحرة يفعلون ذلك أيضاً.

- يُحيِي الموتى.

- هذا هو، إن هذا أمر يفوق قدرة البشر، إذًا لنرسل في طلب عيسى، و إذا كان يُحيِي الموتى بالفعل آمنا به.

لقي حديث شمعون استحسان الملك، و على الفور جاؤا لعيسى عليه السلام بالخبر، فتوجه لتوه إلى نوسابين، تصرف شمعون و كأنه لا يعرف عيسى عليه السلام، و قال مخاطباً الحاكم:

- إذا أذنت لنجرب هذه الخصوصية مع تمان.

فجاؤا بتمان، فمسح عيسى عليه السلام على قدميه و ذراعيه فرُدّتا إلى حالها القديم، ثم مسح بيده على عينيه، فشفيت هي الأخرى و رُدّ إليه بصره.

نظر شمعون إلى الحاكم، و قال:

- هذا بالفعل أحد دلائل النبوة، ثم توجه إلى عيسى عليه السلام و سأله:

- قل لي يا عيسى ماذا أكل الموجودون في مجلسنا في بيوتهم ليلة أمس؟ و ماذا يدخرون؟

فرد عليه عيسى عليه السلام و أخبره عن كل ما سأل.

بعد ذلك طلبوا من عيسى عليه السلام أن يصنع لهم من الطين شكلاً كهيئة الخفاش، فصنع لهم ما طلبوا و جعله يطير أمام أعينهم، فطلبوا منه أن يُشفي المرضى، فصار كل مريض عندهم صحيحاً مُعافى، و أخيراً طلبوا منه أن يُحيِي أحد الموتى، و اختاروا أن يكون ذلك الشخص سام بن نوح، فأحياه عيسى عليه السلام بإذن الله تعالى؛ فقالوا مخاطبين سام بن نوح:

- أكنت مُسناً إلى هذا الحد وقت وفاتك؟

فقال لهم:

- لا! ولكني ظننت أن القيامة قد قامت؛ ففزعت لهذا فصار حالي على هذا الشكل.

بعد ذلك صدّق سام بن نوح بنبوة سيدنا عيسى عليه السلام، و توفي مرة أخرى.

آمن الحاكم و جنوده أمام كل ذلك الذي رأوه من المعجزات الواضحة، يُفهم من ذلك أنه لابد للمسلم أن يكون صاحب فراسة و أن يستخدم تلك الفراسة؛ فليس كل الصدق يُقال في كل أرض، بل يُنتظر أوانه، و يُمهد له.

حبيب النجار

أرسل عيسى عليه السلام اثنين من الحواريين إلى أطراف أنطاكية، و هناك قاما بدعوة الناس للإيمان و الرجوع عن عبادة الأوثان، و لكن ملك هؤلاء القوم قام بإلقاء القبض عليهما و إيداعهما السجن؛ لأجل ذلك قام عيسى عليه السلام بإيفاد شمعون و كان رئيس الحواريين إلى هناك.

في البداية تقرّب شمعون من الملك، ثم قام بعد ذلك بدعوة الملك و من حوله إلى التوحيد بأسلوب جميل، بعد أن وطّد علاقته بهم جميعاً، فرضي الملك و من حوله بتلك الدعوة و آمنوا، و لكن القوم أنفسهم لم يكونوا قد آمنوا بعد.

وفي تلك الأثناء كان هناك شخص يسمى حبيب النجار، فجرى هذا الرجل من بيته الموجود في مكان ناء خارج المدينة، و اختلط بالناس، و أخذ يدعو الناس للإيمان معلناً لهم أنه آمن بما يدعو إليه هذان الرسولان، و لكن القوم الغافلين لم يستمعوا إليه، و اشتد غضبهم عليه فقتلوه.

و قد تحدث القرآن الكريم عن تلك الحادثة في قوله تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ. إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ (يس، ١٣ - ١٤)

﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ. قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (يس، ١٥ - ١٦)

﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ. قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ. قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (يس، ١٧ - ١٩)

﴿وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ.اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (يس، ٢٠ - ٢١)

فالتفتوا إليه بسبب نصائحه تلك، و قالوا:

"ويحك، هل أنت أيضاً على دينهم ؟" فقال لهم الرجل:

﴿وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ. إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ. إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (يس، ٢٢ - ١٥)

و لكن هؤلاء العصاة التعساء لم يستمعوا إليه، و أمطروه بالحجارة، فقيل له و روحه تفيض إلى خالقها:

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ. بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ (يس، ٢٦ - ٢٧)

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

تراخى بنو إسرائيل في دين موسى عليه السلام، و اعترضوا على كثير من الأنبياء، و ابتعدوا عن طريق الرشاد، و على الرغم من الأنبياء الذين جاؤا بعد ذلك قد حذروهم، إلا أن هذه الأمة الطاغية لم يتأدبوا معهم، بل وجؤوا إلى الشدة أيضاً، و تمادوا في ظلمهم إلى درجة جعلتهم يقتلون أنبياءهم، فصاروا قتلة الأنبياء.

و بذلك كان بنو إسرائيل في العصر الذي أُرسل فيه عيسى عليه السلام، كانوا في وضع مضطرب انفصلوا فيه عن الحقيقة، فكانوا ينتظرون المُخَلّص، و كانوا يريدون في النبي الذي ينتظرونه أن يكون مجاهدًا، شجاعاً، قوياً؛ لأنه يجب على ذلك النبي أن يخلصهم من الأسر و يجلب لهم منافع عظيمة؛ لأجل ذلك وجدوا أن عيسى عليه السلام الذي أرسل لدعوتهم إلى الهداية رجل رقيق القلب لين العريكة، لذلك لم يؤمنوا به.

وعلي الرغم من كل شئ، صبر عيسى عليه السلام، و عمل على إرساء مفهوم السلم و السلام في الأرض، و بذل الجهد لإصلاح ما بين الناس و المصالحة بينهم، حاول عيسى عليه السلام كذلك أن ينقذ اليهود من طريق الضلال الذي انغمسوا فيه، و لكن اليهود الذين تلطخت أيديهم بدم الأنبياء، رفضوا هذه الدعوة، و كانت النتيجة أنهم قرروا فيما بينهم قتل عيسى عليه السلام، و بدؤا في اضطهاده و من حوله.

و كانت نتيجة ذلك أن يوداس و أسحار و يهوذا و هم من الحواريين قد ارتدوا عن دين عيسى عليه السلام؛ فكان يهوذا من بين اليهود الذين قتلوا سيدنا زكريا و سيدنا يحيى، و كان هو أيضاً من دلهم على مكان عيسى عليه السلام؛ لأجل هذا استحق عذاب الله ، فظهر لليهود كأنه عيسى عليه السلام و صُلب على الصليب، أما عيسى عليه السلام فرُفع إلى السماء.

و هناك وجهة نظر أخرى تتعلق برفع عيسى عليه السلام إلى السماء:

عندما دخل اليهود إلى المنزل الذي يقيم فيه سيدنا عيسى، فَشُبّه إلى اليهود أنه يهوذا و ظنوا أنه هو عيسى عليه السلام، و قتلوا يهوذا بدلاً من روح الله.

يقول الله تعالى:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً. وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً. بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ (النساء، ١٥٦ – ١٥٨)

نَجّى الله عيسى عليه السلام من اليهود، و منعهم قتله، و الثابت أن الله تعالى رفعه إليه، بيد أن هناك روايات مختلفة عن شكل حدوث ذلك وتوقيته، و تؤكد معظم الروايات أن الله تعالى قد رفعه بقدرته مكاناً خاصاً في السموات المعنوية، و سوف يرسله الله تعالى إلى الدنيا مرةً أخرى قبل القيامة، و سيتحول المسيحيون آنذاك إلى عقيدة التوحيد و يعتنقون الإسلام.

يقول الله تعالي:

﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران، ٥٥)

﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران، ٥٥)

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ. وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران، ٥٦-٥٧)

فترة ما بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

انقسمت آراء المسيحيين بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء؛ فمنهم من خرج بعقيدة الثالوث المقدس، أما فرقة اليعقوبية من المسيحيين فذهبت إلى أن الله تمثل في عيسى، و تشكل في جسده فرآه الناس و كأنه هو عيسى، أي أن الله من وجهة نظرهم هو عيسى.(ومعاذ الله من هذه العقيدة الضالّة)



و معنى تمثل هنا أي دخول جسم إلى جسم آخر، بمعنى اختلاط شيئين ببعضهما والحقيقة هي أن العقيدة التي تقبل بفكرة دخول الله تعالى إلى جسد عبد من عباده و تحول هذا العبد إلى إله، هي عقيدة فاسدة خاطئة، و قد استقوا هذه الفكرة من الفلسفة الهندية.

ففكرة التقديس هي فكرة كانت سائدة في الحضارة الهندية و الثقافة الرومانية؛ فتذهب الفلسفة الهندية إلى أن الإله قد نزل إلى الدنيا؛ و تمثل في كريشنا المولود من أب و أم، و بذلك صار كريشنا " الإله الخالق ".

إن تمثل الإله بأي جسم، هو أمر لا معنى له؛ فلو كان للإله جسد، فربما تمثل في جسد آخر؛ فالشئ الذي يتمثل في جسم آخر لا بد أن يكون هو الآخر جسما و عندما يدخل عليه فإن مواد كلا الجسمين تختلطان ببعضهما، و حتى يتم هذا الامتزاج لابد أن يتمزق جسد الإله، و هذه الحالة في حكم المستحيل بالنسبة لله تعالى؛ فالله تعالى لا يتمثل أو يتوحد أو يمتزج بأي شئ على الإطلاق.

يقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (المائدة، ٧٢)

﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المائدة، ٧٥)

يصف الله تعالى فكرة الثالوث المقدس كما ورد في الآيتين الكريمتين، بأنها عقيدة باطلة ولا تُعبّرُ إلا عن الشرك.



استمر اليهود في إيذائهم للحواريين من بعد عيسى عليه السلام، فصبر الحواريون الذين سما إيمانهم و تحملوا كل أنواع العذاب و الجفاء، و كان من بين هؤلاء شخص يُدعي برنابا، و هو الذي دون في الفصول ٢٢١ و ٢٢٢ من إنجيله المعلومات المتعلقة بالأيام الأخيرة لعيسى عليه السلام على الأرض، و التي نذكرها كما يلي:

عندما دخل جنود روما إلى المنزل كي يمسكوا بعيسى عليه السلام، جاء أربعة ملائكة ضخام و أخرجوه من النافذة و ارتقوا به إلى السماء بأمر من الله تعالى.

فأمسك جنود الرومان بيهوذا و قالوا له " أنت عيسى "، و علي الرغم من كل توسلاته لهم، فإنهم صلبوه و قتلوه. و بعد ذلك تراءى عيسى عليه السلام لأمه مريم و للحواريين، و قال لأمه مريم: " أمي الحبيبة، لتعلمي أنني لم أُصلب، و إنما كان يهوذا هو الذي صُلب و قُتل بدَلاً عني، احذري وسوسة الشيطان لأنه سيحاول خداعك و يزين لك الدنيا."

ثم دعا الله تعالى كي يرعى المؤمنين، ثم التفت بعد ذلك إلى الحواريين، و قال لهم:

"رحمكم الله و أسبغ عليكم نعمائه!".

و بعد حديثه هذا رفعته الملائكة الأربعة إلى السماء مرةً أخرى.



قام الرومان بعد ما يقرب من أربعين سنة من رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، أي العام ٧٠ بعد الميلاد بسلب القدس ونهبها تحت قيادة تيتوس، و قتل بعض اليهود و أسر البعض الآخر، ليس هذا فحسب بل و تم حرق التوراة و كل الكتب الأخرى الموجودة؛ فحولوا القدس إلى مكان خرب و هدموا معبد سليمان، و لم يتبق من المعبد سوى حائط صغير، يسميه اليهود اليوم "حائط المبكى " (الجدار الغربي) فيأتون إليه يتذكرون ما حدث و يسكبون الدموع، تجمع اليهود بعد الفاجعة التي ألمت بهم و أخذ كل منهم يستجمع رباطة جأش الآخر، و استمروا في حياتهم حقراء أذلاء.

أما الحواريون، فاختاروا متّى بديلاً عن يهوذا الذي صُلب، و استمروا من بعد ذلك في نشر المسيحية بدءًا من المناطق المحيطة بهم.

اتحد الرومان و اليونانيون و عبدة الأوثان فيما بينهم لما رأوا اليهود قد بدءوا ينشرون المسيحية؛ فقاموا بأخذ أول من آمن بالمسيحية من اليهود و مزقوه إرباً و ألقوا به إلى أسود السيرك؛ فظُلِموا هم أيضاً ظلماً كبيراً.

فأخذوا زونوفاس اليهودي و معه رجاله و مسيحيو نجران الذين لم يقبلوا باليهودية، و ألقوا بهم جميعا إلى الخندق و أحرقوهم بالنيران و جعلوا الناس يشاهدونهم و هم يحترقون، و على الرغم من هذا لم يتراجع المؤمنون الذين صدقوا في إيمانهم عن عقيدتهم و فضلوا أن يسيروا إلى الموت من أجل دينهم، و قد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم بـ" أصحاب الأخدود ":

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ. وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ. وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ. قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ. النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ. إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ. وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ (البروج، ١ - ٧)

و لم يكتف اليهود بهذا الظلم. فوضعوا الخطط كي يجتثوا المسيحية من جذورها؛ فقام شخص يهودي يُدعى بافلوس Pavlos بكتابة بعض الكتيبات التى أضاف إليها أكاذيبه. فتظاهر أنه مسيحي و قال:

إن عيسى بن الله، و أن شرب الخمر و أكل لحم الخنزير لا ضير فيه لأنه حلال، و قال إنه لا ضرورة أن يراعي الناس أخطاءهم يوم السبت، و هي سنة ابتدعها من عنده.

و شكل بافلوس عقيدة الإله عند المسيحية على النحو التالي: ١. الله ٢. الابن عيسى ٣. الروح القُدُس.

و يرى هذا المُعتقد الجديد أن الله واحد و لكن صفاته ثلاث؛ من هنا دخلت عقيدة الثالوث المقدس الموجودة في المسيحية اليوم.

و قد كانت الظروف السائدة في تلك الفترة مواتية للقبول بعقيدة الثالوث المقدس؛ لأن الذين ورثوا معتقدات تعدد الآلهة منذ القدم كانوا ينفرون من اليهودية التي تقوم على عقيدة الإله الواحد، و كان يرونها عقيدة متشددة، أما عقيدة الثالوث المقدس الجديدة فكانت أكثر قرباً إلى عقيدة تعدد الآلهة عندهم التي ورثوها عن أجدادهم.

و قد انقسم المسيحيون من بعد ذلك إلى قسمين أو فريقين:

١ - **أتباع بافلوس:** و أبعدوا هذا الدين الجديد عن عقيدته الأصلية و حوّلوه بعد ذلك إلى نظام عقائدي يقوم في الأساس على فكرة الثالوث المقدس. و كتب أتباع بافلوس بعد ذلك ١٤ كتيباً مختلفاً كوّنت جزءاً مهماً من الأناجيل الموجودة اليوم، و مصدراً مهما للأناجيل الأربعة الأولى أيضاً، و تحظى هذه

الكتب بأهمية في النصوص المقدسة تُعادل أهمية الأناجيل الأربعة، و قد اعتنق الملوك هذه العقيدة، و هو الأمر الذي يبرر تزايد قوتها بمرور الزمن.

٢ - **أتباع برنابا**: و كانوا يقولون " إن عيسى عليه السلام بشر نبي، و لا يجوز أن يُعبد" بالإضافة إلى جماعة أبيونيت و تزعمها الحواري يعقوب التي دافعت هي الأخرى عن العقيدة نفسها، و قد ضعف هذا الفريق مع الزمن لأنهم لم يتلقوا أى دعم أو مساندة من الملوك.

من ناحية أخرى كان سلوك أنصار بافلوس العدائي على أشده، و كانوا يحاولون القضاء على أنصار برنابا. و في عام ٣٢٥ اعتبر وفد القساوسة الذي جمعه قسطنين، أن إنجيل برنابا غير صالح و لا يُعتد به، و اختاروا أربعة أناجيل رأوها مناسبة لهم من بين عدد كبير من الأناجيل الأخرى، و هذه الأناجيل هي: إنجيل متّى و إنجيل ماركوس و إنجيل لوقا و إنجيل يوحنا. و ما عدا ذلك من الإنجيل أُعتبر مزيفاً غير حقيقي من جانب الكنيسة الرسمية و تم التخلص منها.

إذاً تم الاعتراف الرسمي بهذه الأناجيل الأربعة المُحرفة، و بدأ الناس يقرءون فيها، و اعترضوا علي إنجيل برنابا على الرغم من أنه أكثر الأناجيل قرباً للصحة، و الحق يقال إن برنابا كان من أقدم حواريي عيسى عليه السلام، و قد رأى عيسى عليه السلام و دوّن ما سمعه منه بشكل سليم، غير أن هذا الوضع لم يرق لبافلوس اليهودي و أتباعه، لهذا السبب قاموا بحذفه من قائمة الأناجيل المعترف بها. و لا يعتبر المسيحيون اليوم أن برنابا الذي توفي بعد رفع عيسى عليه السلام بثلاثين عاماً أحد الحواريين، و يعتبرون أن توماس هو الحواري.

و بعد وفاة برنابا ظهر قسيس آخر اسمه آريوس، دخل آريوس في جدال مع أتباع بافلوس، و لكنه تعرض للحرمان الكنسي؛ فتوجه إلى مصر، و قتل هناك و هو يدعوا لعقيدة التوحيد.

لم تفلح الإجابات التي أعطتها الكنيسة الرسمية على انتقادات آريوس للمسيحية في بث الطمأنينة في نفوس المسيحيين على امتداد التاريخ، و قد ظهرت انتقادات مماثلة في كل عصر من عصور التاريخ وجدت فيه أرضية مناسبة، و كانت مثل هذه الانتقادات سبباً في اهتزاز سلطة الكنيسة الرسمية و ما تدعو إليه من اعتقاد، من أجل ذلك دعي رجال الدين المسيحي إلى تشكيل عدد كبير من اللجان للرد على هذه الانتقادات و إعادة الوحدة المسيحية من جديد، و الأهم من ذلك إعادة تثبيت أركان المسيحية، و اتخذت اللجان في اجتماعاتها العديد من القرارات المختلفة.

فعلى سبيل المثال نُظم اجتماع في Iznik عام ٣٢٥، و أُعلن في هذا الإجتماع عن إلوهية عيسى عليه السلام، و أما في الإجتماع الذي عُقد في اسطنبول عام ١٨٣، فأكدوا على فكرة الثالوث المقدس و قبلوا بإلوهية الروح المقدسة، و أكدوا في الإجتماع الذي جرى في Efes عام ٤٣١ على أن مريم هي أم الإله، و ناقشوا طبيعة عيسى عليه السلام في اجتماع قاضي كوي Kadikoy عام ٤٥١، و حدثت انقسامات بين

الكنائس أثناء ذلك، و اجتمعوا مرةً أخرى في مدينة اسطنبول عام ٨٦٩ في المؤتمر الثامن و بدؤا مناقشات حول الذات التي خرجت منها الروح المقدسة، و أسفرت هذه المناقشات الطويلة عن انقسام المسيحية عام ١٠٥٤ إلى مذهبين كبيرين هما الكاثوليك و الأرثوذوكس. و ظهر في القرن السادس عشر مذهب البروتستانت بوصفه رد فعل للكاثوليكية السكولستية القمعية.

إن شغل المسيحيين الشاغل هو العمل بالإستعانة ببعض الأشخاص بعينهم على تثبيت المبادئ الأساسية التي تشكل أساس الدين عندهم، هذا نفسه يشير إلى أي مدى تعرض ذلك الدين إلى التحريف و أن الكتاب المقدس الأصلي فسد، علاوة على ذلك فالقرارات التي اتخذت في هذه الإجتماعات جاءت مدحضةً لبعضها البعض أحياناً؛ فلا يتصور عقل أن يوجد دين يتعرض إلى هذا القدر من التحريف و يُضاف إليه في كل مرة أشياء جديدة.

نزول عيسى عليه السلام من السماء

سينزل عيسى عليه السلام من السماء مع اقتراب القيامة، و قد ورد في هذا الخصوص عدد من الأحاديث الشريفة، و تحدث القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف، ٦١)

تشير الآية الكريمة إلى أن عيسى عليه السلام سينزل مرة أخرى إلى الأرض في آخر الزمان و أن هذا من علامات قيام الساعة. و تُقرأ كلمة " عِلم " الواردة في الآية الكريمة على الشكل " عَلَمَ " التي تعنى إشارة، علامة، رمز، أو أثر.

و سيحكم عيسى عليه السلام فور نزوله إلى الأرض بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و سيتزامن نزول عيسى عليه السلام مع وجود المهدي، و سيعملان على قتل المسيخ الدجال، و ينحدر المهدي من النسل الهاشمي و سيحيل الخلافة إلى عيسى عليه السلام بعد نزوله.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابن مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حتى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حتى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا من الدُّنْيَا وما فيها"

ثُمَّ يقول أبو هُرَيْرَةَ ﷺ:

واقرءوا إن شِئْتُمْ ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾

(النساء،١٥٩). (البخاري، السحر، ١٠٢؛ الأنبياء، ٤٩؛ مسلم، الإيمان، ٢٤٢).

معجزات عيسى عليه السلام

١ - كان يُحيي الموتى بإذن الله ﷻ.

٢ - كان يَشفي المرضى.

٣ - كان يعلم ما يأكل الناس و ما يدخرون في بيوتهم.

٤ - كان يصنع من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيطير.

٥ - نُزّلت عليه و قومه مائدةٌ من السماء.

٦ - كان يعلم ماذا يصنع الناس من حوله و عمّاذا يتحدثون حتى ولو كان نائماً.

٧ - كان يأتيه الطعام و الفاكهة من السماء متى أراد ذلك.

٨ - كان يسمع ما يُقال سراً في أرض بعيدة.

لقد ذكر الله تعالى المعجزات التي أيد بها عيسى عليه السلام في آيات مختلفة من القرآن الكريم، على النحو التالي:

﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران، ٤٩).

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة، ١٠٩)

﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (المائدة، ١١٠)



أسئلة للتقييم

أ- أجب عن الأسئلة الآتية

١ - ما الجوانب المشتركة بين زكريا و يحيى و عيسى عليهم السلام؟

٢ - من هم أولوا العزم من الرسل؟

٣ - وَضِّح عدم منطقية العقيدة القائلة " تمثل الله في جسد عيسى. "؟

٤ - اذكر ما تعرفه عن عودة عيسى عليه السلام مرة أخرى إلى الدنيا؟

٥ - في أي تاريخ ولد سيدنا عيسى؟ و هل تُقام احتفالات أعياد الميلاد في موعد مولده نفسه؟

٦ - ماذا فعلت السيدة مريم إزاء ما لقيته به من افتراءات؟ و كيف نجت من تلك الافتراءات؟

٧ - ما الرهبانية؟

٨ - ماذا قال عيسى عليه السلام عن سيدنا موسى الذي أتى قبله و عن سيدنا محمد ﷺ الذي أتى من بعده؟

٩ - ماذا قال عيسى عليه السلام للحواريين عن سيدنا محمد ﷺ لما سألوه قائلين "و كيف سنعرف المُخَلّص القادم؟"؟

١٠ - كيف أُستشهد حبيب النجار؟

١١ - كيف رُفع عيسى عليه السلام إلى السماء؟

١٢ - متي و كيف ظهرت عقيدة الثالوث المقدس في المسيحية؟

١٣ - تحدث عن الحائط الذي يستخدمه اليهود اليوم و يطلقون عليه اسم " حائط المبكى "؟

١٤ - ما الفرق بين المسيحيين الذي يتبعون فرقة " أتباع بافلوس " و فرقة " أتباع برنابا "؟

١٥ - اذكر خمساً من معجزات سيدنا عيسى عليه السلام؟

١٦ – لماذا لم يقبل اليهود و المسيحيون بنبوة سيدنا محمد ﷺ على الرغم من أنه ذُكر في كتبهم باعتباره خاتم المرسلين؟

١٧ – لماذا كل إنسان عاصٍ و آثم وفقاً للمسيحية؟

١٨ – كيف يحدث العفو عن الذنوب في المسيحية؟

١٩ – ما السبب في أنه لا يوجد في الأسواق أية نسخة لأي إنجيل مكتوبة بالعبرية على الرغم من أن عيسى عليه السلام كان يتحدث العبرية؟

٢٠ – ما السبب في وجود اختلافات و تعارض بين الأناجيل المختلفة؟

٢١ – اضرب ثلاثة أمثلة على التناقض و التضارب الموجود بين الأناجيل؟

٢٢ – لماذا صُلب عيسى عليه السلام في رأي المسيحيين اليوم؟

٢٣ – هل من المعقول أن يمنح الراهب في المسيحية المغفرة لأي شخص يرتكب الإثم حتى إن كان هذا الإثم هو أعظم الآثام، في حين أننا نجد سيدنا آدم طيلة حياته يطلب المغفرة من الله جزاءً لأكله تفاحة واحدةً من الجنة؟ علل لما تقول؟

ب- أكمل مكان النقاط فيما يلي

١ – كان زكريا عليه السلام يحكم بشريعة .... عليه السلام.

٢ – .... هي صفة عيسى عليه السلام.

٣ – أُعطي عيسى عليه السلام النبوة و هو في سن .... و نُزّل عليه كتاب.. و رُفع إلى السماء في سن الثالثة و الثلاثين.

٤ – " ...."، خير نساء عصرها. أما " .... " فهي خير نساء أمة محمد.

٥ – .... هي أم السيدة مريم، أما أباها فهو ....

٦ – كلمة حواري تعني .... أو ....

٧ – أُطلق على الحواريين في القرآن اسم .... أيضاً.

ج- ضع إشارةً علي الإجابات الصحيحة للأسئلة الآتية

١ - أيٌّ مما يلي ليس من الأسباب التى من أجلها طلب زكريا عليه السلام من الله تعالى أن يرزقه ولداً؟

أ- لأنه أراد أن يكون له ولد صالح يرث العلم و النبوة.

ب- لأنه أراد لسلالة الأنبياء التي امتدت حتى يعقوب عليه السلام أن تستمر.

ج- لأنه أصبح عاجزاً و كبيراً في السن و يحتاج إلى ولد ذكر يقوم على خدمته.

د- لأنه لا يوجد أشخاص يصلحون للحكم بالعدل من بعده.

٢ - أيٌّ من الأنبياء التالي ذكرهم ليس من أولي العزم من الرسل؟

أ- نوحٌ عليه السلام.

ب- إبراهيم عليه السلام.

ج- سليمان عليه السلام.

د- عيسى عليه السلام.

٣ - أيٌّ مما يلي هو السبب وراء إطلاق لقب " روح الله " على سيدنا عيسى؟

أ - أن عيسى عليه السلام عاش حياةً روحية فقط خلال الفترة التي قضاها في الدنيا.

ب - أنه أظهر معجزة إحياء الموتى.

ج - إن الله تعالى خلق عيسى عليه السلام و لم يأخذ بالأسباب الظاهرية أيٌّ خلقه بأن نفخ من روحه دون أن يكون هناك أب.

د - إن بدنه و روحه خُلقا في نفس اللحظة.

٤ - أيٌّ مما يلي ليس أحد الأشياء الجميلة التي أنعم بها الله تعالى علي السيدة مريم؟

أ - أنها كانت تعلم ما يأكله الناس و ما يدخرونه في بيوتهم.

ب - أنها نجت و ابنها من كل أنواع الشرور و الفتن التي تعرضا إليها.

ج - أن الله تعالى أنزل عليها من السماء أنواعاً مختلفة من الفواكه.

د - على الرغم من أنها لم تكُن أحد الأنبياء، فإنها التقت بجبريل.

٥ - أيٌّ من المعلومات الآتية التي تتعلق بيوم الميلاد خاطئ ؟

أ - أنها ليلة خاصة لها قيمة معنوية يحتفل بها الناس على اختلاف أديانهم.

ب - هناك اختلافات بين المذاهب المسيحية في تحديد اليوم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام.

ج - هو عيد يحتفل فيه كثير من المسيحيين بيوم ميلاد سيدنا عيسى.

د - لا تحتوي الأناجيل الموجودة على أيّة معلومة بخصوص اليوم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام.

٦ - "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ." (يوحنا، ١٤/١٦-١٧). **إلى أيٌّ شخص تشير كلمة " مُعَزِّيًا " الوارد هنا؟**

أ - سيدنا عيسى.

ب - سيدنا زكريا.

ج - سيدنا المهدي.

د - سيدنا محمد.

٧ - أيٌّ مما يلي ليس من الحكم و العبر التي يمكن استنباطها من دعوة الحواريين؛ يعقوب و شمعون و تمان الحاكم الظالم؟

أ - ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة للنجاح و التحرك بشكل منظم.

ب - أن كل جهاد يُبذل في سبيل خدمة دين الله تعالى لا يضيع هباءً.

ج - لابد للمؤمن أن يكون عاقلاً و صاحب بصيرة، و أن يعرف الأمر و أين و متى و كيف سيحدث.

د - لن يتعرض الأشخاص الذين يخدمون دين الله و تتعلق به قلوبهم لأية مصائب قط.

٨ - أيٌّ مما يلي ليس واحداً من صفات حواريي سيدنا عيسى؟

أ - أنهم أُعطوا سلطة كتابة الإنجيل و سن الأحكام في الدين.

ب - أنهم كانوا يعاونون الأنبياء في خدمة دين الله.

ج - أنهم آمنوا بدين الله و تعلقوا به.

د - أنهم كانوا صادقين لأنبيائهم و محبين لهم.

٩ - أيٌّ مما يلي ليس واحداً من الأسباب التي من أجلها طلب اليهود قتل سيدنا عيسى؟

أ - أن اليهود تجنوا عليه و وصلوا في ظلمهم و طغيانهم إلى مرحلة لا حدود لها.

ب - لأن عيسى عليه السلام أبرم صلحاً مع أعداء بني إسرائيل.

ج - لأن عيسى عليه السلام لم يُرسل إلى بني إسرائيل.

د - لأن عيسى عليه السلام كان يدعو كل الناس بمن فيهم العدو و الصديق بلا تمييز بينهم إلى الدين.

١٠ - أي من المعلومات الآتية الخاصة بموت عيسى عليه السلام خاطئ؟

أ - لم يُقتل سيدنا عيسى، و أما من قُتل فهو شخص اسمه يهوذا يشبه سيدنا عيسى.

ب - رُفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء في شكل لا يمكننا معرفة ماهيته.

ج - رُفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى السماء حتى يُعاد إرساله مرةً أخرى إلى الدنيا.

د - لم يقتل اليهود سيدنا عيسى، و إنما هو الذي وافته المنية بعد ذلك.

١١ - وقع الاختيار على أربعة أناجيل فقط من بين عدد كبير ظهر بعد رفع عيسى عليه السلام، و هذه الأناجيل الأربعة هي نفسها الموجودة في الأسواق الآن. أيٌّ مما يلي ليس واحداً من تلك الأناجيل؟

أ - مَتّي.

ب - لوقا.

ج - برنابا.

د - يوحنا.

١٢ - على من أُطلق اسم " أصحاب الأخدود "؟

أ - أُطلق على مسيحي نجران الذين أُلقي بهم في النيران لأنهم لم يقبلوا اليهودية و أطلقت كذلك على من أحرقوهم.

ب - أُطلق على حواريي سيدنا عيسى.

ج - أُطلق على المسيحيين الذين فروا إلي الكهوف و حاولوا أن يعيشوا هناك.

د - أُطلق على الأشخاص الذين حاولوا التمسك باليهودية بعد مجئ المسيحية.

١٣ - أيٌّ مما يلي ليس من آراء أتباع برنابا الذين يشكلون أحد المذاهب في المسيحية؟

أ - عقيدة الثالوث المقدس عقيدة باطلة؛ لأن الإله واحد ليس له كُفؤً أحد.

ب - يستحيل أن يصبح عيسى ابناً لله تعالى؛ فهو مجرد نبي.

ج - آريوس هو الذي صُلب بدلا من عيسى عليه السلام و ليس يهوذا.

د - سيأتي خاتم المرسلين و سيكون اسمه أحمد.

١٤ - أيٌّ مما يلي ليس إحدي المعجزات التي أيّد الله تعالى بها عيسى عليه السلام؟

أ - أنه كان يعلم نوع الجنين في بطن أمه.

ب - كان يُحْيي الموتى.

ج - كان يصنع من الطين كهيئة البشر ثم يجعله يطير.

د - كان يعلم ما يحدث حوله و ما يجري من أحاديث حتى في أثناء نومه.

١٥ - أي من المعتقدات الآتية غير موجودة في المسيحية اليوم؟

أ - أن الإنسان قادر على أن يكون له علاقة مباشرة مع الله.

ب - أن البشر يكونون عصاةً عند الولادة، و أن التحول إلى النصرانية هو الذي يخلصهم من آثامهم.

ج - الدنيا مكان البلاء؛ فلا متعة فيها و لا صفاء.

د - أن الله تعالى جعل اليهود يصلبون عيسى عليه السلام حتى يُخلص الناس من الآثام التي ترتبت على الخطأ الذي ارتكبه آدم عليه السلام.

١٦ - أيٌّ مما يلي أحد أسباب عدم اعتناق اليهود لدين الإسلام؟

أ - أنهم لم يجدوا أسس العقيدة في الدين الإسلامي و أحكامه منطقية.

ب - أنهم لم يروا أوصاف النبوة بشكل كاف في محمد عليه الصلاة والسلام.

ج - أنهم كانوا ينتظرون أن يأتى خاتم المرسلين من نسل اليهود.

د - أنهم دونوا في كتبهم المقدسة أن سيدنا عيسى هو خاتم الأنبياء.

١٧ - {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (آل عمران، ٨٥) **أيٌّ مما يلي ليس أحد الأمور التى يمكن استنباطها من الآية الكريمة السابقة؟**

أ - أى إنسان يبحث عن دين آخر غير دينه، لن يجد له غير الإسلام ديناً.

ب - لا يوجد عقيدة غير الإسلام يمكن أن تقود الإنسان إلى الحقيقة.

ج - لا مجال لتحقق صفات العبودية التى يريد الله تعالى أن نعبده عليها، إلا باتباع دين الإسلام.

د - لا يوجد دين آخر غير الإسلام يناسب عقل الإنسان و فطرته.

١٨ - أيٌّ من مبادئ الإسلام الآتية لا يتعارض مع فكرة " الإثم الأول " في المسيحية؟

أ - يأتى الطفل إلى الدنيا طاهراً و قد فُطر علي الإسلام.

ب - لا تزر وازرة وزر أخرى؛ فكل شخص مسئول عن عمله فقط.

ج - كان الإثم الذي ارتكبه سيدنا آدم هو السبب في مجئ الإنسان إلى الدنيا.

د - يصبح الإنسان مسئولاً عن أفعاله عندما يبلغ سن النضوج العقلي.

١٩ - أيٌّ مما يلي ليس واحداً من أسباب ترسيخ عقيدة الثالوث المقدس في المسيحية؟

أ - كان بافلوص و أتباعه من رجال الدين يكنون العداء للدين و كانوا يخدعون الناس تحت غطاء التدين.

ب - وقع المسيحيون تحت تأثير الثقافة اليونانية و الهندية التي تقوم على تعدد الآلهة.

ج - فقدت أسس العقيدة صفاتها الأساسية بما أُدخل عليها من تغيرات و تحريف.

د - أن المسيحيين لم يعلموا شيئاً عن عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام.

٢٠ - أيٌّ مما يلي يشير إلى أقدم نسخ الإنجيل لم تحو بينها نسخة واحدة مكتوبة بالعبرية و الآرامية و هما لسان سيدنا عيسى الأساسي و لغة التحدث في ذلك الوقت؟

أ - لأنهم لم يكونوا على علم بالعبرية و الآرامية.

ب - لأن الذين كتبوا هذه الأناجيل جاؤا بعده بفترة كبيرة و كانوا بعيدين عنه.

ج - لأن سيدنا عيسى لم يكن يقرأ و يكتب.

د - لأنهم احتفظوا بشكل سري للغاية بالنسخ المكتوبة بالعبرية و الآرامية.

٢١ - أيٌّ مما يلي لا يصح قوله بخصوص أناجيل مَتّي و ماركوس و لوقا و يوحنا الموجودة اليوم؟

أ - أن المواضيع التي يتحدث عنها إنجيل تحتل المكان نفسه في الإنجيل الآخر.

ب - أن هذه الأناجيل قد كُتبت بما يتوافق وآراء و أهواء كاتبيها الشخصية.

ج - لم يبدأ أحد في تدوين الإنجيل إلا بعد سيدنا عيسى بسنوات.

د - لا توجد معلومة واضحة في الأناجيل بخصوص عقيدة الثالوث المقدس.

٢٢ - تبين عند بحث إنجيل برنابا أنه يحتوي على بعض المعلومات التى تختلف عن الاناجيل الأخرى. أيٌّ مما يلي ليس أحد هذه المعلومات؟

أ - أن سيدنا عيسى ليس إلهاً و لا ابناً للإله.

ب - أن سيدنا عيسى لم يُصلب على الصليب و لم يمت.

ج - أن إنجيل برنابا هو الإنجيل الذي دونه سيدنا عيسى عليه السلام.

د - أن سيدنا محمد هو المسيح المُنتظر.

٢٣ - أيٌّ مما يلي لا يُعد نتيجة يمكن الوصول إليها عند دراسة أناجيل مَتّى و ماركوس و لوقا و يوحنّا و المقارنة بينهم؟

أ - أن كل الأناجيل تعطي معلومة مختلفة و مغلوطة في نفس الموضوع نفسه.

ب - ذُكر سيدنا عيسى عليه السلام على أنه "بشر" و "عبد الله"، كما أُسندت إليه صفة الألوهية كذلك.

ج - تحدث هذه الأناجيل أحياناً عن أن المسيحية هي آخر الأديان و تحدثت أحياناً أخرى عن أن اليهودية هي آخر الأديان.

د - أنهم أسندوا إلى سيدنا عيسى عليه السلام سلوكيات سيئة لا يُقدم حتى الشخص العادي على ارتكابها.

٢٤ - أيٌّ مما يلي ليس واحدًا من سمات سيدنا عيسى عليه السلام؟

أ - أنه لم يجاهد قط الأعداء الذين لم يقبلوا الدين.

ب - أنه أعرض عن كل غرض تهواه نفسه و عاش حياةً روحية.

ج - أنه اهتم بتزكية نفسه و تصفية قلبه.

د - أنه كان يوصي قومه بالشفقة و الرحمة و السلام.

مفتاح الحل

شعيب وموسى وهارون عليهم السلام

ب – إجابة سؤال أكمل مكان النقاط

١ - خطيب الأنبياء   ٢ - عينية - المحبة الإلهية   ٣ - المحبة الإلهية (حب الله)

٤ - إلى بني إسرائيل   ٥ - هارون   ٦ - الأقباط

٧ - كليم الله   ٨ - التلمود

ج – إجابة سؤال الإختيار المتعدد

١ - أ   ٢ - د   ٣ - أ   ٤ - ج   ٥ - ب   ٦ - د   ٧ - د   ٨ - أ   ٩ - د   ١٠ - ج

١١ - أ   ١٢ - أ   ١٣ - ب   ١٤ - ج   ١٥ - أ   ١٦ - د   ١٧ - ج   ١٨ - د   ١٩ - أ   ٢٠ - د

٢١ - أ   ٢٢ - د   ٢٣ - ب

داود وسليمان عليهما السلام

ب – إجابة سؤال أكمل مكان النقاط

١ - الزَبور   ٢ - داود   ٣ - الدرع   ٤ - صوم داود   ٥ - المسجد الأقصى

٦ - الحرم - النبوي - الأقصى   ٧ - المعجزة   ٨ - الكرامة

ج – إجابة سؤال الإختيار المتعدد

١ - ب   ٢ - ب   ٣ - أ   ٤ - أ   ٥ - د   ٦ - ج

٧ - د   ٨ - ج   ٩ - ب   ١٠ - د   ١١ - ب   ١٢ - ب

عُزير وأيوب عليهما السلام

ب – إجابة سؤال أكمل مكان النقاط

١ - هارون - عزرا ٢ - مائة ٣ - بُخت نصر - التوراة ٤ - عُزير - عيسى - بن الله

٥ - رحيمة ٦ - رضا ٧ - الشام ٨ - النبوة

ج – إجابة سؤال الإختيار المتعدد

١ - ج ٢ - أ ٣ - ب ٤ - ج ٥ - ب

يونس والياس واليسع عليهم السلام

ب – إجابة سؤال أكمل مكان النقاط

١ - أهل نينوى ٢ - السابع و الثلاثون ٣ - ذو النون ٤ - الذكر ٥ - المخلوقات التي تذكر الله

٦ - هارون ٧ - بَعلْبك ٨ - إلياس ٩ - آشور

ج – إجابة سؤال الاختيار المتعدد

١ - ب ٢ - د ٣ - ب ٤ - ج ٥ - أ ٦ - ج ٧ - أ

٨ - ج ٩ - ب ١٠ - ب ١١ - د ١٢ - د ١٤ - أ ١٤ - ب

ذو الكفل ولقمان الحكيم عليهما السلام

ب – إجابة سؤال أكمل مكان النقاط

١ - أيوب　٢ - بشر　٣ - موسى　٤ - الحكمة　٥ - التقوى

ج – إجابة سؤال الاختيار المتعدد

١ - ج　٢ - ج　٣ - ب　٤ - ب　٥ - د　٦ - ج

٧ - ب　٨ - ج　٩ - د　١٠ - ج　١١ - ب

زكريا و يحي و عيسى عليهم السلام

ب – إجابة سؤال أكمل مكان النقاط

١ - موسى　٢ - روح الله　٣ - ثلاثون - الإنجيل　٤ - السيدة مريم - السيدة خديجة

٥ - حنة - عمران　٦ - مساعد - إنسان مُصطفى　٧ - أنصار الله

ج – إجابة سؤال الاختيار المتعدد

١ - ج　٢ - ج　٣ - ج　٤ - أ　٥ - أ　٦ - د　٧ - د　٨ - أ

٩ - ج　١٠ - أ　١١ - ج　١٢ - أ　١٣ - ج　١٤ - أ　١٥ - أ　١٦ - ج

١٧ - أ　١٨ - د　١٩ - د　٢٠ - ب　٢١ - أ　٢٢ - ج　٢٣ - ج　٢٤ - أ

المحتـــــــــويـــــــات



الأخلاق المثلى
لأولياء الله



الرحمة المهداة



الشخصية المثالية
محمد رسول الله ﷺ



التفكر في الكون
والإنسان والقرآن



سلسلة الأنبياء - ١
كتاب مدرسي



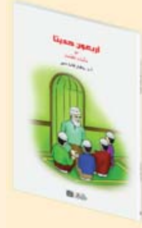
سلسلة الأنبياء - ١



الأنفاس الأخيرة



سلطان العارفين



أربعون حديثاً
مع حكايات للصغار



مائة سؤال وجواب



ديني العظيم ١
على المذهب المالكي



ديني العظيم ٢
على المذهب المالكي



السور المختارة
من القرآن الكريم



جزء عم



تعليم حروف الهجاء
الخط العثماني
الشافعي



الميزاب الذهبي
ألتون أولوك

العنوان:



Adres: Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C Başakşehir, Istanbul
Tel: (0090 212) 671 07 00 Pbx Faks:(0090 212) 671 07 48
www.islamicpublishing.net info@islamicpublishing.net